٣ قروش

المختار

من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

ثمانية مبادئ لمعاملة روسيا	ولیم هارد	١
موعد للحب	بن هشت	١٣
بطولة سفينة	مجلة «كوليرز»	١٧
أصدق صديق للانسان	آلان ديفو	٢٤
انقلاب في زراعة الذرة	مجلة «هاربرز»	٢٧
لا تخف وابدأ من جديد	مجلة «فيوتشر»	٣٣
حادثة عند جسر الأصدقاء	مجلة «تريكولور»	٣٦
كل كلمة تتعلمها تزيدك قدرة على التعبير — ٤		٤٠
كيف تقرض شعرا؟	صحيفة «كرستيان سيانس مونيتور»	٤١
ألغاز رائعة منسية — ٦	أنتوني آبوت	٤٥
آيتان من الشجاعة	دوروثي كامرون ديزني	٤٩
عبقرية داروين	دونالد كلروس بتي	٥٢
العيون مرآة النفوس	ألفرد ا. لالون	٥٨
الشخصيات التي لا تنسى — أختي		٦٠
أعجوبة المحرك النفاث	هول هيبرد	٦٧
الديمقراطية في سويسرا	مجلة «كومون سنس»	٧٢
علموا أولادكم الحياة	مجلة «الآباء»	٧٧
مغنٍّ يغني لنفسه	مجلة «لايف»	٨٠
القوة وتبعاتها	جوزيف س. جرو	٨٤
وصية من ملجأ	كتاب «أحاديث عن الكتب والكتاب»	٨٧
أوربا الجائعة	بول دي كروف	٨٩
«فيدو» يقهر الضباب	صحيفة «تورنتو ستار ويكلي»	٩٣
أساس السعادة الزوجية	دونالد كلروس بيتي	٩٨
آفة الحكومات	مجلة «تاون آند كنتري»	١٠٠
داع يدعو إلى الوقاية من الحريق	مجلة «رد بوك»	١٠٥
من كتاب { مصرع وحش	جيم كوربت	١٠٩

نوفمبر ١٩٤٥

بعض ما تقرأ فى عدد المختار القادم

« سافرت بأشواقها » — بدأت تنزل على الدرج فى طريقها إلى ما كانت تصبو إليه — الرحلة حول العالم ، فعثرت ، وأخذها الشلل . قصة ملهمة لامرأة شجاعة مشلولة ، ظلت أربعين سنة تجوب آفاقاً لا تنتهى ، دون أن تخطو من دارها خطوة واحدة .

« مادة عجيبة كامنة فى الدم » — رويت روايات كثيرة مفزعة عن مادة فى الدم تجعل دم الأم يقتل جنينها . مقال يميط اللثام عن سرّها ، ويدلك كيف يستعين الأطباء بما يعرفونه عنها فى وقاية الحامل من أن تسقط أو تلد الجنين ميتاً .

« سر نجاح كواكب السنما » — أهو الجمال؟ أم هو الشخصية ؟ كيف يختارون ؟ وكيف يمتحنون؟ هذا وصف للبحث المتصل عن الكواكب الذى تتولاه هوليوود .

مختصر كتاب مشهور : فتى روَّض أشد الأفراس جموحاً ، بما استكن فى قلبه من حبّ وإخلاص. وكاد يهلك فى سبيل إنقاذ فرسه من الهلاك .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

AL MUKHTAR min Reader's Digest Vol. 4, No. 27, NOVEMBER 1945

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات إنجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداهما طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العام — ا . ل . كول ، المدير المساعد — فرد د . طمسون

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامپليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة **٣** قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى **٣٠** قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن **٣٥** ملاً — العراق **٣٥** فلساً — سوريا ولبنان **٣٥** قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل **٤٠** قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية — المدير العام : باركلى أتشيسون

حقوق الطبع ١٩٤٥ محفوظة لريدرز دايجست أسوسياشن انكور پوريتد . جميع الحقوق ومنها حقوق الترجمة محفوظة للناشر ، فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والمكسيك وشيلى والبلدان المشتركة فى اتفاق حقوق الطبع الدولى واتفاق حقوق الطبع للجامعة الامريكية . ولايجوز إعادة طبع شىء من هذه المجلة بغير استئذان الناشرين .

المختار

من مجلة ريدرز دايجست

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الايجاز، باقية الأثر

السنة الثالثه نوفمبر ١٩٤٥ المجلد ٥ العدد ٢٧

كاتب من أبرع الكتاب السياسيين فى أمريكا يدلى بالاقتراحات التى يراها مؤدية إلى توثيق عرى صداقة دائمة بين أمريكا وروسيا .

السلام قول وعمل

ثمانية مبادئ
ينبغى اتباعها فى معاملة روسيا

وليم هارد

غلب على أمريكا رأى يحضها على التزام حسن النية حيال الاتحاد السوفيتى، غير أن السلم لا ينشأ من حسن النية وحده، ولا من حبّ أمة لأخرى، ففى سنة ١٧٧٦ كانت بين الإنجليز والأمريكان محبة متبادلة، فلم يمنعهما ذلك من أن يتحاربا حرباً دامت خمس سنوات — ولقد ظلت وشائج الصداقة الحميمة بينهما تتشابك والقتال دائر .

فعلاقات الأمم ليست كالتى تكون بين فتى صبّ ومعشوقته، ولا يعبر عنها بمعسول الكلام، أو بتبادل التحيات (الأنخاب)، وهى اليوم مبذولة فى تحية «الصداقة التقليدية» بين الولايات المتحدة وروسيا . وشبيه بذلك ما حدث سنة ١٩٢٢ فى مؤتمر نزع السلاح الذى عقد فى وشنطن، فقد كثرت وقتئذ تحية «الصداقة التقليدية» بين الولايات المتحدة واليابان، فلم تغير المآرب الدولية شيئاً من مصاير الدول .

فلتكن الخطوة الأولى نحو السلم هى أن ندع العواطف جانباً، فالعواطف شىء، والسلم شىء

آخر ، بل هى ألد أعدائه ، إذ تحجب عن العيون الحقائق التى لا مفرّ من رؤيتها ومن السيطرة عليها ، إن أردنا أن نظفر بالسلم . فطريق السلم لا تمهده العواطف ، بل تعبّده الأعمال .

وقد نص ميثاق سان فرنسسكو على وجوب التشاور بين الأمم المتحدة ، ولكنه لم يرسم وسيلة معينة لمعالجة الحقائق الأساسية الواقعة التى تواجه العالم اليوم . فهناك مثلا فى علاقات الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى حقيقة أساسية واقعة ، وهى أن فى قلوب كثير من الروس ريبة فى حكومة الولايات المتحدة ، وفى قلوب كثير من الأمريكيين ريبة فى حكومة الاتحاد السوفيتى . وقد ثبت من استفتاءٍ للرأى العام ، أن عدد الأمريكيين الذين يثقون باشتراك روسيا فى التعاون بعد الحرب قد هبطت نسبتهم فى ثلاثة أشهر من ٥٥ فى المئة إلى ٤٥ فى المئة . ولم يقتصر هذا الهبوط على فئة معينة من الشعب ، بل سرى فى كافة الطبقات ، وفى الأحزاب السياسية الكبرى ، وفى جمهور المتعلمين على اختلاف درجات ثقافتهم .

فما هى أسباب هذه الحقيقة الواقعة ؟ أنا أعتقد أن سببها الدفين هو محاولة الولايات المتحدة أن تبنى السلم على مبدأ استعلاء « القوة الكبرى » ، فهى قد حاولت أن تجعل الدول الكبرى وحدها أوصياء على بقية العالم . واتخاذ الدول الكبرى صفة الأوصياء ، معناه أن بقية الدول أصبحت فى مرتبة القصّر ، وتحت وصاية الدول الكبرى تصرفها فى نهاية الأمر كما تشاء . وهذا ضرب آخر من مبدأ الاعتداء المشروع ، وقد حاولت بعض الدول مراراً تطبيق هذا المبدأ ، ونجم عنه دائماً أمران :

١ — أن كل دولة كبيرة ، تريد أن تصبح أكبر مما هى ، ثم تريد أن تزيد قدرتها على الاحتفاظ بالسلم فيما تزعم ، فتراها تسعى جهدها إلى توسيع منطقة نفوذها على حساب الدول الصغيرة ، وذلك باستعمال القوة إما سافرة ، وإما متقنعة بالحيلة . ونحن اليوم لا نحب أن نقول « مناطق النفوذ » ، بل صرنا أحلى لساناً ، فترانا نقول « مناطق الأمن » . وهى ولا ريب ، « مناطق النفوذ » نفسها ، كما سماها أجدادنا الذين كانوا أكثر منا صراحة .

٢ — تتسع هذه المناطق وتمتدّ وتتقارب حتى تتشابك وتتصادم ، وحينئذ تتخلّق أول شرارة تثير مرة أخرى حرباً عالمية كبرى ، فما الحروب العالمية إلا حروب بين الدول الكبرى .

ونحن الآن نجتاز أول هذين الطورين ،

بل قد أدلجنا قليلا فى الطور الثانى . فلننظر الآن كيف تفهم روسيا مبدأ المناطق ، ثم لننظر ، غير هيابين ، كيف تفهمه بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة .

لقد شرع الاتحاد السوفيتى ، فى أغلب مناطق أوربا الوسطى الشرقية التى «حررها» الجيش الأحمر ، يعمل فى السكان سلاح النفى والقتل ، وأوصد أبوابها فى وجه المراقبين الأجانب ، ولم يأذن إلا لنفر قليل منهم ، وشرع أيضاً فى إقامة حكومات يسيطر عليها الشيوعيون ، ولا تأتمر إلا بأمر موسكو وحدها . فهذه ست ممالك ، تمتد رقعتها من بولندة على البلطيق إلى يوغسلافيا على الأدرياتيك ، قد أصبحت مدمجة فى الاتحاد السوفيتى .

فلماذا رضيت بريطانيا والولايات المتحدة أن تتم هذه الأعمال ، بل أن تبدأ ؟ ولماذا استكانت لتلك الكلمة الباطلة : « مناطق حررها الجيش الأحمر » ؟ فإن الممالك التى حررت من ربقة الاحتلال الألمانى ، إنما حررت بمجهود مشترك من الحلفاء جميعاً .

فهل محت إنجلترا من ذاكرتها أن الأسطول البريطانى هو الذى حاصر ألمانيا وكتم أنفاسها؟ وهل نسيت إنجلترا والولايات المتحدة سلاحهما الجوى وكيف شل مصانع ألمانيا الحربية وشبكة مواصلاتها ؟ أم تراهما لا يذكران الجيوش البريطانية والأمريكية التى قاتلت فى إفريقية وصقلية ، وإيطاليا وفرنسا وبلجيكا وهولندة وألمانيا ، فصرفت بذلك جحافل الجيوش الألمانية عن الحدود الروسية ؟ أم ترى أمريكا لا تعبأ شيئاً بما أمدت به روسيا بمقتضى قانون الإعارة والتأجير ؟

ففى نهاية مارس سنة ١٩٤٥ كانت روسيا قد تسلمت من الولايات المتحدة بمقتضى قانون الإعارة والتأجير، علاوة على ما وصلها من إمدادات كثيرة ، ١٥٨ ألف بندقية مختلفة العيار ، و ١٣٫٣٠٠ طائرة ، و ٣١٢ ألف طن من المفرقعات، و ١٥٠٠ قاطرة ، و ٥٤٠ ألف طن من القضبان ، و ٤٠٦ آلاف سيارة . وقد أشار الرئيس ترومان إلى هذه السيارات فى آخر تقرير قدمه إلى الكونجرس عن قانون الإعارة والتأجير فقال : « إن هذه السيارات نقلت فى بعض مناطق الجبهة أكثر من نصف المؤن المرسلة إلى الجيوش السوفيتية » واستطرد فقال : « إن ما أرسل من الدهن والزيت إلى الاتحاد السوفيتى بمقتضى قانون الإعارة والتأجير، هو أكثر من نصف المقدار الذى استهلكته الجيوش السوفيتية ، بل السكان المدنيون فى روسيا أيضاً » .

فلماذا إذن قعدت إنجلترا والولايات

المتحدة ، عن أن تعترضا من مبـدأ الامر بصراحة وإصرار على نية روسيا الواضحة فى استغلال نصر الحلفاء المشترك ، فى أن تضيف ٦٠ مليوناً من سكان أوربا الشرقية الوسطى — وهم ليسوا من الشعب الروسى — إلى المنطقة الخاضعة لنفوذها وحدها .

وعِبرُ الماضى ترشدنا إلى الجواب الشافى عن هذا السؤال ، فإن فكرة مناطق النفوذ كما يعرفها التاريخ ، أصبحت غير قاصرة على الاتحاد السوفيتى وحده ، بل صارت مطلب بقية الدول جميعاً .

فضم اليونان إلى منطقة نفوذ بريطانيا واضح وضوح ضم رومانيا وبلغاريا إلى منطقة نفوذ روسيا . فمنذ « تحرير » اليونان إلى اليوم انفرد البريطانيون فيها بالسلطان لهم وحدهم .

وضمت إيطاليا إلى منطقة نفوذ الأمريكيين والإنجليز ، بل قل الإنجليز خاصة ، فإنهم قد منعوا الإيطاليين من أن يدخلوا وزارتهم الكونت سفورزا ذلك السياسى الكبير ، لأسباب تتعلق بهم دون غيرهم ، وبأمر أصدروه هم وحدهم .

وكانت سوريا ولبنان قبل الحرب داخلتين فى منطقة نفوذ فرنسا ، ثم منحتهما أثناء الحرب استقلالهما ، ولكن سرعان ما تبين للفرنسيين أن نظرية استعلاء الدولة الكبرى قد تجددت ، فجددوا طلب امتيازات خاصة فى سوريا ولبنان باعتبارها من مناطق نفوذهم ، إذ كيف تصل دولة ما إلى مصاف الدول الكبرى دون أن يكون لها منطقة نفوذ كبرى ؟ .

ومع أن سوريا لا تبعد عن روسيا إلا ٢٥٠ ميلا ، فإن إنجلترا والولايات المتحدة — وهما تبعدان عنها آلافاً من الأميال — اقترحتا تسوية مشا كل سوريا ولبنان فى مؤتمر لا تدعى إليه روسيا . فكان هذا العمل فى نظر الروس محاولة من الإنجليز والأمريكيين يريدون بها تأليف جبهة متحدة ، أو تدعيم منطقة نفوذ على مقربة من حدود الاتحاد السوفيتى .

وإيران مجاورة للاتحاد السوفيتى ، وفيها قسم من منطقة بترول الشرق الأدنى ، وهى أغنى مناطق العالم . والواقع أن الشركات الإنجليزية والأمريكية تحتكر هذا البترول ، وهو يزيد كثيراً على ما تملكه روسيا . ومع هذا فإن حكومة الولايات المتحـدة ، دون أن تتفق من قبل مع الاتحـاد السوفيتى ، قد أذنت لشركات البترول الأمريكية أن تفاوض الحكومة الإيرانيـة ، لكى تنال امتيازات جديدة . فهذا العمل هو فى نظر روسيا أيضاً محاولة إنجليزية أمريكية يراد بها

تأليف جبهة متحدة، أو تدعيم منطقة نفوذ تقع هذه المرة على حدود روسيا نفسها .

ومراكش من بلاد إفريقية ، ولكنها ظلت قروناً متصلة بمسرح السياسة فى أوربا. ويعتبر مؤتمر الجزائر الذى انعقد سنة ١٩٠٦ أكبر جهد دولىّ بذل لتسوية مشكلة مراكش . وقد حضرته روسيا ، ومع ذلك ترى فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة ، تقترح اليوم تسوية مركزها الدولى فى المستقبل فى مؤتمر لا تحضره روسيا .

وليس هذا كله إلا سباقاً بين الدول الكبرى وصفه جورج وشنطن بقوله : « سباق اشتراك وتصادم » ، وليس هذا إلا تكرار قضية أكل عليها الدهر وشرب ، عن عالم ينقسم أولا شيعاً متفرقة ، ثم يلتقى أهله أعداء متحاربين .

وقد بدأ هذا التصادم وأخذ يشتد .

فالصحف الإنجليزية والأمريكية تندد بوسائل القمع الدامية التى تحدث فى رومانيا وبلغاريا الخاضعتين لروسيا ، والصحف السوفيتية تندد بوسائل القمع الدامية التى تحدث فى اليونان الخاضعة لإنجلترا .

وقد لجأ الاتحاد السوفيتى ، حين أغضبه تسلط بريطانيا على آبار البترول فى إيران ، إلى إثارة اضطرابات محلية كان من جرائها أن سقطت الوزارة وتولت الحكم وزارة جديدة . ويمتعض الاتحاد السوفيتى من إقصائه عن المؤتمرات التى تبحث مشاكل سوريا ولبنان ، ويطلب أن يمثل فيها .

وتشن الولايات المتحدة وبريطانيا حرباً شعواء على الحكومة البولندية التى أقامتها روسيا فى وارسو على المذهب الشيوعى وحده، فأعيد تشكيل الحكومة على صورة ديموقراطية ، ولكن هلم بنا نفحص هذا النصر الدبلوماسى الذى تدعيه السياسة الأمريكية والإنجليزية .

فى كافة الحكومات التى تقيمها روسيا السوفيتية وتدعمها فى أوربا الوسطى الشرقية، ترى كل مقاليد السلطة فى قبضة منصبين رئيسين ، أولهما منصب يسمى صاحبه « وزير الداخلية » أو « وزير الأمن » أو « وزير البوليس » فهو الذى يقضى على الناس أيهم يطبق عليه السجن ، وأيهم يطلق سراحه . وثانيهما منصب يسمى صاحبه « وزير التربية » أو « وزير الدعاية » وهو الذى يختار وحده للناس ما يقرأون ، وما يسمعون ، وما يعلمون . فإذا أطلقت يد كل من هذين الوزيرين استطاعا أن يسيطرا على نتيجة كل انتخابات قادمة. وكلا هذين المنصبين يشغلهما فى كافة الحكومات رجال من الشيوعيين ، ولاؤهم منصرف إلى موسكو .

ولنستعرض الآن أعضاء الحكومة الجديدة فى بولندة ، وهى تحكم بلداً سواده الأعظم من غير الشيوعيين .

فرئيس الوزارة ، ونائب الرئيس، ووزير التربية، ووزير الدعاية جميعهم من الشيوعيين، وكلهم رجال مجرَّبون فى ولائهم لموسكو . وليس للحلفاء خطة مشتركة للإشراف على جهودهم فى تسيير الانتخابات . فهل فى هذا ضمان الوعد الذى صدر لبولندة من الدول الكبرى الثلاث فى مؤتمر يالتا ، بأن تجرى الانتخابات حرة من غير قيد ؟ وأى تقدم هذا نحو عالم وعدنا به ميثاق سان فرنسسكو؟ عالم تعمل فيه الدول الخمس الكبرى معاً على تصفية مشاكل الحرب وجنى ثمار السلم .

فهذا الذى يحدث إن هو إلا تقهقر نحو العالم الذى ألفناه دائماً ، عالم اقتسام الأسلاب وما يتبع ذلك مما يقع تحت بصرنا اليوم من وضع الخطط لإعداد الجيوش والأساطيل الضخمة استعداداً لحروب وشيكة الوقوع .

وإننى أقترح ثمانية طرق صالحة تفضى إلى الخروج من هذا المأزق :

١ — دعوة روسيا إلى كل مؤتمر يتعرض أقل تعرض لمصالحها . ومحاربة نظرية « الدول الكبرى » وميلها إلى جعل الدول الخمس الكبرى أربع دول كبرى ، ثم ثلاث دول كبرى ، ثم دولتين كبيرتين ، ثم دولة واحدة تتسلط بنفوذها فى منطقة إثر منطقة . ولنحاول تحقيق آمال السياسى الأمريكى الكبير كوردل هَل فى إنشاء عالم ليس فيه مناطق نفوذ . فيجب أن تدعى روسيا للمؤتمرات التى تنظر فى مسائل سوريا ولبنان ، كما ينبغى أن تدعى إلى الاشتراك مع الولايات المتحدة وبريطانيا فى المفاوضات الخاصة بالبترول العالمى ، للوصول إلى اتفاق يفضى إلى صيانة الآبار وتنميتها فى إيران وفى كل منطقة أخرى من المناطق الهامة التى قد تكون محل نزاع .

ويجب دعوة روسيا أيضاً إلى مؤتمر دولى شامل يعقد للنظر فى مسائل المضايق الحيوية ، فإن الضغط الواقع على تركيا لحل هذه المشكلة يأتى الآن من قبل روسيا وحدها ، فى حين أن المشكلة لا تخص روسيا وتركيا فحسب ، ذلك أن اتفاق المضايق الذى أسفر عنه المؤتمر المنعقد فى مونترو سنة ١٩٣٦ قد وقعته تسع دول ، ومن بينها اليابان أيضا . فالمشكلة دولية ، وحذار من الخنوع فتصبح المضايق منطقة نفوذ روسية، ثم تعمد الولايات المتحدة وبريطانيا فى نقمتهما إلى الاقتصاص من روسيا ، بأن تستحوذا على منطقة نفوذ تنفردان بها فى جهة أخرى من الشرق الأوسط . أما السياسة الواجب اتباعها فهى: أن المسائل الخاصة بمناطق النفوذ المتنازع

عليها يجب أن تعرض على مؤتمر دولى عام، وتدعى إليه روسيا بإصرار وعلى ملأ من الناس ، ويجب إقناعها بأنها لن تحرم فى كافة المسائل الدولية من الإدلاء ببيان واف عن مطالبها المشروعة .

٢ — يجب أن تقوم فى أوربا المحررة بأجمعها لجنة تضم ممثلين معتمدين من قبل الاتحاد السوفيتى وبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، لترسم وتنفذ سياسة ترمى إلى هدم كافة الحواجز التى تحول دون الإلمام بأحوال كل منطقة محررة فى أوربا . فيؤذن للروس من رجال الصحافة والمبعوثين السياسيين والتجاريين أن يكونوا أحراراً فى السفر فى المناطق التى تحتلها الدول الديمقراطية الغربية ، مع الإصرار بأن تمنح روسيا مثل هذه الحرية فى أوربا الوسطى الشرقية للأجانب من الصحفيين ورجال الأعمال .

ويجب أن تكف روسيا عن منع رجال صناعة البترول الأمريكيين من السعى لاستعادة الآبار التى كانوا يملكونها قبل الحرب فى رومانيا . وقد آن الأوان أن نطالب روسيا بتطبيق سياسة المعاملة بالمثل فى هذه المسائل . فمن السخف ، ومن المهانة للولايات المتحدة ، أن تفتح للروس أبواب المناطق التى تحتلها ثم ترضى فى الوقت نفسه أن توصد فى وجهها هى أبواب المناطق التى تحتلها روسيا .

ولا تملك الولايات المتحدة ، ولا ينبغى لها ، أن تطالب روسيا بالكف عن فرض الرقابة على الصحافة فى بلادها . ولكن الولايات المتحدة تملك ، ويجب عليها ، أن تطالبها بالكف عن مصادرة حرية صحافة الحلفاء فى المناطق التى لم تحررها روسيا إلا بفضل المجهود المشترك بين هؤلاء الحلفاء . ويجب على حكومة الولايات المتحدة أن تصارح حكومة الاتحاد السوفيتى بالحقيقة التالية ، وهى أنها كلما أمعنت فى خنق الصحافة ساءت سمعتها بين الأمريكيين .

٣ — يجب على لجنة أوربا المحررة ، التى أشرت إليها فى الاقتراح الثانى ، أن تعنى بالانتخابات القادمة فى كافة الممالك المحررة . فقد أجرى الاتحاد السوفيتى إنتخابات فى بولندة الشرقية وفى ممالك البلطيق من سنة ١٩٣٩ إلى سنة ١٩٤١ وهى إذ ذاك حليفة ألمانيا . وقد اتخذت قبل هذه الانتخابات تدابير قمع واسعة النطاق، استعملت فيها سلاح القتل والنفى ، وبعثت بأكثر من مليون سكان بولندة الشرقية إلى المنفى فى جهات نائية من الاتحاد السوفيتى . فلما جرت الانتخابات لم يدرج فى قائمة النواب إلا اسم

مرشح واحد ، وتولت الحكم فى كل بلد وزارة فازت فى الانتخابات، بطبيعة الحال، بأغلبية ساحقة . ففى ليتوانيا ، وهى من بلاد البلطيق ، فازت الحكومة بأغلبية ٩٩٫٧ فى المئة . وقد أذاعت إحدى الصحف فى لندن هـذا الرقم ، نقلا عن وكالة أنباء روسية ، قبـــل أن تجرى الانتخابات بيوم كامل .

وإذا أجريت اليوم انتخابات من هذا القبيل مثـلا فى الممالك التى تحتلها روسيا كرومانيا وبلغاريا ويوغسلافيا والمجر وبولندة الغربيـة وألمانيـا الشرقية ، فإن الولايات المتحدة وبريطانيا لن تؤمنا بها أبداً . وقد وعد الأقطاب الثلاثة فى مؤتمر يالتا بتقديم مساعدتهم المشتركة لكل الشعوب فى الممالك المحررة لإجراء إنتخـابات حرة ، فيجب عليهم اليوم أن يفوا بما وعدوا .

ولا يقتصر هذا القول على الممالك التى تحتلها روسيا ، بل يسرى أيضاً على إيطاليا التى تحتلها الولايات المتحدة وبريطانيا ،وعلى اليونان التى تحتلهـا بريطانيا . ففى اليونان جيش رجعى ملكىّ يناوئ ويضطهدأحزاب اليسار ، ويحاول بكل جهد وبلا رحمة ، أن يتحكم فى مستقبل البلد السياسىّ . فيجب على لجنة أوروبا المحررة أن تعين أحزاب اليسار على الاقتراع بكامل الحرية فى الانتخـابات القادمة . فالانتخابات التى ستسفر عن أوروبا الجديدة ، يجب أن تجرى فى جوّ من الحرية والعدالة . وإذا لم يحدث هذا فإن هوة الخلاف ستزداد اتساعاً بين الولايات المتحدة والدول الديمراطية الغربية ، وهذه كارثة لا ينفع فيها الكلام، بل لا مفرّ من العمل لمنع وقوعها .

٤ — والشرق الأقصى أشد خطراً على سلام العالم من أوروبا، وقد أصاب كوردل هل حين قال إن هذه الحرب بدأت سنة ١٩٣١ حين غزت اليابان بلاد الصين واستولت على منشوريا .

فينبغى أن نرحب بالمعاهدة السوفيتية الصينية التى عقـدت منذ عهـد قريب . وبمقتضاها يعترف الاتحاد السوفيتى بسيادة الصـين على منشوريا . وينبغى أن نرحب كذلك بما اعترفت به الصين فى هذه المعاهدة من حق الاتحاد السوفيتى فى الظفر بمنفذ حر لتجارته فى موانئ منشوريا الدافئـة الماء . فبلاد سيبيريا التى تتجمد فى الشتاء حاجة مشروعة إلى هذا المنفذ .

ولـكن الأسف قد يساورنا لأن هذا التطور الطيب لم يكن نتيجة لمساعى جميع الدول الكبيرة والصغيرة التى تهمها مسألة السيادة الصينية . فالمعاهدة التى عقدت فى

مؤتمر وشنطن سنة ١٩٢٢ ، لاحترام سيادة الصين، كانت معاهدة وقعتها الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وكندا وأستراليا ونيوزيلندة الجديدة ، واتحاد جنوب إفريقية ، والهند والبلجيك ، وهولندة ، والبرتغال . وقد كان الامتناع عن دعوة الاتحاد السوفيتي إلى مؤتمر وشنطن هذا وَصْمة وصمت بها السياسة الدولية فى العصر الحديث . فينبغى أن نضمن الآن ، أن تشترك جميع الدول المعنية بالشرق الأقصى فى عقد الاتفاقات الخاصة بالسلام فى الشرق الأقصى ، وأن يقتصر عقدها على بعض الدول .

فلنبادر قليلا إلى تدارك الأمر ولننصرف عن العادة الأنجلوسكسونية التى ألفناها فى إرجاء اتخاذ القرارات وترك الأمور تجرى فى أعنتها حتى تصبح على شفا جرف هار أو حافة غور تتدفق سيوله . ولندع الاتحاد السوفيتى الآن ، وغيره من الدول التى يهمها الأمر ، إلى تدبير اتفاق عام ينكر على أية دولة أجنبية أى امتياز سياسى خاص فى الصين ، بل يضمن لكل أمة أجنبية كل فرصة اقتصادية عملية يحق لها أن تطالب بها. فما تكفل السلم أو توجده معاهدة واحدة تعقد ذات يوم ، بل يكفله العمل الدائب على الأيام ليلا ونهاراً

٥ — يجب علينا ، فى كافة نواحى آسيا الشرقيــة ، أن ننهج المنهج الذى عرف به الاتحاد السوفيتى فى معاملته للشعوب الأسيوية. وهذا المنهج يستند على عاملين لهما أثر صالح، أولهما الإقلاع بتاتاً عن التفرقة بين الأجناس فى المعاملة ، وثانيهما بذل جهود صادقة لرفع مستوى المعيشة بين جميع الشعوب الأسيوية.

ومن بين الجمهوريات الست عشرة التى يتألف منها الاتحاد السوفيتى ، خمس تقع فى آسيا الوسطى السوفيتية ، وليس بينها وبين حدود الهند البريطانية سوى تسعة أميال . ودستور هذه الجمهوريات مماثل من جميع الوجوه لدستور الجمهوريات السوفيتية الواقعة فى أوربا . وكان القياصرة قد نزعوا الأرض من الأهالى وأعطوها للروس، فجاء السوفيت وردوها إليهم . وهم ينكلون بكل من يحاول أن ينبت البغضاء والاحتقار بين الروس وشعوب البلاد وقبائلها . ثم إنهم يوجهون عنايتهم إلى نشر الأساليب الحديثة والصناعة بين القبائل .

ولنضرب مثلا بجمهورية أزبك التى يبلغ عدد سكانها ستة ملايين ، فما جاءت سنة ١٩٣٩ حتى بذت هــذه الجمهورية بصانعها وإنتاجها تركيا وإيران وأفغانستان مجتمعة معاً ، مع أن سكان هذه الممالك يبلغ

٤٥ مليوناً، بل بذّت ألمانيا فى عدد ماتملكه من المحاريث الآلية .

والفضل فى وضع هـذه السياسة يعود أول مايعود إلى ستالين، وهو نفسه أسيوى المولد، وكان أول من تولى فى حكومة الاتحاد السوفيتى منصب قوميسير الجنسيات . وقد قال : « إن الجيش الأحمر نشأ على مبـدأ المساواة بين الشعوب ، وهذه الحقيقة الواقعة هى سرّ قوته » . وقد صرّح أيضاً بأن القضاء على كل تفرقة بين الأجناس هو من أوائل أغراض هذه الحرب .

ويجب أن لا ننسى أن قلب جوزيف ستالين يخفق بحب آسيا . وأننا نحن الأمريكيين والبريطانيين والهولنديين والفرنسيين،من أبناء الديمقراطيات الغربية، لن نأمل أن ننافسه هناك ، إلا إذا ضارعناه فى حسن إدراكه لوجوب معاملة الأجناس من غير تفريق بينها ، وفى شغفه المتقد برفع معيشة الأسيويين إلى المستوى الحديث .

٦ — يجب أن نبادر فوراً فنفاوض روسيا فى مشاكل نزع السلاح . فمسابقة الاتحاد السوفيتى فى إعداد السلاح وحشـد الجيوش لن يؤدى إلا إلى الخراب . وتدل نسبة المواليد — كما هى عليه اليوم — على أن الاتحاد السوفيتى سيتفوق قريباً فى عدد السكان على كافة الشعوب التى تتكلم الإنجليزية مجتمعة معاً . وإذا لم يُقض على سياسة تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ ، فسيكون للاتحاد السوفيتى بعد بضع سنين ، فى مناطق نفوذه فى أوربا وآسيا، ٤٠٠ مليون من السـكان خاضعين لأمره يجند منهم من يشاء . هذا والاتحـاد السوفيتى يسير اليوم قدماً نحـو استكمال استعداده الحربى .

وقد حرمت السلطات السوفيتيـة الجمع بين الذكور والأناث فى كافة المدارس ، ولم تخف أن السبب الذى دعاها إلى ذلك هو أن البنات يشغلن الصبيان، وهؤلاء الصبيان يهيأون منذحداثتهم للعمل فى الجيش الأحمر. وأكاديمية سفوروف الحربية يدخلها الطلبة وهم فى الثامنـة فيخرجو منها ضباطاً . وقد شهد أحد طلبتها الحرب وهو فى الثامنة عشرة ومنح وسام الشجاعة ، فهل تريد الولايات المتحدة أو بريطانيا أن تسابق روسـيا فى هذا المضمار ؟ .

فمن السخف أن يقال إن ما يجرى فى الاتحاد السوفيتى وبريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا من تجنيد إجبارى واستعداد حربى إنما تقصد به ألمـانيا واليابان ، فالمسلم به أنهما ستجردان من سلاحهما كله . ومن العبث والسخف أن يقال أيضاً إن هذه الاستعدادات تقصد بهـا الدول الصغرى ، فهـذه الدول

الصغرى ، ولو تضافرت معاً ، لا قيمة لها من الوجهة العسكرية . إذن فهذا الاستعداد للحرب الذى تعمل له الدول الكبرى إنما يقصد به بعضها بعضاً . وهى تنافق وتسخر بميثاق سان فرنسسكو الذى جعل دعامته الكبرى وحدة الغرض بين الدول الكبرى .

فإذا أردنا أن ننال صداقة الاتحاد السوفيتى ، وأن نجعل مبدأ استعلاء الدولة الكبرى موجهاً لخدمة السلم لا الحجم ، فعلينا أن نبادر فنفاوض الاتحاد السوفيتى فى تنظيم نزع السلاح .

٧ — وإذا استطعنا أن نحل مشكلة مناطق النفوذ ، وأن نتغلب على التسابق فى التسلح ، فيجب أن ينال الاتحاد السوفيتى ما هو فى مسيس الحاجة إليه ، أعنى معونة أمريكا فى تعمير الخراب الفظيع الذى أنزله الألمان بلاده .

وأقول (إذا) لأنه من العبث أن نرسل الأدوات ، والآلات ، وأجهزة الكيمياء الصناعية للاتحاد السوفيتى ، من أجل أن تزداد مقدرته على بسط نفوذه ، وعلى إعداد السلاح وحشد الجنود . أليس من الحمق أن يعين الحلفاء بعضهم بعضاً ليصبح بعضهم على بعض أشد خطراً وأعظم بأساً .

فلندخل أولا فى السلم كافة ، ثم لا يبخل بعضنا على بعض بعد ذلك بالمساعدة .

٨ — وإذا أردنا أن نسلك طريق السلم بقدم ثابتة ، فعلينا أن نحسن الانتفاع غاية الانتفاع بالجمعية العمومية التى تمثل كافة الدول فى هيئة الأمم المتحدة الجديدة التى أوجدها ميثاق سان فرنسسكو ، ويجب أن تظل هذه الجمعية منعقدة على مر الأيام .

فقد نص الميثاق على أن مجلس الأمن الذى تسيطر عليه الدول الخمسة الكبرى ، والذى يصح تشبيهه بأنه مجلس أعلى لهيئة الأمم المتحدة ، سوف يباشر عمله بغير انقطاع ، على حين تراه ينص على أن الجمعية العمومية تجتمع فى أدوار سنوية ، وإن كان قد أجاز دعوتها لاجتماع خاص إذا أرادت ذلك أغلبية أعضاء الهيئة الجديدة . فعلى هؤلاء الأعضاء أن يبدوا منذ الآن رغبتهم أن تدعى الجمعية لاجتماعات خاصة ، لتكون كمجلس الأمن مجتمعة بغير انقطاع .

والواقع أن مجلس الأمن يجمع فى يديه ما لدى العالم كله من وسائل الإكراه والبطش . أما الجمعية العمومية التى تضم كافة الأمم المتحدة فيتمثل فيها ضمير العالم وما يجيش فيه من آمال ورغبات . وهى تستطيع ، وإن اقتصر واجبها على بحث المسائل المعروضة عليها ومناقشتها ، أن تثنى أنظار العالم واهتمامه إلى هذه الخلافات التى ثبت بالتجربة أنها تعقب الحروب وتفرق بين

الدول الكبرى . وتستطيع بعملها هذا أن يكون لها أثر فعال فى إيضاح هذه الخلافات وتسويتها ، كما يكون فى وسعها أن تساعد على توجيه الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والصين فى طريق العمل لمنفعة العالم . فيجب على الجمعية العمومية أن تؤدى هذه الرسالة كأنها مجلس نواب أو هيئة محلفين ، يكل إليها العالم شئونه وقضاياه .

وربما كان الاتحاد السوفيتى أعظم الدول الكبرى شأناً ، فإذا أردنا أن نوجد التوازن بيننا وبينه ، فينبغى أن لا يتم هذا بتأليف جبهة من الدول الكبرى تطاوله أو تضارعه . فالتوازن الوحيد الذى ترضى الأمم كلها بالمشاركة فى إقامته ، هو التوازن بين كافة البشر ليكف عنهم عسف الأقوياء والمستبدين أينما كانوا .

لقد بدأت مقالى بكفرى بالعواطف فى الشؤون الدولية، وأختتمها بإيمانى بالأخوة البشرية . وأنا فى هذا لم أعدل عن رأيى السابق ، فإن العواطف تصير هباء . وهى أحلام ، أمّا الأخوة فلا تكون أخوة حق تبنى على العدل الصادق القويم .

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدينا حتى نؤلف بالخير بين هـذه العواطف المثالية الكريمة ، وذلك المنطق الساخر المتشكك ، فتلك الألفـة وحدها هى التى تكفل للبشر الأمن والسلام .

● قال على بن أبى طالب لرجل أفرط فى الثناءِ عليه ، وكان يتهمه فى مودته : أنا دون ما تقول وفوق ما فى نفسك .

● كان بين عمر بن الخطاب وبين رجل كلام فى شىء . فقال لهُ الرجل : اتقِ الله يا أمير المؤمنين . فقال لهُ رجل من القوم : أتقول لأمير المؤمنين ، اتقِ الله ؟ فقال لهُ عمر : دعه فليقلها لى ، نِعْمَ ما قال . ثم قال عمر : لا خير فيكم إذا لم تقولوها لنا ، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم

[سيرة عمر لابن الجوزى]

من صميم الحياة

موعد للحب

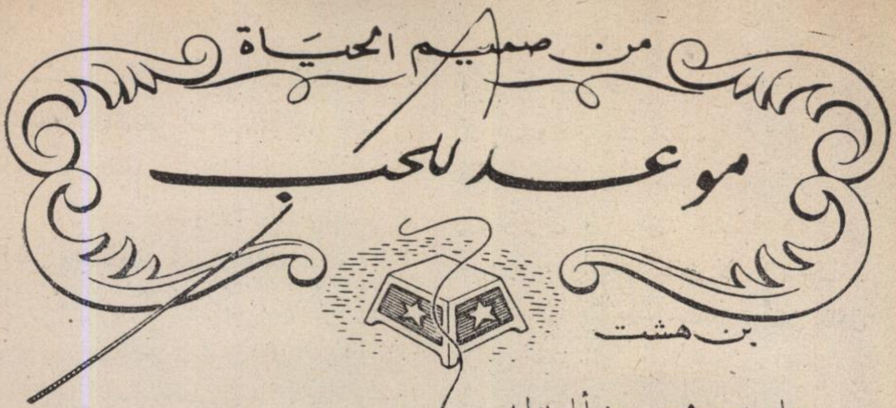

بن هشت

في صباح يوم مشمس من أيام يوليه منذ عدة سنين ، دعاني المستر جيلروث رئيس تحرير جريدة شيكاغو ديلى نيوز إلى مكتبه : وقال لى « قد يكون هذا موضوعاً حسناً لك » وناولني طائفة من القصاصات من صحف الصباح . ذلك أن نكبة حلت بملعب (سرك) هاجنبك الذى كان يطوف بوسكونسن ويتنقل فيها ، إذ علقت به النار ليلا فمات وأصيب عشرات من اللاعبين .

وقال المستر جيلروث : « اذهب إلى بيلويت حيث يعاد افتتاح الملعب اليوم . فإن ما حدث له خليق أن يكون قصة مؤثرة » .

وقد وصلت إلى بيلويت في وقت العرض . وإنه لعرض أليم ينطوى على الشجاعة ، قام به ذلك الملعب المحطم المحزون .

وكانت هناك مقاعد خالية في المركبات الحمراء المذهبة ، وخيل خلت ظهورها من راكبيها ، وكانت الأدوار الهزلية ينقصها المهرجون والمضحكون ، ولكن لا أثر هناك للحداد ، فقد كان كل شيء زاهياً مزوقاً كما ينبغى أن يكون الملعب . وكان الشيوخ والشبان من أهل بيلويت يسمعون الموسيقى ويرون خطو اللاعبين على أنغامها في ثيابهم المزركشة ، فينسون أن نحو نصف الفرقة ماتوا أو هم في سياق الموت في المستشفيات .

وبحثت عن المستر تومسون الذى يتولى الدعاية للملعب في الصحف ، وكانت يداه ترتعشان ، وعيناه محمرتين من الحزن والسهد ، وإنا لنرقب العرض وإذا به يفتح فمه فجأة ويبدو كالشبح ، ويقول : « هذا جاس . مستحيل ! لا أستطيع أن أصدق ! »

وكانت عينه على رجل في سترة حمراء لا تنسجم عليه ، وسراويل من الحرير الأخضر ، وحذاءين لامعين ، وكان جالساً على المقعد الأمامي من مركبة الأسود ، وفى

يده سوط . وكان رأسه جامداً ثابتا ، وعينه شاخصة، والقفص المذهب يمر بنا، فخيل إلى أنه نائم وعيناه مفتوحتان .

وقال المستر تومسون : «لا أستطيع أن أعلل وجوده أو أتصور ماهو صانع ، فإنه ليس من رجال العرض ، ولا بد أن يكون عقل المسكين قد طار البارحة » .

وقص المستر تومسون علىّ القصة ونحن فى طريقنا إلى أرض الملعب ، وقال إن جاس هـذا شاب سويسرى وزوج لولا مروّضة الأسود ، وهو يعدها أعظم امرأة فى العالم . وقد اعتاد أن يقف خارج القفص الكبير أثناء العرض، وأن يناولها السوط والكرسى وغـير ذلك مما تستخدم فى عملها ، وكان يحمل فى حزامه مسدساً محشواً .

وكانت قد قالت له : « عليك أن تستعمل هذا المسدس إذا وقع حادث غير منظور فى القفص ، ولكن عليك أن تكون على يقين من أن استعماله ضرورى » .

وكانت لولا وجاس فى إحدى المركبات المعدة للنوم لما شبت النار فى الملعب ، فوقع على جاس ما أفقده الوعى ، فلما أفاق ألفى نفسه راقداً على الأرض إلى جانب المركبات التى احترقت .

فوثب إلى قدميه وشق طريقه بين عمال الإنقاذ ، ورأى لولا راقـدة على ظهرها ، وكان قد سقط عليها قضيب من الحديد وهى تزحف والنار مشتعلة فيها تحت المركبة ، وخرق بدنها ونفذ منـه كالحربة وسمرها إلى الأرض ، ووقعت خشـبة كبيرة على صدرها ، ولكنها كانت لا تزال حيـة . وندّت عنها صرخات شـديدة حين حاول الرجال عبثاً أن يرفعوا الجانب المحطم من المركبة ، ولم يبق ثم سبيل إلى إنقاذها .

وإذا بالصراخ ينقطع ، فقد رأت جاس، وكان قد انحنى عليها والعرق يتصبب منـه وهو يتوجع ويحاول جاهداً أن يساعد على رفع الحطام .

وقالت له لولا كالهامسة : « جاس . إنه الآن ضرورى » .

فنظر جاس إلى الوجه الذى ارتسم فيه الألم . وتكلم طبيب فقال :

« لا أمل . ستموت قبـل أن يخلصها عمال الإنقاذ » .

وهمست لولا مرة أخرى : « إنه ضرورى! من فضلك ياجاس » .

فسحب جاس المسدس الذى لم يستعمله قط ، ووقف هنيهة يصغى إلى الأنة الطويلة من لولا الباسـلة التى لا تعرف الخوف ثم أطلقه ، فسكنت لولا .

هـذه هى القصة التى رواها لى المستر تومسون ونحن ماضون فى مركبته إلى الملعب .

وقصدت جاس فى خيمة اللبس ، وكان فيها رجلان يجادلانه ، وكان أحدهما يقول: « ليس فى وسعك أن تحل محل لولا فى القفص ، فما عملت قط مع السباع والنمور ، وستمزقك إرْبا إرْبا ولا شك ! »

فقال جاس: « لا بد أن اقوم بعملها » وكان لا يزال يبدو كالنائم بعينين مفتوحتين.

وقال الرجل الثانى : « أى خير تجنيه ياجاس من أن تدخل القفص وتؤذى نفسك ».

فعاد جاس يقول : « لابد أن أؤدى دورها . فقد وُعِدته » .

ولو كان جاس فى أى عمل آخر ، لاقتيد وحبس حرصاً على خيره ، ولكن الملعب عالم خاص . والذى يدور وراء وجه جاس المنتقع الشاخص العينين ، فى سترته الحمراء ، يعد حجة قوية ناهضة مشروعة .

وفى العرض الذى جرى عصراً جلست على مقربة من قفص السباع ، وشاهدت الأسود والنمور وهى تدخل من الدهليز ، وكانت الموسيقى تعزف والمتفرجون ينتظرون متلهفين . وتقدم المدير إلى حيث يقع عليه النور ، وارتفع صوته إلى الطبقة المعهودة فى الملاعب ، وأعلن أن لولا مروضة الأسود والنمور العالمية الشهيرة لقيت حتفها فى الكارثة ولكن زوجها سيحل محلها ، وهو مصمم على أداء دورها المنقطع النظير الذى يخطف الأنفاس ، والذى كانت تقوم به ملكة وحوش الأدغال .

ومشى جاس فى سترته الحمراء وحذاءيه اللامعين إلى باب القفص وفى يده السوط ، وتأثر الجمهور بهذا العزم على أن يستمر العرض مهما حدث ، فصفق بحماسة . ولكن مراقبى الملعب لم يصفقوا ، فقد كانوا يعلمون أن جاس يسير إلى حتفه برجليه .

ولمحت وجهه حين وقف هنيهة خارج الباب الصغير ، وكان وضّاء متشوّقاً ، وكان جاس يبدو كأنه حريص على موعد مع الزوجة التى تلقى رأسها رصاصته الرحيمة . وكان يخيل إلى أنى أرى لولا فى القفص — شبحاً بين الوحوش الزائرة الكاشرة ، ودار بنفسى لحظة أنى أعلم — كأنما أخبرنى جاس أنه يتطلع إلى الالتقاء بها ، وإلى أن يصبح معها ومع الوحوش التى كانت تحبها شيئاً واحداً .

وفتح الباب الصغير ودخل جاس فى القفص ، واحتبست أنفاسى وأنا أراقبه ، وفرقع جاس بالسوط ودعا الأسود والنمور بأسمائها كما تفعل لولا ، فهمهمت الوحوش فى وجه هذا الدخيل المزيف وتراجعت وهى تزأر .

ومضت عدة دقائق بدا فيها كأن دور لولا الشهيرة سيؤدى كما كان دائماً يؤدى «

وذهبت الأسود تدور وهى مغيظة ، وتمضى إلى براميلها ، وتسللت النمور بجوانب القفص إلى مقاعدها .

وإذا بدور لولا كله ينهار فجأة ، فقد وثب أسد عن مكانه ووثب نمران ، وانطرح جاس على الأرض ، والمخالب تمزقه والأنياب تنهشه ، واندفع رجال يحملون قضباناً من الحديد إلى داخل القفص ، وانطلق الرصاص من المسدسات .

وأرسل جاس إلى المستشفى بسرعة ، وعلمت من الأطباء أنه سينجو ، ولكنهم قالوا إنه سيخرج وقد فقد ذراعاً وساقاً .

وأرسلت الوصف إلى الجريدة ، وفى صباح اليوم التالى كنت فى مكتبى .

فحيانى المستر جيلروث قائلا : « هذه قصة لا بأس بها ، ولكن ماذا حمل الرجل على هذا العمل ؟ لا بد أنه كان مجنوناً ! »

وكان السر أخفى على المستر جيلروث منه على قارىء هذه القصة . ذلك أن ما نشرته الجريدة خلا مما فعله جاس تحت المركبة المحترقة فى الليلة السابقة . فقد حذفتُ أن جاس أطلق الرصاص على زوجته المتوجعة الصارخة لما عرف أنها لا محالة ميتة ، لأن الشرطة ليسوا أهل عاطفة كالصحفيين .

ومضى المستر جيلروث فى كلامه فقال : « نعم . قصة حسنة ولكنها غامضة قليلا . وقد فاتتك بعض الحقائق . وشعرت بهذا وأنا أقرؤها » .

والآن يامستر جيلروث ، بعد ٢٩ عاما ، هـذه هى الحقائق جميعها عن أعظم قصة حب شهدتها .

اختار جاويش شـاب ثياباً مدنية من أحـد محلات الملابس وجرب أن يرتديها أمام فتاة جميلة فى صحبته ، فنظرت إليه نظرة فاحصة ثم أصدرت حكمها قائلة : « لاتزال تبدو وسيماً » وحسب البائع أنه سيشتريها وسيشترى غيرها ملابس كثيرة .

فقال : « أحسب أنك قد خرجت من الجيش ، وأنك تأخذ أهبتك للحياة المدنية من جديد » .

فقال له الجاويش : « لا . إن صديقتى أرادت أن ترى كيف أبدو فى الملابس المدنية قبل أن تبتّ الرأى فى أن ترضى بى زوجاً لها » .

[هيلين فيا]

(من أعظم قصص الحرب — تقرأ فيها كيف أن حاملة الطائرات فرانكلين
نجت بعد أن حل بها أروع مأساة في تاريخ الأسطول الأمريكي)

بطولة سفينة

(كونتس رينولد
مختصرة من مجلة "كوليرز"

١٢ أمراً بالاستعداد للعمل في صدر أثناء الليل، ولكنه ما من طائرة معادية واحدة اجتازت النطاق، والآن طلع الفجر فكر اليابانيون عائدين إلى قواعدهم في أوكيناوا وكيوشو. وبدا يوم ١٩ مارس كأي يوم آخر من أيام العمل العادي لحاملة الطائرات الأمريكية «فرانكلين» التي كانت تمخر على مسافة ٥٣ ميلا من شيكوكو شرقاً على عتبة اليابان. وفي الساعة السابعة صباحاً انطلقت المقاتلات من فوق سطحها لتضرب كوبي ثم ساد السكون السفينة.

وكان كل امرئ يشعر بالاطمئنان، فقد كانت السفينة في وسط قوة ضرب كبيرة، وكانت دوريات القتال الجوي تحلق فوقنا. وكانت هناك ثلاثون طائرة من طراز «هل دايفر» دائرة المحركات فوق السطح الكبير استعداداً للتحليق عند اللزوم.

وكان الكبتن لزلي جيهرز واقفاً في برج القيادة ومعه ضابطه الجوي والملاح، يحدق في سحابة دانية مسفة. وفي مقصف السفينة الضابط جوزيف أوكالاهان، القسيس، يفطر مع لفيف من الضباط. وهو رجل دقيق الجسم أسمر يجري في محياه ماء الشباب وينطق بالصفاء والبراءة.

ثم كان ما لم يكن في الحسبان، وكانت الساعة قد تجاوزت السابعة بسبع دقائق، ولم يسمع إنذار ما، وإذا بانفجار يرج السفينة، وقبل أن يخمد الصوت، تلاه انفجار ثان حتى لكأنما كان صدى للأول.

ماذا جرى؟ لا أحد في المقصف كان يدري، ولكن الكبتن جيهرز في برجه كان يدري. فقد رأى طائرة يابانية ذات محرك واحد تومض خارجة من السحابة، وتنقض بسرعة ٣٦٠ ميلا في الساعة، وتقبل على مقدمة السفينة فرانكلين على ارتفاع ٧٥ قدماً، وتلقى قنبلة زنتها ٥٠٠ رطل قرب حافة السطح، وتدور حول السطح وتلقي قنبلة أخرى على المؤخرة. وقد كان الأمر كما قال الربان فيما بعد: «لقد كان هذا ما يحلم به طيار ياباني».

ثم ساد سكون مُنْذِر بقي ٣٠ ثانية،

ولم يكن أحد يدرى أن الهدوء ليس إلا مقدمة لأعنف مأساة فى تاريخ الأسطول الأمريكى .

ذلك أن القنبلة الأولى اخترقت الدرع الفولاذية إلى السطح الثانى وانفجرت بين مستودعات الوقود والطائرات . وسقطت الثانيـة بين الطائرات الدائرة المحركات فقذفت بعضها على بعض ، وضربت هيا كلها بمحركاتها الفولاذية . فغطى اللهب وسحب الدخان ، الطائرات والرجال والسطح .

وكان الضابط إدوين باركر الذى خرج بطائرته « كورسير » قد دار دورة حادة وتعقب الطائرة اليابانية ، وأطلق عليها مدافعه الرشاشة فهوت إلى البحر . ولكن اليابانى كان قد قام بعمله خير قيام .

ذلك أن فترة الثوانى الثلاثين الرحيمة قد انتهت . فامتد اللهب ، تحت السطح ، إلى القنابل والصواريخ ، فكأن الدنيا قد انتهت . فقد رفع الانفجار السفينة فرانكلين العظيمة وأمالها ميلا شـديداً إلى اليمين ، وانطلق من جانب السطح عمود من اللهب ارتفاعه ٤٠٠ قدم ، وانفجر السـطح فى عدة مواضع ، وخرجت صواريخ هائلة من الفجوات التى حدثت ، وذهبت فى الجو .

وبدأت الطائرات التى كانت فى المؤخرة تحترق بشدة ، وتفلتت منها القنابل الحارة وتدحرجت هنا وهناك ، وانطلقت الرصاصات من أشرطتها . وانطرح الرجال فاقدى الوعى على السـطح . وانطرح آخرون وقد فاضت أرواحهم على السطح الآخر .

واندفع مركز الاستخبارات الحربية إلى أعلى ، من شدة الانفجار الذى حدث به ، وقذف بالرجال فيه على الحديد فوقهم . وقد قتل كل رجل هناك على الفور ما عدا الملازم سيمون ، وكان الوحيد الذى يلبس خوذة . وعلى مقربة من هذا المكان ، وفى الحجرة التى ينتظر فيها الطيارون الأوامر مات إثنا عشر طيـاراً . ولا غرو فإن خمسين طناً من القنابل والصواريخ المخزونة قد مزقت أحشاء السفينة ، وخمسين طناً من الذخائر اخترقت سطوحها ، واثنى عشر ألف جالون من البـنزين احترقت فى جوفها ، حتى كان ربابنـة الطردات والمدمرات حولها وعلى مسافة أميـال منها ينظرون ويتوجعون ، إذ يرونها يعصف منها ٣١ انفجاراً كبيرا .

وحاول أوكالاهان أن يشق طريقـه يسرة إلى سطح الطيران حيث الجرحى ، فاعترضته حواجز من اللهب والمعدن الملتوى . وكان يعرف مقـدار ما تحمل السفينة من الديناميت والبنزين ، وأنه قد لا تمضى دقائق قليلة حتى تمتد النار إلى مخزن ينفجر فيقذف بالسفينة إلى السماء . كان يعرف ذلك ،

ويوطن نفسه على تلقى الموت فى هـدوء .

وتحسس طريقه فى دهاليز كلها دخان ، والتقى بجماعة من الرجال جزعين مستيئسين يحاولون أن يتسلقوا إلى السطح من مخرج كالكوة ، وقد تزاحموا عليه وتضاغطوا فحيل دون الخروج وخدرت أجسامهم .

فصاح بهم أوكالاّهان بلهجة الحزم : « واحداً واحداً أيها الفتيان ! » ولما آنسوا لهجة الأمر فى الصوت، زايلهم بعد، التوتر وثاب إليهم الرشـد . وكرر الأمر برفق : « واحداً واحداً » . فخرجوا واحداً بعد واحد من الكوة .

وكان كل رجل منهم يشاطر أوكالاّهان شيئاً ، فقد كان يتكلم لغتهم ، وكانوا يعرفون أنه صـديق . وإذا أصاب أحدهم مكروه فإنه يكون إلى جانبه ولا يعدم دفاعاً عنه . وكان يلاعبهم وينظم لهم الأغانى ، وإذا دخلت السفينة ميناء شاربهم البيرة . وكان كما يقولون : « لا يؤمن إلا باثنين : بالله ثم بالرجل المجنـد » . وفى أثناء ذلك كان الكومندر جو تيلور وكيل قائد السفينة يحاول أن يجد طريقه إلى البرج . وكان الجانب الأيسر من سطح الطيران عبارة عن خليط من الحطام والأبدان . وكان الدخان من الكثافة بحيث تسـتطيع أن « تمضغه وتبصقه » . وقفز تايلور إلى السطح وراح يزحف متخذاً من خطوط التحام الخشب مرشداً له . وأخيراً وصل إلى سطح الطيران ، ولكنه كان ملفوفاً فى الدخان واللهب حتى أنه لم يستطع أن يصـل إلى الأبواب ، غير أنه وجد سلماً مدلى فتسلقه وارتمى على جانب البرج ، وحياه جيهرز وقال له : « وجهك قذر جداً يا جو » .

وكانت كل سفينة فى قوة الضرب تفكر فى طريقة لنجدة الحاملة فرانكلين ، وكانت حوامل الطائرات الأخرى قد أرسلت طائراتها المقاتلة لحماية السفينة المنكوبة . وكانت أعمدة الدخان المتموجة تشاهد من أربعين ميلا وتكاد تبلغ الأرض اليابانية . وكان الطراد « سانتافيه » والمدمرة « ميلر » قد أقبلتا وبدأتا تسلطان خراطيم الماء على اللهب .

وطلب جيهرز من المدمرة والطراد أن تأخذا المصابين بجراح بليغة وجميع رجال الطيران . ولم يكن فى الأمر خيار ، فإن هؤلاء الرجال يجب أن ينقذوا ليقاتلوا فى سفينة أخرى .

ولما بارح أميرال الجو دافيسون السفينة قال لجيهرز : « يحسن أن تستعد لترك السفينة » . فقال جيهرز : « إذا أعطيتنى دورية جوية وبضع سفن فإنى أظن أن فى وسعى إنقاذها » ، فصافحه الأميرال وهز رأسه .

والقاعدة فى الأسطول أن قائد السفينة هو الرئيس .

وكانت الحاملة فرانكلين قد وقفت ومالت على جنبها الأيمن بمقدار ١٤ درجة ، ونأى بها التيار عن الطراد سانتافيه ، ولكن الطراد الذى كان يقوده الكبتن « فتز » دار ولصق بالجانب المائل ودفعه بقوة وسرعة . وقد قال جيهرز : « هذا أعظم ما رأيت من الأعمال البحرية البارعة » .

وظلت الانفجارات تتوالى ، فنسف مخزن فيه قنابل ، ولكن فتز على ظهر الطراد سانتافيه لم يعبأ بهذه الانفجارات ، ولا بالحطام المتطاير الذى كان يسقط على سفينته ، وفى جملته محركات طائرات .

ورأى جيهرز وهو فى برج القيادة أوكالاهان يدير خرطوما . وكان الذين طرحتهم الصدمة على السطح ينهضون حين يرونه ويتبعونه .

وكانت القنابل الحارة لا تزال تتدحرج فوق السطح ، فلو أن الماء المتدفق من الخرطوم أصاب رءوس القنابل الحساسة لانفجرت . ولهذا كان أوكالاهان يوجه خرطومه إلى السطح على مسافة قدم من القنابل ويرشها رشا خفيفا لتبترد ، وإن كانت النيران متسعرة من حولها . وكان الدخان ثقيل الوطأة فلا يستطيع أن يحتمله الإنسان إلا دقائق قليلة . وكان الرجال يرتدون وقد كادوا يختنقون ، فيدعو أوكالاهان رجالا آخرين وكأنه هو من حديد . وقد قال جيهرز فيما بعد : « إن أوكالاهان أشجع رجل رأيته فى حياتى » .

وهددت النار مخزنا للقنابل فى جوف السفينة ، وفطن أوكالاهان إلى الخطر ، فاندفع داخلا إلى المخزن مناديا فى الناس أن يتبعوه ، وكانت الحرارة قد أذابت الدهان عن الصناديق المقفلة ، وبدأ دخان كثيف أخضر يخرج ، فانطرح أوكالاهان تحت الصناديق والقنابل ، ثم عاون على حملها وإخراجها وإلقائها فى الماء .

وكان البنزين المشتعل ينتشر على السطح المائل ، وكانت ألسنته السابحة تأكل ما تجد ، فأدار أوكالاهان خرطومه وسلطه عليها وغمرها . واستمر الكفاح فى سبيل النجاة .

وكان بين الكثيرين الذين خاضوا هذه المعركة الملازم دونالد جارى الذى ظل يعمل فى البحر ثلاثين عاماً . وكان جارى يعرف أن كثيرين قد وقعوا فى مثل الفخ فى غرفة الطعام . فشق طريقه إليهم وسط النار والماء والانفجارات – لا يدرى أحد كيف ؟ وكان فيها ثلاثمئة من الرجال . وللغرفة أربعة مداخل : ثلاثة منها نسفتها الانفجارات والحرارة ، والرابع على ما يبدو أوصدته النار ،

ولكن جارى نفذ . وصاح : « اجعلوا من أنفسكم سلسلة ، وليمسك كل رجل برجل أمامه ، واتبعونى جميعاً . تعالوا كل عشرين معاً » .

ولم يكن لمصباح جارى الصغير نفع أو أثر فى الدخان الأصفر الكثيف الذى ملأ الممرات والدهاليز ، ولكنه وجد منفذاً للتهوية فمضى برجاله إليه ودفع الباب ودخل وبدأ يصعد . وتبعه الرجال وما لبثوا بعد دقائق قليلة أن انطرحوا على سطح الطيران وهم يفهقون . وقد رجع جارى مرات وأنقذ كل واحد من الثلاثمئة . وقد رشحه جيهرز فيما بعد لأعلى وسام حربى فى أمريكا وهو وسام الشرف الذى يمنحه الكونجرس.

وتسنى أن تعود السفينة إلى قريب من الاعتدال ، وذلك بنقل الماء والزيت من خزانات فى اليمين إلى خزانات فى الشمال ، وقرر جيهرز أن يقبل أن يجره الطراد بتزبرج ، وبدأ ثلاثون من رجال الحاملة فرانكلين يشدون الحبل الغليظ . وهذا عمل تقوم به الآلات الرافعة فى العادة ، ولكنه لم يكن هناك تيار كهربائى .

وجعل الرجال يغنون وهم يشدون الحبل: « هيله .. هوب ... » وكان الحبل الضخم يرخى ويشد على التوالى ، وكلما شد سحبت منه بضع أقدام على السفينة .

وبعد أن أعد كل شىء ، بدأ الطراد بتزبرج يسحب الحاملة فرانكلين على مهل ، وبذلك تيسر على الأقل أن لاتكون السفينة فرانكلين هدفاً ثابتاً للطيارات اليابانية حين تجىء . وكان معظم مدافعها معطلا ، حتى لو كان البحارة غير مشغولين بإطفاء النار عن إدارة المدافع .

ولاحظ جيهرز أن بطارية مدافع من عيار ٤٠ مم لم تمس بسوء ، ولكن هل يستطيع أن يجد من يديرها ؟ وكان جيهرز يفكر أحياناً بصوت عال فسمعه بحار فى التاسعة عشرة ، اسمه واللى يحدث نفسه .

فقال واللى : « بعد استئذان الكبتن أرجو أن يسمح لى بإدارة البطارية » .

فقال جيهرز متبرما : « وماذا تعرف عن المدافع عيار ٤٠ مم ؟ »

فقال: « أنا من مشاة البحرية ياسيدى ».

« حسن ، فاذهب وافعل » .

فانحدر ، وبعد نصف ساعة رآه جيهرز عند البطارية ومعه سبعة آخرون ، فقد جمع واللى اثنين من الطهاة ، ومدفعيا ، وكاتباً ، واثنين من فرقة الموسيقى ، وواحداً من مشاة البحارة . وما كاد يفعل حتى ظهر فى الأفق على بعد نفحات سوداء ، فقد أقبلت طائرات العدو ، وصارت النفحات أدنى لما بدأت السفن القريبة تطلق

نيرانها . فانحنى واللى على نظارات بطاريته .
ثم انقضت طائرة معـادية على السفينة فرانكلين فأطلقت البطارية عليهـا النار ، وكان الرجال يديرون المدافع بأيديهم لأن الكهرباء انقطعت ، وأقبلت الطائرة بسرعة ثلاثمئة ميل فى الساعة ، فلما كانت على مسافة مئة ياردة من السفينة ، مالت ميلا حاداً ، فقد أصابتها المدافع إصابة كافية لإفقادها التوازن ، فألقت قنبلة أخطأت السفينة ووقعت على ٢٠ قدما ، فارتجت السفينة ، ولـكنه لم يصبها سوء وأنقذ واللى ورفاقه الحاملة من إصابة كانت خليقة أن تكون وبيلة .
وحاولت الطائرات اليابانيـة مرتين فى العصر محاولة مستيئسة أن تضربها ، ولـكن الأسطول كله كان يجاهد الآن لإنقاذ هذه السفينة المدهشة التى تأبى أن تهلك ، وأصيب أكثر من ٤٠ طائرة يابانية .

وكان أوكالاّهان لا يزال يكافح النيران ولم يصبه كلال بعد عشر ساعات من العمل . وقد بلغ من شدة الوقدة والحر أن الفولاذ نفسه كان يبدو فى مواضع مضطرما متوهجا ، ولـكنه ظل يمشى بين النار والدخان بخرطومه ويخرج سليما ، وبدأ الناس يعتقدون أنك لابد ناج مابقيت معه . فكانوا يحتشدون حوله ويسألون : «ماذا يجب أن نصنع بعد هذا ؟ » .
وكان يشير من حين إلى حين إلى البرج

وكان جبهرز منحنياً بجسمه الضخم على الحاجز ، فكنت تستطيع أن تراه إذا حولت الريح الدخان عن ناحيته ، فكان أوكالاّهان يقول : « انظروا إلى الكبتن هناك ! إنه لا يبدو عليه قلق فلا تخذلوه ! »
وبعد المساء تلقى جبهرز نبأ بأن اليابانيين قادمون ، وأن طائراتهم كثيرة العدد . فابتسم فقد بدأ يعتقد أن سفينته غير قابلة للتدمير ، أو كما قال الكومندر تايلور : « إن السفينة التى تأبى أن تغرق ، لا يمكن إغراقها » . وكان على حق . وقد قال جبهرز فى تعليل ذلك : « إن الطائرات اليابانية أبلغت الموقع الذى كنا فيه قبل ست ساعات . غير أننا سحبنا مسافة أربعين ميلا منذ ذلك الوقت . فقصدت الطائرات إلى ذلك الموقع ، وألقت القنابل المضيئة ولم ترنا فعادت أدراجها » .

وتقدم الليل ، وخلصت أنفاس جبهرز ، فأشعل سيجارة وتنفس نفساً عميقا . فتأدى إليه صوت يقول بلهجة الاحترام : « راقب بقية السيجارة فى يدك يا كبتن ! فإن السفينة فى إظلام » .

فرمى جبهرز السيجارة فى البحر بحركة آلية والتفت ليرى هذا المجترىء على توبيخ الكبتن ، فإذا به واللى « من مشاة الأسطول » فابتسم جبهرز . وحدث نفسه إن هؤلاء بحارة عظام يطيب للإنسان أن

يراهم حوله حين تحل بساحته المتاعب . وحاول أن يصرف نفسه عن التفكير في الموتى.

وكان المهندسون في جوف السفينة قد لازموا مراكزهم ، وإن كان كثيرون منهم قد أغمي عليهم من شدة الحرارة التي بلغت ١٣٠ . فلما كان الضحى استطاعوا أن يديروا الآلات ، واستطاع جيهرز أن يستغني عن الحبل .

فهتف البحارة في السفن المحيطة بالحاملة فرانكلين حين رأوا هذه السفينة الجبارة المحطمة تسير بقوتها وعلمها يخفق على صاريها المكسور. فقد رأوا هذه السفينة مضطرمة من نيران عديدة مستعرة بها ، وكانوا يتوقعون أن تغطس في أية لحظة ، ولكنها بقيت سابحة مائلة قليلا ، والدخان ينبعث من سطحها الثاني ، ومن عشرين فجوة في سطح الطيران ، ولكنها تتحرك ، ولا تزال على قيد الحياة .

وكان على ظهر حاملة الطائرات أكثر من ثلاثة آلاف رجل في صباح يوم الاثنين التاسع عشر من مارس ، فالآن قتل أو جرح أو فقد ١٩٤٦ — وتلك أعظم خسارة منيت بها سفينة من أسطول الولايات المتحدة. ولما كان « من لا لزوم لهم » قد نقلوا منها ، فإن الذين جاءوا بها إلى بيرل هاربر لم تتجاوز عدتهم ٧٠٤ من الضباط والبحارة . ولكل اليوم بطاقة عضوية في النادي رقم ٧٠٤ — وهو أشد أندية العالم حرصاً على الاقتصار على أعضائه الأصليين الذين نازلوا الموت معاً ونحّوه جانبا .

وفي بيرل هاربر وقف كل اميرال في هواي على الرصيف ليقدم احترامه لحاملة الطائرات فرانكلين ، كما حيتها كل سفينة في الميناء . وكان الناس ينظرون إلى الفجوات العظيمة فيها وهم لا يكادون يصدقون أعينهم. وتطوعت ثلاثون امرأة من المجندات لينشدن أغنية الترحيب في هذه الجزائر — « ألوها » فارتفعت أصواتهن الصافية بالألحان الشجية لهذه الأغنية التقليدية .

وسارت السفينة فرانكلين إلى الرصيف، واصطف رجالها على السطح في نشاط وقوة — حتى الذين جراحهم يسيرة وهم ٢٧٠ . وصعدت الفتيات عيونهن فتلعثمن.. وانقطعت أصواتهن . . وماتت الأغنية . فما كان أحد يستطيع أن ينظر إلى هذه السفينة المنكوبة ، دون أن تخور قواه — لا أحد إلا بحارتها .

وكان أوكالاهان هو الذي رفع عقيرته أول من رفع بالغناء ، وتبعه البحارة جميعاً . وكان جيهرز في برج القيادة فغمز جو تايلور وابتسم حين رأى هؤلاء الرجال الذين عادوا من وادي الموت يغنون بقوة .

أصدق صديق للإنسان

— ٣ —

ألن ديفو

لم يكن كل ماورثته الكلاب من أسلافها الأوائل فى زمن توحشها هو الغرائز المتقادمة والإدراك العجيب ، بل كان مما ورثته خاصة ، وفاؤها الذى أكسبها إياه طول صحبتها للإنسان على مر القرون . ومن أجل ذلك صارت الكلاب موضوعاً لكثير من الحكايات المدهشة . وهذه طائفة من رسائل القراء إلينا :

البصيرة المدركة :

كان كلبنا « تنكر » شديد المضايقة لنا فى المنزل ، فهو دائما يعترض الطريق حتى يعثر به كل ماش على درج السلم . وهو يسابقنا إلى الباب إذا دق الجرس ، ويأبى أن ينزل عن الكرسى المريح إلا بالقوة الغاشمة . ثم جاءت عمة لنا لتقيم معنا ، فاستحال « تنكر » أديباً وديعا ، فتراه ينتظر فى أعلى السلم حتى تنزل عمتنا . وكان يتنحى عن طريقها إذا مشت فى غرف البيت ، وكان الكرسى المريح مثواه ومقره حتى يسمع حسها وهى تقترب، فعندئذ يثب عنه إلى الأرض ويرقد هادئا تحت أقدامها .

ولسنا ندرى كيف استطاع « تنكر » أن يدرك أن عمتنا كانت عمياء كفيفة البصر .

[بتى مليجان]

حيلة :

كانت كلبتنا « توبى » تنام وحدها فى سلة فى غرفة الجلوس . ولما كبر ابنها «سامى» كانت تجده إذا حان وقت النوم نائماً فى سلتها ليلة بعد ليلة . فلجأت توبى إلى حيلة : فكانت إذا وجدت سامى نائماً فى سلتها تخطته فى هدوء ذاهبة إلى المطبخ ، وأخذت عظمة وجعلت تقرع الأرض بها حتى يستيقظ سامى ويهرع إلى المطبخ . فإذا جاء تركت له العظمة وأسرعت إلى السلة واندست فيها وجعلت تتصنع أنها تغط فى النوم .

[روبرت سومر هوف]

رسالة

كان يبدو على « سمدج » كلب الصيد الأسود أمارات الحزن كلما ارتديت ملابس الطيران وخلفته ورائى . وكان يبتهج لمرآى

حينما أعود . ولكن حدث مرة حين عدت من إحدى الغارات أن فاقت حفاوته بى كل حد ، فقد أخذ ينبح نباحاً عالياً ، ويتوثب ويبصبص بذنبه ويهزه هزاً عنيفاً ، ولا يكف عن لعق يدى .

وسألنى أحد الرجال مستغرباً : « لقد كنت فى شدة مدة عشرين دقيقة هذه الليلة ، أليس كذلك ؟ فى الدقيقة العاشرة بعد الثامنة ؟ لقد أحضرت عشاء سمدج وجعل يأكل كعادته ، ثم إذا به يكف عن الأكل ويحملق بعينيه ويهمهم . ثم جعل يدور فى مكانه تندّ عنه أصوات محزنة ، وأخيراً جثم فى ركن وبسط يديه وألقى برأسه بين يديه . وقد نظرت فى الساعة عندئذ ، فلما كانت الثامنة والنصف تماماً قام سمدج من ركنه وانتفض انتفاضة ونبح وبصبص بذنبه ، وعاد إلى طعامه فأتى عليه. قل لى ياسيدى هل وقع لك شىء فى غارتك الليلة » .

فى الدقيقة العاشرة بعد الثامنة فى تلك الليلة لقيت أنا ورجال طائرتى أشد عناء عرفنا فى حياتنا . فلقد شبت النار فى طائرتنا فبذلنا فى إخمادها كل جهد ، ولما تم لنا ذلك واطمأنت نفوسنا إلى عودتنا سالمين إلى إنجلترا ، كانت الساعة الثامنة والنصف .

[ضابط الطيران هـ . ل . ماكاى]

وأنا أيضاً

نقلنا من مخيمنا الجبلى إلى مخيم غيره فى الجانب الآخر فى غور عميق ، وكنا ننقل متاعنا على مرات على عربة نجتاز بها القنطرة الضيقة التى تمتد على الهوة . وحسبنا أننا قد انتهينا ، ولكن يظهر أننا وقعنا فى سهو بسيط . فقد رأينا كلبى الصغير « شاركى » يجهد جهده ليعبر القنطرة ، وهو ينظر إلينا بعيون ملؤها العتاب، وهو يجرر صحفة طعامه .

[هلين شوم]

مفقود وموجود

كان لى وأنا فى الهند كلب صغير اسمه « برونى » ، وكان يسره أن يصحبنى إلى لعبة الجولف ليقدم لى ما وسعه من معونة ، فكان إذا ماجعلت أتدرب على ضرب الكرة يجرى ويستعيدها لى ويحملها إلى فى رفق، حتى لا تؤثر أسنانه فى الكرة . وكان إذا ما لعبت يرقب الكرة فى مسيرها ، ويهرع إلى المكان الذى نزلت فيه . ولن يستطيع أحد أن يزحزحه من مكانه حتى يستوثق أن عرفت موضعها . وكان برونى يجيد العثور على الكرات المفقودة .

وحدث ذات يوم أن وقعت كرة فى حقل أرز فى وحل كثيف تغوص فيه

الأقدام ، وهرع إلى المكان الذى وقعت الكرة فيـه نفر من أولاد الهنود الذين يرافقون اللاعبين يتحسسون الكرة بأقدامهم فى الوحل . وامتنع برونى عن الاشتراك معهم فى البحث عن الكرة ، ولم يزد على أن جلس يرقبهم . فجعلت أغريه وأحفزه، ولكن على غير جدوى، ولما غاظنى إباؤه زجرته وأمرته أن يعود إلى المنزل .

ونظر إلىّ برونى لحظة وقـد مال برأسه الأغبر ، وبدت فى عينيـه أمارات الاستغراب . ونزل بكل ما يسع كلباً مثله من الكبرياء ، إلى الماء ، واتجه إلى أحـد الأولاد وأشار بما وسـعته الإشارة إلى طيات ثوبه عند خصره ، فمددت يدى إلى الولد وقد تملكتنى وتملكت الولد الدهشة ، فأخرج الكرة فى خجـل من بين طيات ثوبه حيث خبأها .

[فكتور هيجو سورد]

بالتقسيط

دربت « فيكى » منذ صـغرها على أن ترقب قدوم ساعى البريد ، وأن تحمل لنا ما يصل من الرسائل بين أسنانها . فلربما حملت إلينا ست رسائل مرة واحدة. وكنا نعطيها قطعة من فطير الكلاب مكافأة لها .

وجاءت فيكى ذات يوم تسعى إلىّ جاهدة وألقت برسالة تحت قدمىّ . فلما أعطيتها قطعة الفطير أخذتها وخرجت من الغرفة ، وبعـد دقائق جاءت وبين أسنانها رسالة أخرى،فعجبت لذلك، ولكنى أعطيتها قطعة أخرى من الفطير كعهدى معها .

ولكنى وددت أن أفحص سر الأمر،فذهبت فألفيتها راقدة فى كرسيها المختار تمضغ آخر قطعة من الفطير، وتحت أحد أقدامها رسالة أخرى أمسكتها لكى تسلمها لى فيما بعد .

[بفرلى وود]

خيبة معجب

كانت إحدى المعجبات بالكاتبة الروائية فيكى باوم تتمنى أن تراها ، فلما رأتها أول مرة أقبلت عليها وقالت : ما أبدع أن أراك يامس باوم شابة وشقراء . فقد كنت أتصورك أكبر كثيراً وسمراء اللون

فردّت الكاتبة : وكذلك أنا يا عزيزتى .

[لوشوس بيب فى صحيفة « هيرالد تريبون »]

أشياء لا تعرفها عن الحب الوحيد
الذى يزرع فى جميع أرجاء العالم

انقلاب فى زراعة الذرة

كيرت ستيل . مختصرة من مجلة "هاربرز"

ولقد بذر ، فى سنتنا هذه ، أربعة ملايين ونصف مليون من الزراع الأمريكيين ٢٫٤ مليون إردب من حبوب الذرة ، ولوكان ما نثرت فيه حقلا واحداً لبلغت مساحته عشرين ضعفاً من الأرض المزروعة فى مصر تقريبا ، ولكان المحصول أكثر من ٥٥٥ مليون إردب — أو ملء قطار يبلغ طوله نحو نصف محيط كرة الأرض . والذرة فى الإحصاء أعظم محاصيل الزراعة الأمريكية قاطبة — مساحة مزروعة أو محصولا أو ثمناً . وقيمة محصول الذرة فى أمريكا تعدل قيمة ما تنتجه من محاصيل القطن والقمح والشوفان مجتمعة.

ولقصة الذرة أثر فى النفس يفوق أثر الأرقام الضخمة ، وهى منذ مطلعها قصة تكتنفها الأسرار . وليس هناك من يعلم كيف نشأت الذرة ، إنها كاللقيط بين سائر أنواع الحبوب ، لا يعرف لها نسب ، ولعلها أرادت أن تعوض ما حرمته فربطت مصيرها بالإنسان ربطاً وثيقا، واعتمدت على معونته قروناً متطاولة حتى تبقى ولا تنقرض. ولم ير أحد قط ذرة برية تنمو بغير معونة الإنسان ، ولم كان ذلك ؟ انظر إلى كوز من الذرة تر الحبوب قد لبست غلائل محكمة متراكبة طبقات على طبقات ، فإذا سقط الكوز على الأرض منعت الغلائل حبه من أن ينبت ، فإن نبتت على وجه ما ، رأيتها كثيرة كثيفة تتزاحم على طلب الغذاء ، حتى يقضى بعضها على بعض فتموت جوعا .

ونحن نعرف أن الذرة نشأت بمكان ما فى أمريكا الشمالية أو أمريكا الوسطى ، وربما كان فى المكسيك أو جواتيمالا . وما فتئت الذرة تزرع فى الشق الغربى من الأرض دهراً يزيد على عشرين ألف سنة ، فلما نقلت زراعتها إلى أوربا فى القرن السادس عشر ، لاءم النبات من فوره بيئته الجديدة ، فهو اليوم النبات العالمى الوحيد . ذلك بأن الذرة تنمو فى أية أرض يزرعها الإنسان .

فالانقلاب الذى يطرأ على زراعة الذرة

له قيمة لا تقدر فى تغذية عالم ضعضعته الحرب وفى تعميره ، وقد حدث هذا الانقلاب ، وكانت الذرة « الهجينة » هى سر الانقلاب.

وفى وسع المرء أن يتبين مظاهر هذا الانقلاب العلمى من نافذة قطار فى كل ولاية من الولايات الأمريكية ، إلا أربع ولايات هى إلينوى ، وأيوا ، وأهايو ، وإنديانا ، تم الانقلاب فيها حتى لا يكاد الباحث يرى للنظام القديم فيها أثراً باقيا . ولم يزل الانقلاب يطوى الولايات الثمانى والأربعين طيا حثيثا (والذرة تزرع فى الولايات المتحدة جميعا) .

ويرى المسافر أول ما يرى حقلا ثائر النبات كرأس الأشعث ، كما كان يُرَى منذ آلاف السنين — وعلى بعد مئتى ياردة من هذا الحقل يرى حقلا آخر سَوِيًّا كأنه هامة مُرَجّلة الشعر .

يرى المسافر فى الحقل الأول بعض النبات سامقا دقيقا وبعضه قصيراً غليظا ، وتكون كيزانه على سوقها عالية أو دانية أو بين بين ، ويرى مئات السوق وقد حطمتها الرياح والبرَد أو اقتلعتها . أما فى الحقل الآخر ، فالنبات أشباه متماثلة كأنها التوائم ، فليس به ساق واحدة محنية ، وأما الكيزان فمعلقة فى نظام واحد ولا يزيد ارتفاعها على نصف قامة الرجل .

فإذا جاء الحصاد ، وجب على زارع الحقل الأول أن يجمع محصول الكيزان بيده ، حيث لا توجد آلة تجمع كيزان الذرة وفقا لارتفاع الكيزان وانخفاضها . ويقشر العامل المدرب ما يقرب من ١٨٫٥ إردب من الكيزان فى اليوم الواحد ، أما فى الحقل الآخر ففى وسع صبيين من تلاميذ المدارس أن يقودا جرارة ركبت عليها آلة تقطف وتقشر ١٨٥ إردبا من الكيزان فى اليوم الواحد . وفى مناطق كثيرة من ولاية إلينوى وولاية أيوا تستعمل الآلات فى حصاد ٩٠٪ من محصول الذرة . وفى سنة ١٩٢٥ كانت زراعة فدان من الذرة تستغرق ١٤ ساعة من ساعات العمل اليدوى المضنى ، فخفضت الآلات هذه المدة فى أحسن المزارع إلى ست ساعات وحسب

وفى فصل الخريف الماضى ، لم يحسب الزارع القديم حساب المال اللازم للحب ، فاستعمل للبذر أحسن الكيزان منظراً ، وقد احتجزها من محصوله . أما المجددون من الزراع ، فقد دفع كل رجل منهم فى هذا الربيع ما يقرب من ثمانين ريالا إلى منتجى بذور الذرة الهجينة ، ثمنا لما يكفيه فى زراعة حقل مساحته ٦٠ فدانا . وسيزيد محصوله نحو ٤٫٦ إردب فى الفدان الواحد

عن محصول جاره — وهذا يكفى حتى يزيد دخله ما يقرب من تسعمئة ريال .

وقد تخفى عليك سائر مناقب الذرة الهجينة ، ولكنها ستكون أخطر شأناً على الزمن . ومثال ذلك أن جامعة إلينوى قد استنبطت سلالات فيها ضعف ما فى الذرة العادية من البروتين أو ضعفان ، وثلاثة أضعاف ما فيها من الزيت . وتمتاز سلالات أخرى بكثرة ما فيها من عناصر معينة زادت زيادة كبيرة ما يصنع من مادة البنسيلين على نطاق واسع ، ويعد منقوع الذرة — وهو ناتج ثانوى فى صناعة النّشا — عنصراً رئيسيا من عناصر البنسيلين .

ومنذ عشر سنوات كانت نسبة الذرة الهجينة إلى الذرة المزروعة بولاية إلينوى أقل من نصف فى المئة ، أما فى هذا العام فإن ٩٨ فى المئة من محصول الذرة فى هذه الولاية سينتج من بذور هجينة ، وتكاد تصل هذه النسبة فى ولاية أيوا إلى ١٠٠ ٪

وليس العجب أن يطرأ هذا الانقلاب فى عشر سنين على حبة هى أقدم فى التاريخ من هنود الأزتيك ، بل العجب حقاً أن لم يحدث هذا الانقلاب إلا أخيراً بعد آلاف من السنين . ذلك بأن الكشف عن الذرة الهجينة لم يكن فى حاجة إلى الآلات الحديثة أو إلى معلومات علمية معقدة ، بل إلى الصبر والكدح المستمر — ولهنود المايا والأزتيك منهما النصيب الأوفر — ثم إلى البراعة ، وهى وحدها التى كانت تعوزهم .

والذرة الهجينة ثمرة يانعة من ثمرات البراعة ، أعان على معرفتها ما يتميز به نبات الذرة من تركيب خاص . فهذا النبات يختلف عن سائر الحشائش والحبوب ، إذ كان يحمل زهرتين مختلفتين بدلا من واحدة على كل ساق ، فالنُّوّارة المذكرة (الشرّابة) التى تكون فى قمة الساق هى التى تنثر اللقاح . وتجد تحتها الزهرة المؤنثة ، وهى الكوز المتفرع على الساق ، وقد زينته خصل الحريرة . وتسقط حبوب اللقاح من النُّوّارة على الحريرة اللزجة ، فتلقح الزهرة المؤنثة ، فتغدو كوزاً كامل التكوين . وتنشأ كل حبة من حبوب الذرة عن جرثومة لقاح واحدة لا ترى إلا بالمجهر .

وتخرج النوارة الواحدة من جراثيم اللقاح ما يزيد على عشرين ألف ضعف مما يحتاج إليه فى تلقيح الكوز القائم على نفس الساق . ويطير غبار هذا المدد الوافر من اللقاح مع النسيم فوق بقية الحقل . ففى حقول الذرة التى كنا نعهدها ، يصيب كل كوز أثناء نضجه جراثيم لقاح من نُوّار مذكر (شرابات) من مئات مختلفة من النبات . ولما كان لكل نابتة فيها طابع

خاص — كطول الكوز أو قِصره، وارتفاع الساق أو قصرها، وكثرة ما فيها من النشا أو قلته، فإن المحصول الناتج يصبح خليطاً ملفّقا.

وتحل التربية المحكمة من الذرة الهجينة محل هذا الخلط الأعمى، ومنهج التربية هو البساطة بعينها، مع كثير من الصبر على العمل. فيبدأ العمل باستنبات سلالة نقية من الذرة بتوليدها من ضروب بينها صلة قُرْبى، وتقتضى هذه الطريقة تلقيح الكوز بجراثيم لقاح فى نفس الساق التى يقوم عليها لا من جراثيم ساق غيرها. فيربط كيس حول النوارة المذكرة لتجتمع فيها جراثيم اللقاح، ثم يفرغ ما فى هذا الكيس باليد على الكوز. ومن أجل ذلك ينبغى تغطية جميع نوارات الحقل بأكياس. وبعد سبع سنين تمضى فى هذا العمل الثقيل الشاق، تخرج سلالة من الذرة خليقة أن تكون ثابتة الخواص عاماً بعد عام، إذا زرعت على بعد لا يقل عن مئتى ياردة من أى حقل آخر للذرة.

ومن السلالات الخالصة المولدة من ذوى القربى، ما يمتاز بخواص تشتد الحاجة إليها، ومنها ما تقل الحاجة إليه. مثال ذلك أن سلالة ما قد تنتج ذرة تحتوى على نسبة عظيمة من النّشا، ولكن ساق نباتها ضعيفة. وتفتقر سلالة أخرى إلى النشا، وإن كانت سوقها أقوى وجذورها ضاربة فى جوف الأرض، فتولد من السلالتين سلالة وافرة النشا متينة السوق.

وهذا التوليد من سلالتين خالصتين يقتضى استمرار العمل المضنى سنة أخرى، فيعاد جمع جراثيم اللقاح باليد، ولكنها فى هذه المرة تنقل، من نوارة إحدى السلالتين إلى كوز السلالة الأخرى، ثم يولد هجين آخر من الجمع بين سلالتين مولدتين، فيرث خواص أربع سلالات نقية من أجداده. وهذه هى البذور الهجينة التى تباع فى الأسواق، ويقتضى إنتاجها أن تبقى مئة فدان من أجود الأراضى عشر سنين لا تأتى بمال، على حين تزداد نفقات العمل ازدياداً فاحشا. وقد تجرب ألف تجربة فلا تنجح سوى واحدة منها تأتى بحب يصلح للتجارة.

ومتى ظفرت بهذا الهجين المزدوج، كان فى وسعك حينئذ أن تنتجه عاما بعد عام، فتزرع فى حقل واحد الضربين اللذين تولد منهما الهجين المزدوج، فتسمى ما شئت منهما «ذكراً» والآخر «أنثى». ويزرع من الأول صفّ واحد ومن الآخر ثلاثة صفوف. فإذا ما ظهر النوار المذكر (الشرابات) فى شهر يوليه، خرجت جماعات من الفتيات يركبن عربات عالية تشق بهن الحقل، فيقتطفن النوار من

صفوف الأنثى كلها ، ويجب تكرار إزالة النوار مرة فى كل يومين مدة ثلاثة أسابيع تقريبا ، وقد تبلغ تكاليف هذا العمل نحو عشرين ريالا فى الفدان الواحد . ولما كان نبات « الذكر » هو الوحيد الذى يبقى عليه نُوّاره، فهو وحده الذى يستطيع أن ينثر جراثيم لقاحه على الحقل، و لذلك تلقح صفوف الإناث .

فبذلك تجمع كيزان « الإناث » بين خواص كلتا السلالتين ، فإذا ما حصدت هذه الكيزان حملت إلى حيث تستبعد منها الحبوب التالفة ، ثم تلقى الكيزان فى مطامير يدفع فيها هواء ساخن جاف حتى تقل نسبة الرطوبة التى فيها ، فتهبط من ٣٠ فى المئة ، وهى أعلى نسبة ، حتى تبلغ ١٢ فى المئة ، ثم تنزع حبوب الكيزان الهجينة بعد ذلك ، وتصنفها الآلات أصنافاً بحسب طولها وعرضها وسمكها ، وأخيراً تخزن الذرة لتباع فى الربيع للبذر — وتكون مضمونة فى إنتاج محصول متماثل النِّبْتة .

كل هذا يختلف اختلافاً كبيراً عما كان يوم كان الزارع يختار كومة من الكيزان فيضعها جانباً لتكون بذراً . فإذا استعمل الزارع الذرة الهجينة فكأنه نزل عن حقه فى إنتاج بذوره بنفسه ، إذ هناك خاصة أخرى مميزة للذرة الهجينة — فهى لا تستطيع إنتاج نسل يشبهها ، بل يكون نسلها نسلا متخالفاً متباينا فيما ورث من الخواص عن آبائه وأجداده — كما يختلف الأولاد فيما يرثون من المَشابِهِ عن أجدادهم الأربعة أو أحد أسلافهم القدماء . وإذن فحب الذرة الهجينة ينبغى أن يولد كل سنة من السلالات الخالصة التى ولد منها أولاً .

بدأ منهج تربية حبوب الذرة الهجينة فى سنة ١٩٠٥ على يد « أ . د . شامل » بجامعة إلينوى ، و « ج . ه . شول » بجامعة برنستون ، ثم تعهدته مراكز الأبحاث وجماعات الزراع الذين يؤثرون اتباع القواعد العلمية ، وكان ليستر فيستر من ألبازو بولاية إلينوى ، أحد روّاد هذا الكشف ، وكان جيرانه يسخرون منه ، وهو يصرّ معانداً على توليد سلالات الذرة ، حتى ركبه دين مقداره ٣٥ ألف ريال . وبعد أربعة أعوام بلغت تجارته فى حبوب الذرة مليون ريال فى السنة . وقد كان هنرى ا . ولاس — وزير التجارة الآن ووكيل رئاسة الجمهورية سابقاً — رائداً آخر . ويوجد اليوم خمسة من كبار المنتجين وعشرات من صغارهم يتولون توليد الذرة لجيرانهم .

ولا تقتصر منافع الذرة على ما نعهده من استعمالها فى الغذاء والعلف ، بل هناك أكثر من ثلاثين صناعة حديثة — من البضائع

القطنية إلى الفولاذ والمفرقعات — تعتمد الآن على نشا الذرة الفضى . وقد استعمل فى العام الماضى أكثر من مئة مليون رطل من صمغ الدكسترين (وهو نوع من النشا المسخن) فى جميع أغراض اللصق — فى الظروف ولفائف الطباق وفى لصق ألواح الألمنيوم فى المسابك . وقد استخرجت منها مادة جديدة أغنت عن مادة «التابيوكا» التى تستعمل فى الحساء، والتى كانت تستورد فيما مضى من الهند الهولندية الشرقية، ويقدر العارفون اليوم أن كل رطل من الحلوى والشوكلاتة تحتوى على نحو ربع رطل من منتجات الذرة .

وللذرة اليوم منافع طبية كثيرة فى تحضير البنسيلين، وأقراص السلفا، وفيتامين ج المركب، وفى «الريبوفلافين» أحد أنواع الفيتامين الذى يجعل الخبز أوفر غذاء، ولا غنى عنه فى طعام المصابين بمرض السكر .

ويستعمل الحمض اللبنيك (اللكتيك) المستخلص من الذرة فى منع الصدمات العصبية التى تسببها الحروق الشديدة .

وتصلح سيقان الذرة لصناعة الورق وألواح الجدران ، وتستخدم القوالح فى أغراض كثيرة كإنتاج منقيات البنزين والماء وصناعة العجائن الكيميائية . ويستخرج النيتروسيليولوز من أوراق الذرة ، أما الكحول المستخرج من الذرة فله شأن خطير فى صناعة مواد الحرب ، كالمطاط الصناعى، والزجاج الذى لا يتشظّى، والميناء والمفرقعات . وصفوة القول هى أن للذرة اليوم مئات من المنافع فى الصناعة والغذاء ، ويقع العلماء كل يوم على منفعة من منافعها .

كان هنود الأزتيك يعتقدون أن آلهتهم قد خصت البشر بهذا النبات المبارك ، ولقد قاربوا الحق فيما زعموا وتوهموا .

« من مفارقات التاريخ أن كل حاكم بأمره ارتقى إلى الحكم على سلّم من حرية القول ، فلا يكاد يقبض على زمام السلطان ، حتى يلغى حرية كل قول إلا قوله هو » .

[هربرت هوفر ، الرئيس الأمريكى الأسبق

فهذا موسولينى قد كتب فى كتابه عن « جون هس » بطل الإصلاح الدينى حين قدمه للنشر قبل الحرب العالمية الأولى :

« يحدونى الأمل وأنا أعدّ هذا الكتاب للنشر ، أن يحرّك فى نفوس قرائه بغضاء قاتلة لكل لون من ألوان الاستبداد الروحى والدنيوى» .

قد يكون فى انقطاع المرء عن عمله خير وبركة

لا تخف وابدأ من جديد

لورنس . ن . جالتون . مختصرة من مجلة "فيوتشر"

وقف الشابان يتناقشان ، وهما فى زيهما العسكرى ، فى معضلة تشغل الآن بال ملايين الجند ، قال أحدهما : « ما من شىء أبداً يرد إلينا ما خسرناه بانقطاعنا عن أعمالنا ، فإذا ما انكشفت غمّة الحرب ، فسنبدأ من حيث وقفنا » . فقال الآخر مترويا : « عسى أن يكون الأمر على نقيض ما ترى . ولعلك لا تجد نعمة أعظم من فرصة تتاح للمرء أن يبدأ عملا من جديد » .

وإذا كان فيما أصابه عدد لا يحصى من الرجال البارزين دليل على شىء مما سيكون ، فالحق فيما قال ثانى الرجلين ، فإن الجنود المسرحين تتهيأ لهم الفرصة للتقدم والوثوب.

فى سنة ١٩١٧ كان أحد المتخرجين فى مدرسة الحقوق على وشك أن يؤدى امتحانه للمحاماة ، فساقته الحرب إلى ميدانها ليقاتل . وكان حين جاءت الهدنة برتبة يوزباشى فى المشاة البحرية ، فعزم على أن يبقى فى الجندية. ثم حدث ذات ليلة فى سنة ١٩٢٠ ، وكان فى بكين ، أن أصيب إصابة بالغة ، وبعد سنة اعتزل الخدمة ، وهو لا يزال مريضاً عاجزاً عن أن يعود إلى مزاولة المحاماة أو غيرها من الأعمال فى المكاتب .

وعاد الفتى إلى مسقط رأسه ، وتزوج من فتاة كان يحبها صغيراً ، وظفر بعمل ، فصار ينتقل من بيت إلى بيت يعرض بيع المكانس الكهربائية . فما انقضت سنة حتى كان قد باع عدداً كافياً منها ، مكنه من أن يشترى أسهماً من أسهم هذه الشركة .

وهذا الفتى هو إريك جونستون وهو اليوم فى الثامنة والأربعين من عمره ، ويملك أكبر شركتين للكهرباء فى الولايات الشمالية الغربية ، وقد صار مديراً لعدة شركات تعاونية ، وهو أصغر رجل عين رئيساً للغرفة التجارية فى الولايات المتحدة .

يقول جونستون : « أعتقد أن كل جندى عائد من الميدان سيحمد الله كما حمدته على الفرصة الثانية التى أتيحت له ، فإن مفارقة المرء لما ألف فى ماضيه ، قد تصير استعداداً هائلا للمستقبل » .

وقبل الحرب العالمية الأولى ظفر

روى جرومان بأول وظيفة تيسرت له بعد تخرجه ، وهى عمـل كتابى فى المكتب الهنـدسى لشركة تلفون نيويورك ، وقد قضى فيه عاما حتى شبت الحرب .

لم يعد جرومان إلى عمله بعد تسريحه . كان طياراً فى الأسـطول ، فاستقر رأيه على أن الطيران هو خير ما يتمنى ، فالتحق بشركة صغيرة قوامها ١٨ رجلا وحسب . وهو يملك اليوم شركة خاصة تتولى صنع الطائرات من طراز هلكات ، وصنع عدد كبير من طائرات أسطول الولايات المتحدة.

ويقول جرومان : « كلما تلفت إلى ماضىّ أيقنت أن الفرصة التى هيأت لى أن أنتقل إلى العمل الذى أحبه ، ما كانت لتتاح لى لولا نشوب الحرب » .

ومن المؤلم أن تجد أن قليلا من النـاس من يقطع برأى حاسم فى أهم شئون حياته ، ألا وهو العمل الذى يزاوله ، فترى تيـار الحياة يجرفه إلى وظيفة ما مضطراً ـــ لحاجته أو لضعف إرادته ، ولـكن الحرب تدفع بعضنا فى سبل جديدة للرزق .

أما رونالد كولمان فقد كان يريد أن يلتحق بأكسفورد ليصير مهندسا ، ولـكنه اضطر أن يترك المدرسة بعد وفاة أبيه وهو فى السادسة عشرة من عمره ، وصار ساعيا فى شركة بواخر بلندن ، بأجر قدره ريالان ونصف فى الأسبوع ، وبعد خمسة أعوام رقى إلى وظيفة كاتب حسابات بأجر قدره ١٢ ريالا فى الأسبوع .

ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى كان كولمان بين الجنود البريطانيين الذين ذهبوا إلى فرنسا ، ثم عاد إلى لندن بعد أن أعفى طبيا من الخدمة . وعزم أن يصير ممثلا ، فعهد إليه ببعض الأدوار البسيطة ، ثم يمم فى النهاية شطر مسرح نيويورك فى سنة ١٩٢٠ ، وما معه سوى ثلاث بنائق نظيفة و٣٧ ريالا ، وهو اليوم أحد ممثلى هوليوود الذين ينالون أكبر أجر.

إن كثيراً من الجند العائدين من الحرب قد اكتسبوا خبرة وسداداً فى الرأى من تجاربهم وهم جنود يطوفون جميع أنحاء العالم ، وذلك خليق أن يفتح لهم آفاقا أرحب وآمالا أوسع .

أما كارل ساندبورج الذى انحدر من أبوين سويديين ، فكان سائقا لعربة ألبان وهو فى الثالثة عشرة من عمره ، ثم صار صبي حلاق ، ثم اشتغل فى بعض أعمـال المسرح ، ثم فى سيارات النقل . وفى التاسعة عشرة رحل إلى غرب أمريكا ، ثم اشتغل فى حقول القمح ، وغسل الأطباق فى الفنادق ، ولما عاد إلى مسقط رأسه عزم على أن يصير نقاشا.

ثم شبت الحرب الأمريكية الإسبانية فى سـنة ١٨٩٨ . وفى الجيش أغراه صديق

له أن ينال حظا من التعليم . فلما وضعت الحرب أوزارها سعى للرزق ليستعين به على نفقات الدراسة ، فاشتغل بعمل من أعمال الصحافة . وإذا بك ترى اليوم كارل ساندبورج ، ذلك الرجل الذى أراد أن يكون نقاشا ، شاعراً مشهوراً وكاتبا من كتاب أمريكا النابهين .

وقد اضطر إدوارد مولينيه أن يسعى لرزقه فى لندن وهو فى السادسة عشرة من عمره ، فكان يرسم صوراً للمجلات ، ثم اشتغل ساعيا فى مؤسسة لصنع الأزياء ، وفى أغسطس سنة ١٩١٤ دخل الجيش البريطانى جنديا . ولما بلغ الحادية والعشرين صار يوزباشيا ، ثم أصيبت يمناه وشلّت ، وذهب بصر عينه اليسرى ، وعاد فى سنة ١٩١٩ ليسعى بكل ما أوتى من عزم فى سبيل الرزق ، فاقترض شيئا من المال ، ثم افتتح محلاً لصنع الأزياء فى باريس . فلم تمض سنتان حتى أصبح أعظم صانع للأزياء فى العالم ، وفى مصنعه ١٢٠٠ عامل .

أما والتر بيدجون فقد فارق المدرسة إلى ميدان الحرب العالمية الأولى ، ثم وقع بين عربتين من حاملات المدافع ، فقضى أشهراً فى المستشفى ، ثم سرح فى أكتوبر سنة ١٩١٨ ، ونصحه الأطباء أن لا يزاول عملا مرهقا ، فصار ساعيا فى أحد البنوك . فكان يقضى لياليه فى دراسة الغناء والتمثيل متطلعا إلى عمل فى المسرح . وأخيراً أدرك بغيته ، فعمل فى فرقة متنقلة ، وهو اليوم فى مقدمة ممثلى هوليوود .

وإليك مثلا آخر هو ألفريد رانيون . كانت أسرته كثيرة التنقل ، فاضطربت من جراء ذلك دراسته ، وأعلنت الحرب الأمريكية الإسبانية أثناء دراسته ، فتطوع فى الجيش وهو فى الرابعة عشرة . ولما عاد بعد سنتين قضاهما فى حرب العصابات بجزر الفلبين كان عاجزاً عن مواصلة دراسته ، فعزم على ممارسة الصحافة . وقد استهل عمله بالكتابة فى الصحف الصغيرة ، وسرعان ما ارتقى إلى الكتابة فى صحف المدن الكبيرة ، ثم ذاع صيته فى النهاية وصار كاتبا رياضياً . وقد بلغ ما كتبه رانيون فى السنوات الأربعين الماضية ١٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ ، كلمة كتبها فى قصص وروايات وأفلام . وقد أصبح الفتى الذى لم يتم دراسته أحد الكتاب الذين يتناولون أكبر الأجور فى العالم .

إن بدء المرء عملا من جديد يحتاج إلى خيال وعزم وكدّ . ومن السهل أن ينقاد المرء لمخاوفه ، وأن يظل يشك فى مبلغ قدرته على العمل ، هذا مع تقديره الإخفاق فى كل عمل ، ولكن أهل العزائم هم وحدهم الذين يقهرون كل هذه العقبات .

أروع مشهد فى أوربا رآه محرر المختار الجوال فرنسيس دريك وزوجه فى رحلتهما بعد يوم النصر.

حادثة عند جسر الأصدقاء

فرنسيس وكاترين دريك — مختصرة من مجلة "تريكولور"

[إن الحرب فى أوربا لم تنته بعد فى نظر الملايين من المسخرين الذين لا يزالون مشردين. ومنذ خرج بنو إسرائيل من مصر، لم يشهد العالم هجرة كهجرة الجموع الغفيرة التى أطلقها نصر الحلفاء من أغلالها. وإنك لترى أولئك المشردين يسيرون أفراداً وأزواجاً وجماعات، ضاربين فى بطاح أوربا يسيرون ليلا ونهاراً، يجتازون الهضاب والسهول، وينامون فى الحفر وبين الأنقاض، ويعيشون كما يتفق، وكثيراً ما يدركهم الموت. وإليك وصف مرحلة من مراحل هذه الهجرة التاريخية] :

هذا يوم يفتتح الجسر الأمريكى الجديد المقام على نهر الألب ليمر عليه الناس، وقد ظل هذا النهر الجارف الذى يفصل منطقة الاحتلال الروسية عن منطقة احتلال الحلفاء، حداً لا يتسنى لأحد أن يجتازه من جماهير الفرنسيين المشتتين، ومن طلائع الملايين من الأنفس المحطمة التى قضى عليها أن تواصل الحياة على وجه من الوجوه فى هذا الانقلاب التاريخى العظيم. وقد أصبح ذلك النهر فى نظرهم رمزاً خالداً. فعلى ضفته المقابلة يمتد الطريق الذى كانوا يحلمون به فى الليالى التى قضوها تحت كابوس العبودية — هو الطريق إلى الوطن.

وقليل منهم كان يرى الوطن كما تعيه ذاكرته — داراً تستقبله بالترحاب، فيها الفراش الوثير والملبس النظيف، والطعام السخن، والصحيفة التى يقرؤها، والحقل الذى يتعهده فى رقعة صغيرة من الأرض. وأما مئات الألوف فالوطن عندهم كلمة جوفاء يدل معناها على أكوام من الأنقاض فى صحراء الموت، غير أنهم كانوا جميعا يتلهفون حنيناً إليه.

ولم يكن على نهر الألب حتى ذلك اليوم جسر، فقد نسفت القنابل كل الجسور منذ وقت طويل، إلا أن فرقة المهندسين الأمريكية أقامت عليه جسراً جديداً بسرعة لا يتصورها العقل وسمته جسر الأصدقاء، وقد أصبح الآن معداً لمرور الناس. وعلى العُدْوة الروسية صف من الرايات الحمر وديدبان. وحاجز، وعلى عدْوة الحلفاء

جنود أمريكيون وبريطانيون وضباط فرنسيون ، وقافلة من مركبات النقل تنتظر لتنقل أولئك المهاجرين إلى فرنسا .

فترى تحت وهج الشمس حشداً من المسخرين الفرنسيين ميممين شطر الجسر من مقاطعة بروسيا التى يحتلها الروس ، وترى ذلك الحشد ممتداً إلى الأفق الشرقى خطاً أسود لا تدركه الأبصار ، يملأ المسالك أمواجاً فى طول البلاد وعرضها . إنه لمنظر تنكره إلى أن تراه العين ، حية منكرة تتلوى من الجثث البشرية المعذبة ، تدبّ ساعية منهوكة نحو الغرب ساعة بعد ساعة .

ولقد أصابهم من الهزال والاضمحلال ما يشق معه عليك أن تميز عمراً من عمر ، أو جنساً من جنس ، أو ذكراً من أنثى . فترى الفتيات فى العشرين قد ابيض شعرهن وتجعدت بشرتهن ، أما الكبار فأشبه شىء بأشباح تتحرك ، وكلهم أشعث أغبر زرىّ الهيئة ، قد سلب كل ما يكون به الإنسان إنسانا ذا حرمة أو كرامة . فهم من طول نبشهم سود الأكف مكسّرو الأظفار ، وأكثرهم لا يزال يلبس الثياب المخططة الدالة على عبوديتهم ، وآخرون عليهم أسمال بالية أو أكياس من خيش ، ترى من خلالها رقم العبودية موشوما على سواعدهم وسيقانهم الضامرة .

وترى أطفالا فى صناديق على عجلات من الخشب ، وكل أم من أمهاتهم تحاول أن تردّ عن صغيرها الهالك عادية الشمس والذباب . أما الرجال فكأنهم بغال على ظهورها أحمال ، ولقد جاءوا وهم على هذه الحال من برلين بل من وراء برلين ، وأحمالهم مشدودة إلى ظهورهم فى غرائر أو أكياس أو أوراق مربوطة بسيور الأحذية والحبال أو أشباهها .

أما الموفقون منهم ، فهم الذين ظفروا بمركبات يد عتيقة ، أو صنعوا ما يشبه المركبات من قطع الخشب وبقايا الدراجات القديمة .

وأما الرائحة فشىء تشمئز له النفوس ، وقد عبقت بذلك الجو الحار خانقة نافذة ، وهى نفس الرائحة الكريهة التى تفوح من معسكرات الاعتقال . فإذا رأيتهم واقفين أو نائمين رأيت قطيعاً من البشر فى خرق بالية منتنة — هؤلاء هم الذين كانوا زهرة فرنسا من رجال ونساء .

وتخرج عليهم سيدة فرنسية ، من مراسلات الصحف ، وفى عينيها دموع تترقرق من الخزى والإشفاق ، وتمشى بينهم تبشرهم بأنهم اليوم أحرار ، وأن فرنسا تترقب عودتهم . فأضاءت وجوههم لما سمعوا ، ودنوا منها ليلمسوا ثيابها ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يصدقوا ما تقول ، بل أرسلوا أبصارهم ذاهلين نحو الغرب ، وفى أعينهم رهبة

الخوف، وعلى ألسنتهم أغلال الرعب والقلق .
وبدأت الحوادث تتتابع على الجسر ، وفى وسطه جنرال بريطانى وحوله ضباط أمريكيون وفرنسيون وروس ، وهذه كشوف الأسماء تراجع ، وهذه الحواجز قد أزيلت .

وصاح ضابط فرنسى فى مكبر الصوت : « استمعوا استمعوا » ، فانتفضت صفوف الواقفين على ضفة النهر نفضة واحدة ، وتحركت الأرجل المقروحة والظهور المثقلة بأحمالها ، وتلألأت فى العيون نظرات ترتجف من التلهف والتوقع .

كان الترقب جهداً لا يطاق ، حتى صار عصياً فى حلوق النظارة ، وقذًى جارحاً فى عيونهم ، وكرْباً هادماً فى قلوبهم . ثم فتح الجِسْر .

«استمعوا ! استمعوا أيها الفرنسيون!» فأمروا أن يسيروا صفوفاً خمسة خمسة ، وتحرك الحشد قدُماً ، ورفعت الأحمال الموضوعة تشدها إلى المناكب المقروحة عشرات من الأكف العَجِلة . وهذه عجلة تنفصل عن جانب عربة صغيرة تذهب مترنحة فتهوى فى النهر لها رشاش ثم تغيب . وإذا بطفل يبكى ويعول .

وتحركت الأرجل المتعبة تمشى ظالعة خطوة خطوة ، عليها أحذية مختلفة من كل صنف — منها المتماثل والمتباين والبالى ، وبعض الأرجل ملفوف بخرق أو ورق ، وبعضها عار . وجميعها تنطق بما لاقت فى الأرض التى خلفتها من البؤس والآلام والقروح .

فهذه طلائعهم قد بلغت الجسر ، يرون بأعينهم وجوهاً متوددة على الضفة الأخرى ، من جنود أمريكا وبريطانيا ، ويرون مطابخ الميدان ، وفرق الإسعاف ، والسيارات المباركة التى ستنقلهم إلى وطنهم المحبوب .

« تشجعوا يا أبنائى ؟ » . لم يبق سوى ثلاثين ياردة حتى يبلغوا منتصف الجسر . وكان بينهم امرأة تنتحب ، يقطر الدم من قدميها القذرتين العاريتين ، فيترك على الخشب أثراً دامياً . ولكن لم يكن ذلك هو الذى أبكاها ، فبين ذراعيها طفل ترفعه وتومىء بإصبع مُرْعَشة إلى بزة عسكرية فرنسية وهى تهمس : « ألا ترى ؟ انظر يابنى ! »

وأخذ جزع القوم يخف كلما تقدموا خطوة ، وأخذت أغلال العبودية التى أورثتهم موت الحس وسوء الظن ، تنشق عنهم كلما تحركت الجموع أو وقفت تستريح أو واصلت المسير ثانية . وامتدت الأذرع خائفة ترجف ثم آمنة واثقة ، تصافح الأيدى التى مدها إليهم الضباط الواقفون إلى جنب الحاجز . وإذا المصافحة لا تغنى ، بل هى القبل والعناق

والدموع المسفوحة من نفوس جن جنونها . أما جمهور النظارة فلا تنطق وجوههم إلا عما يجتاح نفوسهم من شفقة طاغية .

والآن لم يبق سوى عشرين ياردة ، فعشر فخمس . . . وأخذت الصفوف التي تليهم تدنو زاحفة . لم يبق سوى خطوات حتى تجتاز الطلائع منتصف الجسر ، ثم تطأ بأقدامها آمنه وجه الطريق إلى الوطن .

وإذا بنفوس هؤلاء المشردين الباكين المكدودين تختلج اختلاجة الماء الساكن مرت عليه نفحة من نسيم . إنها لحظة يشق وصفها على الواصف . وامتدت عشرات من الأيدي التي أضرّ بها الكدح ، حاملة عصاً أو قضيباً أو غصناً معقوفاً . وطلعت من كل رزمة قذرة ثلاث شقق عزيزة من نسيج موصولٌ بعضها ببعض ، قد حرص أصحابها منذ زمن بعيد على أن يخفوها ، تستبد بهم لُوثة من أمل أن يأتيهم هذا الخلاص يوماً ، على وجه ما . وكانت شقق النسيج خشنة متثنية غير متساوية ، ولكنها كانت ولا ريب ثلاثة ألوان : زرقاء وبيضاء وحمراء ، هي العلم الفرنسي المثلث الألوان .

واعتدلت قامات أهل الطليعة وتبعتهم الجماهير ، فاستقامت المناكب المقوّسة ، وشمخت الأنوف ، وعلا الغبار من الثياب الرثة التي نفضتها أيدٍ عَجِلة متلهفة . ثم لفتة ونظرة وداع إلى الجسر ، وإلى سنوات البؤس والشقاء . ثم شخصت الأبصار إلى وجه الوطن ، واستقبلت الوجوه طلعة الشمس المشرقة . لقد ذاقوا مسّ الذل والاحتقار والعبودية ، وأمَرّ منها جميعاً ، ولكن أنَّى للطغيان أن يطفيء جمرة تتقد في نفس رجل ولد حراً !

وعلا الصوت . « إلى الأمام أيها الفرنسيون » ، ونزلت السكينة ، وخشعت الأصوات لحظة ، ثم انبعث صوت رقيق عذب . وإذا مطلع المرسليز يحلق على جسر الأصدقاء سابحاً ، على أمواج النهر الألماني . أصوات خافتة أجهدها الضنى ، فإذا النشيد العظيم ترجيع يرتجف ، ولكنه يشق الفضاء لا يردّه رادٌّ . وخفقت قلوب أولئك الأبطال من رجال ونساء ، ومضوا يتعثرون إلى المركبات التي كانت تنتظرهم ، يطأون بأقدامهم مرة أخرى طريقهم إلى الوطن تحت ظلال علمهم المحبوب .

كل كلمة تتعلمها تزيدك قدرةً على التعبير!

— ٤ —

الالفاظ فى المعاجم ميِّتَة حتى تستعمل ، فإذا استعملت بحقها دبّت فيها حياةٌ جياشة تجعلها كالعامل المجاهد ، تزيد ثروة اللغة ، وتؤازر أصحاب اللغة على تنمية هذه الثروة ، وتفضى إليهم بسرّها الذى يجعلهم قادرين على رسم الصُّور الفكرية الدقيقة وظلالها التى تكتنفها بأحسن الألفاظ إيجازاً . وأنت إذا ملكت شيئاً من هذه الثروة وتعهدتها بالاستثمار فيما تفكّر فيه وتشعر به وفيما تراهُ ، فتحت لك أبواباً مغلقةً كنت تظنّ أنها مستعصية ، فى حياتك الخاصة والعامة وفى حياتك الفكرية والعملية .

وهذه كلمات مستخرجة من المختار ، وأمام كل كلمة معانٍ أربعة ، أحدها هو الصحيح . فاختبر قدرتك ، وانظر أيها الصحيح . فإذا فرغت فراجع الصواب فى ص ١٠٤ .

١ — **الترجيع :** (ا) الردّ (ب) الحشرجة (ج) الصراخ (د) ترديد الصوت فى الغناء .

٢ — **شعر وَحْف :** (ا) طويل (ب) غزير حَسَنٌ (ج) مرسَل (د) متباعد المنابت .

٣ — **بعد لأيٍ :** (ا) بعد إبطاء ومشقة (ب) بعد قليل (ج) بعد انتظارٍ (د) بعد يأسٍ .

٤ — **صَمدَ :** (ا) ثبت (ب) تقدّم (ج) قَصَد إلى الشىء (د) لم يخف .

٥ — **من عُرْض الناس :** (ا) من شرارهم (ب) من أذنابهم (ج) من خيارهم (د) من أىّ الناس كان .

٦ — **توقّل الجبَلَ :** (ا) وقف على قمته (ب) ارتقاه مسرعاً (ج) نزله (د) سكنه .

٧ — **النَّصَبُ :** (ا) الإعياء من التعب (ب) الهم (ج) المرض الشديد (د) الكسل .

٨ — **ذَلْفاءُ الأنف :** (ا) طويلته (ب) قصيرته (ج) صغيرته مع ارتفاع فى طرفه (د) واسعة المنخرين .

٩ — **حِجَازٌ :** (ا) حدٌّ (ب) أرض مستوية (ج) أرض مرتفعة (د) فاصِلٌ .

١٠ — **المَوْجِدَةُ :** العشق (ب) الحزن (خ) الغضب المكنون (د) الغيظ .

١١ — **أدْلَجَ :** (ا) سار ليلا (ب) استتر ليلاً (ج) سار نهاراً (د) جدّ فى السير .

١٢ — **نِصَاب الفأس :** (ا) حديدها (ب) الخشبة التى تركب فيها (ج) حدُّها (د) سِنّها .

١٣ — **مَرَدَ على الشىء :** (ا) عصاه (ب) أباه (ج) استنكره (د) مَرَنَ عليه أسوأ مِرانٍ .

١٤ — **تنابزوا بالألقاب :** (ا) تشاتموا (ب) تخالفوا (ج) لقّب بعضهم بعضاً بما يُذَمّ (د) اجترأ بعضهم على بعض .

١٥ — **شعر سَبْطٌ :** (ا) مسترسل لين (ب) قليل متفرق (ج) طويل (د) كثيف .

١٦ — **كشَّرَ :** (ا) قطّب (ب) ضحك وبَدت ثناياه (ج) غضب (د) لَوى وجهه غضباً .

إنه لأسهل مما تظن أن تنتفع بمادة الشعر التى حولك فى كل مكان .

تستطيع أن تنظم الشعر — وأن تستمتع به

مختصرة من مجلة
"كريستيان ساينس مونيتور"
مع إضافات بقلم المؤلفة

هيلين مالك لانهان هاستيد
مؤلفة "تيموذى تيلور"

قال الكولونيل إيفانز كارلسون : « أحسبنا نظمنا ٥٠٠ قصيدة بين وادى الكنار وسايبان . ومتى كان عندك جاويش سرية يدخل فى الأدغال بغرارة أرز صغيرة ، وسكين ، ومدفع من مدافع تومى ، ويخرج بقصيدة ، فقد صار عندك شىء يستحق الذكر » .

والكولونيل كارلسون هو قائد « عصبة مشاة البحرية المغيرين » وواحد من القواد المعدودين فى هذه الحرب الذين شجعوا جنودهم على قرض الشعر ، ومنهم أيضاً الجنرال ألكسندر . وقد أقامت قيادة الجيش الثامن مباراة فى الشعر بين جنودها فى شر أيام القتال ، الذى دار بينهم وبين روميل فى الصحراء ، فبلغ عدد القصائد أكثر من أربعمئة .

وقرض الشعر يهيىء للجندى ملهاة تستغرقه فينسى فيها نفسه ويستردّها أيضاً . وهو سلاح يكافح به ذلك العدو الخفى الذى يهدد أشجع جيش — الإعياء من القتال .

والجنود ينظمون الشعر لأنهم يجدون أنه مسلاة . فهل هو كذلك ؟ جرب !

وإذا أردت أن تجمع المادة اللازمة للشعر . فإن عليك أن تعتاد الملاحظة الدقيقة ، وكل شىء فى الدنيا المحيطة بك — من شكل ورقة من أوراق الشجر ، إلى انتفاضة المرء برّح به الألم — إذا هو لوحظ جملة وتفصيلا وسجلته الذاكرة بدقة ، قد يكون مادة صالحة لقصيدة . واكتساب هذه العادة يجعل الحياة فى وقت الشدة أسهل احتمالا ، وفى وقت السرور أخلد فى الذاكرة .

ونشر المطوى من الملاحظات وتضمينها قصيدة يتطلب تركيزاً تاماً للذاكرة ، إذ يجب الغوص فى أغوار الذهن على التفاصيل ودلالتها ، وفى أثناء ذلك نطرح المشاغل السطحية جانباً ، ويتحول الخيال إلى أيام أخرى ومناظر غير الحاضرة ، فيعفيه ذلك مما يحيط به ويكربُه ويورثه الكلال . ويجرب المرء الاستغراق التام الذى يكون فيه الفنان ، ساعة شعوره بالنشوة ، واغتباطه العميق بالتعبير

عن النفس، ويفجر ينبوعاً من القوة الباطنة تنعش كيانه كله ، فيعود إلى سيرته اليومية وقد تجددت نفسه .

وعسى أن تقول : « ولكنى لا أستطيع أن أنظم قصيدة ، فما أوتيت القدرة البيانية » غير أن أى شاعر يستطيع أن يقول لك إن الشعر عشره اللغة ، وتسعة أعشاره نوع الاستجابة للحياة .

إذا كنت تتمشى فى طريق ريفى بالليل ، ومررت بشجرة منورة النُّوّار زهراء الزهر ، فإنك تشعر كأن أنفاسك قد تعلقت بما يغمرك فجأة من أرَجها ، وإذا سمعت بومة تنعق فإنك تنتفض برغمك . فهذا النفس المتعلق أو هذه الفزعة ، هو المادة الأساسية التى ينسج منها الشعر ، لأن الشعر ليس عبارة عن براعة فى استعمال الألفاظ ، وإنما هو الاستجابة اللدنيّة من الحواس الخمس لما تتناوله. فإذا كنت دقيق الإدراك للإحساس الذى تحاول أن تصفه أو تصوره، فإن الألفاظ تسعفك دائماً . وهل يستطيع معجم ضخم أن يساعدك على تذكر عبـــير الزهرة أو إحساسك بالمطر على وجهك ؟

وقد ترك معظمنا حواسه تكلّ وتتبلد ، ولكن قليـلا من الرياضة يردّها مرهفة . تحسس بأصابعك بضعة أشياء ، والتقط خوخة مثـلا ، فكيف تجد قشرتها ؟ وما الفرق بينها وبين الكمثرى ؟ أو بينها وبين التين الشوكى ؟ أو امسح بيدك رأس حصان فهل تحس الفرق بين عظام الخد وملاسة الأنف ؟ واجتهد أن تجد صفة تصور بها كل إحساس تصويراً دقيقاً ، وشيئاً تشبهه به وتقيسه إليه ، فإنك إذا فعلت ذلك تتدرب على نظم الشعر .

وعسى أن تكون صياد سمك ، إذن تستطيع أن تستعيد بقصيدة جذلك حين صدت سمكة كبيرة . وابدأ بأن تتذكر جذب السمكة فجأة للشص ، وكيف كانت السمكة تجر الحبـل بسرعة ، وكيف كان إصبعك عليه . فهل تذكرت أنك شعرت بحرارة ووقدة فيه ؟ إذن قل ذلك ، ولا حاجة بك أن تقول إن نفسك كانت مهتاجة ، فإن تفاصيل الشعور الذى تستعيده بالذكرى ستحرك ذكريات كل صياد يقرأ قصيدتك .

والشاعر يلجأ عادة إلى التشبيه — وأنت أيضاً تفعل ذلك « ساكن سكون ال. . » لا ليس كالفأر أو البركة (وإن كان كلاهما ولا شك ساكناً) . ابحث عن عبارة تكون من ابتداعك ، وقل مثلا «ساكن كالضباب المخيم على مدينة » . لقد نظم كارل ساندبرج قصيدة من أشهر قصائده ،واستعان فيها بمثل هذه الصورة . وإليك مقطوعة منها تريك أسلوبه فيها :

« يقبل الضباب على أرجل قطة صغيرة ويجثم ناظراً إلى الميناء والمدينة ،وينوء بعجُز ساكن ، ثم يمضى » .

ومن السهل أن تروض خيالك على ابتداع تشبيهات جديدة حية ، فحاول أن تفعل ذلك أحياناً : أحمر كالدم — كالدم على الثلج : ساكن كالصقيع الساقط بالليل . وفى وسعك أن تهتدى إلى خير من هذه التشبيهات . وبأى شىء يذكرك منظر شجرة تفاح هامدة ، أو امرأة سليطة اللسان ، أو السكينة التى تشعر بها بعد صلح ؟

والشاعر يتقى العبارات المبتذلة ، وينشد التشبيهات الجديدة غير المنتظرة ، وقد يجىء ذلك عفواً ومن تلقاء ذاته ، والأغلب أن يتطلب ذلك جهداً . والأمر يحتاج إلى رياضة إرادية لاجتناب أخذ الأوصاف عن الغير (لأنها طافية على السطح فى عقولنا) ،وللتنقيب فى طبقة أعمق حيث نستطيع أن نستخرج عباراتنا الخاصة . وخير التشبيهات فى الشعر جديدة غير مألوفة ، ولكنها مرضية مقبولة فى الوقت نفسه .

أعرف بدّالا كان ذا سليقة نادرة فى التشبيه ، وكانت تشبيهاته تدور فى الأغلب على الجو . فاليوم من أيام الصيف « حار كاسان الكلب » ، وفى الشتاء تهب الريح باردة حادة « مثل الشوكة » ، فهذا كان شاعراً . وتبدأ القصيدة بتشبيه جيد ، لا بقافية كما يبدو أن كثيرين يظنون . وقد كان جون ملتون يذهب إلى أن خير الشعر ما نظم بغير قافية ، ثم نظم « الفردوس المفقود » ليقيم الدليل على صحة رأيه . والعصر الحاضر ينزع إلى احتذاء مثال الكلام الإنسانى غير المقفى .

على أن التقفية أسهل ما فى النظم ، فإنها ليست إلا امتحاناً لبراعتك ، وسبيلها أن تعطى السامع الصوت المتسق الذى تتوقعه أذناه ، ولكن ليس فى اللفظ الذى ينتظره ، وأن تجعله أحياناً يطول به انتظاره .

وكثيراً ما تبدأ القصيدة بموسيقية خاصة بها — نفحة ملحة توائم الألفاظ التى يخفق بها رأسك — وقد تتبخر القصيدة إذا حاولت أن تغير توقيعها . والقاعدة هى : أن تجعل شعورك بخوالجك مخلصاً فإذا بالألفاظ تجرى ، أو تمشى الهوينا ، أو تغنى على توقيع مصوغ من ذات نفسها .

وفى أى شىء تكتب ؟ أى شىء يخطر على بالك . أية تجربة تريد أن تتذكرها . فإن فى وسعك أن تستعيد فى قصيدة ، وأن تشرك معك غيرك ، أقوى ما تناولته مشاعرك ، واللحظات التى كنت فيها أعمق ما تكون شعوراً بالحياة — بالحياة فى نفسك وفى العالم حولك .

ومادة الشعر فى متناولك ، فى عواطف الحب ، والدهشة ، والخيبـة ، والحزن ، وغير ذلك مما يجربه ويكابده كل إنسان . وهـذه هى الينابيع الصادقة للشعر ، وهى راسبة تحت سطح حياتنا ، تنتظر أن نهيب بها لتطفو . ويقول وردزورث : « الشعر عاطفة تستعاد فى حال السكينة » .

ونحن إذ ننظم الشعر نحيا حياة أتم وأكمل، لأننا نحيـاها بإدراك أوسع . ونحن نعرف لذة الإعراب عن النفس ، ومن ذا الذى لم يشعر فى بعض حياته ، بالحاجة عن التعبير عن قوة الشعور الذى فى نفسه ؟ وقد يخفف من لوعة الحزن على ابن أو حبيب أن تدون بعض ذكرياتك عن حبه ، أو الآمال التى شاطرته إياها . والحزن الذى يكون أعمق من أن تفيض له الدموع ، والنشوة التى تفلت من الأصابع عند اللمس أو العناق — كلاهما يجد له متنفساً فى الشعر ، وليس من الضرورى أن يكون الشعر عظيما أو خالداً . وحسبه أن يخفف دموعك ، أو أنْ يخلد ولو فى صورة غامضة ، لونَ أحلامك .

أصول علم النفس

كان رئيس الشركة فى حاجة إلى سكرتيرة ، فقرّر أن يستعين بعالم نفسى فى فحص اللواتى يقدمن طلباً لهـذا المنصب . فقابل العالم ثلاث طالبات وسأل أولاهنّ :

ما الجواب عن : اثنين زائد اثنين ؟

فجاءه الردُّ على الفور : أربعة .

وأعاد السؤال على الفتاة الثانية فقالت قد يكون ٢٢ . وأما الثالثة فأجابت : قد يكون ٢٢ وقد يكون ٤ . فلما برحن حجرة الامتحان التفت العالم النفسى إلى رئيس الشركة وقال كأنما ظفر ظفراً عظيما : ألا ترى ما يصنعه علم النفس ؟ فالفتاة الأولى أجابت الجواب الواضح المرتقب . وأما الثانية فظنت أن فى الأمر حيلة . وأما الثالثة فأرادت أن تحتاط لكل احتمال . فأىّ الثلاث تريد ؟

فلم يتردد الرئيس وقال : « اعطنى الشقراء ذات العينين الزرقاوين » !

[مجلة « دى دينين »]

لغز جريمة حي بو

انطوني ابوت

اسم مستعار لكاتب مشهور تدور قصصه
حول الجرائم الغامضة وقد لاقت نجاحاً كبيراً

الجريمة التي يضرب بها المثل في روعة الإحكام ارتكبت في قصة قديمة عنوانها « لغز جريمة حيّ بو » لمؤلفها إسرائيل زانجويل ، فقد دبر فيها القتل بحساب دقيق وخبث متغلغل .

في بكرة يوم عبوس ، رن جرس الباب رنيناً متصلا ملحاً في دار رجل يدعى جرودمان . وجرودمان هذا (مفتش بوليس) متقاعد ، يرى أن اسكتلنديارد لم تعد قط كما كانت في سابق عهدها ، منذ أحيل هو إلى المعاش . وهو أيضاً مؤلف كتاب لاقى نجاحاً عظيما عنوانه « المجرمون الذين وقعوا في يدي » .

وبعد حين رفع رفعاً عنيفاً حاجز نافذة في الطابق الثاني ، وأطل المفتش الشيخ وعلى رأسه طاقية النوم ، وأخذ ، وهو محمر الوجه حنقاً ، يصوّب نظره في الضباب المتراكم في شارع جلوفر . فإذا على عتبة الباب امرأة قد أذهلها الذعر وغلبها البكاء ، هي السيدة درام دمب صاحبة نزل متواضع في الجانب الآخر من الشارع . وصاحت وهي تولول :

« آه يا مستر جرودمان ! أدركني ، هلم معي إلى داري فإن المستر كونستانت المسكين قد مات » .

لم يعفها المفتش من إسماعها عبارات غضبه لما ارتكبت من إزعاجه من نومه ، ثم من شكه في أن يكون ذا نفع كبير لها ، وأن الأولى بها أن تلجأ إلى طبيب أو إلى حانوتيّ .

وأخيراً خضع لرجائها المتكرر ، ووعدها بتلبية طلبها من فوره ، فاطمأنت المرأة وقلبها يفيض عرفاناً بجميله ، وكفكفت دموعها ، واجتازت الشارع ووقفت تنتظره أمام بابها لا تجسر على الدخول وحدها والدار دارها .

ولما لحقها المفتش الشيخ الأشيب ، طفقت تروى له ما اعتادت من تقديم الفطور في تمام الساعة السابعة لمستر آرثر كونستانت أوجه سكانها . وهو شاب موسر ، سكن عندها ليقوم بدراسة اجتماعية عن حياة العمال في محيطهم بحيّ بو . أوقدت النار في المطبخ وأجراس الكنيسة تدق مؤذنة بمرور ثلاثة أرباع ساعة بعد السادسة ، ثم

صعدت إلى الطابق الثانى لتقرع باب المستر كونستانت لتخبره أن كل شىء سيكون معدًّا بعد ١٥ دقيقة . ولما دقت السابعة بادرت إليه فصعدت مرة أخرى ، وهى تحمل صينية عليها إبريق من شاى ساخن وبيض مسلوق . ولشد ما دهشت حين لم تجده فى غرفة الاستقبال كعهدها به كل صباح . فأوقدت مصباح الغاز إذ كان النهار غير صحو ، وأعدت مائدة الإفطار ، ودلفت مرة أخرى إلى غرفة نزيلها ، ونقرت على الباب ثم أخذت تقرعه بجمع اليد قرعاً شديداً ، ثم جعلت تدير أكرة الباب يمنة ويسرة وتناديه بأعلى صوتها . فلم يجبها إلا سكون شامل كصمت القبور .

استبد بها الذعر وملأ قلبها اليقين بأن من وراء الباب داهية نكراء مخيفة . فهبطت الدرج مسرعة ، وخرجت فى ضباب الصبح لتوقظ صديقها المستر جرودمان .

فالآن أخذ جرودمان أيضاً يقرع الباب بقبضة يده ، وصاحبة الدار تهيب به وهى شاحبة اللون قد ملك التطير عليها كل تفكيرها : « اقرع الباب بأشد ما تستطيع » .

فقال جرودمان : « الباب موصد ، وقد أغلق من الداخل » .

ومال المفتش بجسمه الثقيل على الباب ، فبدأت حافة القفل تتشقق حتى تحطمت ، فاندفع جرودمان ، وأمر المرأة أن تبتعد ، فتراجعت عنه مذعورة تستر وجهها بكفيها .

وكان تعليق المستر جرودمان ، بعد أن سحب الغطاء على الميت ليخفى وجهه المعذَّب ، أنهم بإزاء جريمة غامضة محيرة ، فإن النزيل البائس كان راقداً على ظهره ، ويداه تحت رأسه ، وقد انفتح فى حلقه جرح رغيب . لقد ذبح ، ويرجح أنه ذبح بموسى . ومع ذلك لم يعثر فى الغرفة على موسى أو على سلاح آخر ، وكان بابها الوحيد مغلقاً ، وقد وجدوا المفتاح مثبتاً فيه من الداخل ، أما النوافذ فكانت مغلقة أحكم إغلاق ، ومدخنة المدفأة أضيق من أن تتسع لمرور إنسان ولو كان صبيا .

والواقع أن الغرفة التى ذبح فيها آرثر كونستانت قائمة وحدها بمعزل عن بقية الغرف ، وليس بينها اتصال ما .

جريمة قتل ؟ إذن فكيف استطاع القاتل أن يدخل وأن يخرج ؟

أو هى انتحار ؟

إذا قيل إن آرثر كونستانت قد قتل نفسه ، فقد وجب التسليم بأنه سحب يديه من تحت رأسه والتقط الموسى ، وطعن حلقه ، ثم خبأ السلاح بحيث لا يمكن العثور عليه ، ووضع يديه مرة أخرى تحت رأسه فى الوضع الذى ألفوه عليه !

ولما عقد قاضى التحقيق جلسته كان من

رأى المحلفين أن القتل والانتحار كلاهما مستبعد لاستحالته ، فحفظ القاضى التحقيق لأن الحادثة « وفاة لأسباب مجهولة » .

ومن ثم نهضت اسكتلنديارد للعمل ، وكذلك فعل جرودمان . وأخذت الأولى تنقب فى ماضى القتيل وحياته العاطفية ، فعلمت أنه كان يجتمع بفتاة فى خلوات ، وأن الغيرة نشبت بينه وبين خطيب الفتاة حين رآها تصد عنه . وهذا الخطيب شاب يدعى توم موردليك ، فقدم إلى المحاكمة وثبت من شهادة الشهود أنه كان ينزل من قبل لدى السيدة دراب دمب ، ويقيم فى نفس الغرفة التى سكنها كونستانت فيما بعد ، كما ثبت أنه زار غرفة كونستانت فى الليلة السابقة لقتله ، ووقعت بينهما مشادة ، يغلب على الظن أنها من أجل الفتاة . ولما سئل كيف قضى وقته فى الصباح التالى تبين أنه أدلى بأقوال كاذبة. وهزأ جرودمان من هذه الأدلة المستنتجة ، ولكنه حار فى أمره حينما أظهرت اسكتلنديارد أن فى يدها مفتاحاً مصطنعاً لغرفة آرثر كونستانت ، وأنها عثرت عليه فى مسكن موردليك . إذن فقد كان فى استطاعته أن يرتكب القتل ، ويترك الباب وظاهره أنه مغلق من الداخل . ولما توفرت هذه الأدلة المستنبطة اقتنع المحلفون،وحكم على موردليك بالاعدام . ثارت ثائرة جرودمان إذ ماذا ينتظر من محلفين ليسوا سوى اثنى عشر رجلا من صغار أرباب الحرف ، أما الخبراء المحنكون أمثاله فهم الذين يرجى منهم أن يصلوا إلى كنه الحقيقة . لم تأبه السلطات المختصة لاحتجاج جرودمان ، ولكن الشعب كله اهتم بالأمر، وسرعان ما أعدت أوراق التماس للعفو ووقعها الألوف ، وأصبح جرودمان زعيم حركة المطالبة بإطلاق سراح توم موردليك لأنه ضحية بريئة لأدلة لا تخرج عن أن تكون استنتاجاً محضاً . وفى الليلة الأخيرة لم ينقطع جرودمان عن السعى فى إخلاء سبيل السجين ، ولكن دنت ساعة التنفيذ وبدا أن كل أمل قد ضاع .

واجتمعت جماهير غفيرة حول مقر الحكومة وهى تنادى بإطلاق سراح موردليك . وفجأة انشق الزحام عن عربة أقبلت تجرى ، هذا هو جرودمان يكر كالفارس المغوار ليخلّص السجين ، فعلا هتاف الجمهور إذ رأوا الرجل الذى تألق نجمه من قبل فى سماء اسكتلنديارد ، وهو يصعد الدرج وثوباً ليدخل على وزير الداخلية .

ووقف جرودمان أمام الوزير وسأله أن يرد للسجين حريته فوراً ، وأضاف : « حينما حطمت باب الغرفة كان آرثر كونستانت يغط فى نوم هنىء » .

« إذن متى ذبح الرجل ؟ » .

« بعد ذلك توا » .

« أتعنى أن السيدة درامدمب هى ...؟ »

« كلا » .

« إذن . . ؟ » .

« أنا الذى قتلته » .

واعترف جرودمان بالحقيقة المنكرة : حينما أخرجوه من اسكتلنديارد لكبر سنه أخذ يفكر فى تدبير انتقام فريد فى نوعه ، وهو ارتكاب جريمة لا يأتى لخلفائه من بعده أن يكتشفوا سرها . فبدأ بمصادقة آرثر كونستانت ، وفى الليلة السابقة لليلة الجريمة استطاع أن يدس له مخدراً قوياً فى شايه ، وهو واثق أن مسز درام دمب ستلجأ إليه تستنجده وتلوذ به . وبعد أن أحكم خطته أوى إلى فراشه مطمئناً .

ولما خرج فى الصباح كان يحمل موسى فى جيبه ، ويقينه أن المسز درام دمب لن تقوى على مد بصرها إلى الغرفة ، وهكذا سهل عليه أن يدخل وحده ويصدّها ، ثم صان ملابسه بمنشفة لتقيه من الدم إذا تفجر من حبل الوريد ، وبحركة سريعة أجرى الموسى على حلق النائم .

وبعد أن أفضى بكل تفاصيل الجريمة التى كاد يدفع بها رجلا بريئاً إلى المشنقة ، أطلق جرودمان الرصاص على نفسه وأحكم الطلقة فأصابت قلبه ، ومات لساعته .

الحب الملتهب

أرسل بحار فى المحيط الهادى ، رسالة صداقة ومودة إلى فتاة فى بلدته بأمريكا . فردّت عليه برسالة كانت لهجتها أدنى قليلا إلى الحب منها إلى المودّة وحسب . فلما بادلها ذلك ، توالت بينهما رسائل تتضمن أشد الحب والهيام . وأخيراً كتبت الفتاة رسالة بلغ فيها الإعراب عن حبها ووجدها درجة عالية من الحرارة ، ظناً منها أن حبيبها فى المحيط الهادى لن يستطيع أن يفوقها فيه . ثم كتبت على ظرف الرسالة بحبر أحمر : (قابل للالتهاب) ، فلم تنقض بضعة أسابيع حتى تلقت الجواب — كان ظرفاً ليس فيه سوى رماد !

[الضابط جورج كرينشو]

قصة وقعت

آيات من الشجاعة

دوروثى كاميرون ديزنى

دعيت فى إنجلترا إلى إحدى ولائم الغذاء العسكرية الجافية ، حيث لا يعرف أحد أحداً ، فجلس فى جوارى جندى من فرقة الهابطات رقم ١٠١ ، وهم أبطال باستونى ، وأحسبه فى العشرين من عمره . كان كمعظم جنود المظلات أنحف قواماً من الجندى الأمريكى ، ولكنه كان عريض المنكبين ، تبدو عليه دلائل الشدة وقوة البأس ، وكان صدره يتألق بأوسمة لا أذكر أننى رأيتها على صدر أحد فى أقل من رتبة جنرال ، وكان فى البدء خجولا قليل الكلام ، غير أنه بعد حين ترك انقباضه وروى لى القصة التالية :

قبل غزو فرنسا بأربع وعشرين ساعة هبط صفوة من الجنود ارض نورمندى ، من بينهم هذا الفتى ، ومن سوء حظه أنه هبط قبيل الفجر على بعد أميال من مكان اللقاء ، فلم يتيسر له أن يعثر على العلامات التى وصف له مكانها بدقة من قبل ، ولم ير على مدّ البصر أحداً من زملائه ، فأطلق من صفارته الصفير الذى يجتمع على صوته الهابطون ، ولم تستجب له صفارة أخرى ، ومرت عليه بضع لحظات وهو فى قلق ، ثم أطلق صفارته مرة أخرى ، فلم يأت أحد ، فأدرك حينئذ أن خطتهم لم تنجح ، وأنه وحيد ، وأن عليه أن يعتمد كل الاعتماد على نفسه فى بلد يحتله العدو .

أيقن أنه يجب عليه أن يبحث من فوره عن مكان يلوذ به ، وكان قد هبط على مقربة من جدار يحيط ببستان مُورِق ، ثم رأى على بعد قليل فى غَلَس الفجر داراً ريفية ذات سقف أحمر . أترى أهل هذه الدار من شيعة الحلفاء أم من شيعة الألمان ؟ إنه لا يدرى ، ولكنها بارقة من أمل عليه أن يغتنمها ، فجرى نحو الدار ، وأخذ يردد الجمل الفرنسية القليلة التى تعلمها لمثل هذه الطوارىء .

وطرق الباب ففتحت له امرأة فرنسية فى نحو الثلاثين من عمرها ، « لم تكن جميلة المحيّا ، وقلّ أن تبسم ، ولكنها

كانت ذات عينين ثابتتين تتبين فيهما الرقة » جاءت تسعى من موقفها أمام موقد ضخم فى المطبخ ، حيث كانت تعد الفطور ، وكان زوجها وأولادها الثلاثة الصغار — وبينهم طفل على كرسى مرتفع — جلوساً إلى مائدة الفطور ، فحدقوا فى وجهه وفى أعينهم دهشة وتعجب .

فقال : « أنا جندى أمريكى ألتمس مخبأ ألوذ به ، فهل تأذنون ؟ »

فقالت السيدة الفرنسية : « نعم ! ولا ريب » ثم قادته إلى داخل البيت .

قال الزوج : « أسرع ، ينبغى أن تسرع » ثم دفع الأمريكى فى صِوان بجوار الموقد ، وأغلق بابه عليه .

وبعد بضع دقائق وصل ستة من الجنود الألمان رأوا المظلة وهى تهبط ، وهذه هى الدار الوحيدة فى هذه المنطقة ، ففتشوها تفتيشاً دقيقاً على عجل ، فعثروا على الجندى وأخرجوه من الصوان .

لم يحاكم الرجل الفرنسى ، مع أنه لم يرتكب شيئاً سوى إخفاء الجندى الأمريكى ، ولا استطاع أن يودّع ذويه . همّ الرجل بأن ينادى زوجه وهم يسوقونه من المطبخ ، فلطمه أحدهم فماتت الكلمات ، ثم أوقفوه فى فناء مزرعته ، وقتلوه لساعته . فناحت زوجته وصرخ ولده .

كان الجنود الألمان يعلمون ماذا يفعلون برجل فرنسى قد اجترأ على إخفاء أحد الأعداء ، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم فى أمر أسيرهم ، ولذلك ألقوه إلى حين فى حظيرة فى فناء المزرعة ، وغلّقوا عليه بابها .

وكانت ثمة نافذة فى مؤخرة الحظيرة ، والغابات محيطة بالمزرعة ، فتسلل الجندى من النافذة وعدا فى جوف الغاب .

سمع الألمان حِسَّه وهو يفرّ ، فانتشروا حول الحظيرة وتعقبوه وأطلقوا عليه النار فأخطأته نيرانهم ، غير أنه أدرك أن لا مفرّ له . ولم يكد يطأ أرض الغابة حتى سمع الجنود الذين يتعقبونه ينادى بعضهم بعضاً من كل ناحية ، فقد انتشروا فى الأرض ، وأتته أصواتهم من جميع الأرجاء ، وهم ينقبون عنه فى كل مكان . ما هى إلا ساعات تمر حتى يقع فى أيديهم ، لقد ضاعت عليه مذاهبه ولا مهرب له .

كلا ، بل هذا مهرب ينجيه ، فاستجمع الجندى قواه وعقد عزمه على المخاطرة ، فكَرّ على عقبيه راجعاً من حيث أتى ، متسللا من شجرة إلى أخرى ؟ وخرج من الغاب وبلغ الأرض الفضاء مرة ثانية ، ثم عاد إلى الحظيرة حيث كانت جثة الفرنسى القتيل لا تزال ملقاة ، فوقف ثانية أمام الدار الريفية وطرق باب المطبخ .

أقبلت المرأة على عجل شاحبة الوجه مغرورقة العنين ، ووقفا ثانية أو أقل وجهاً لوجه ، ولم تلق نظرة إلى جثة زوجها التي لم تجرؤ حتى الساعة على أن تمسها ، بل جعلت تنظر بعينها فى عينى الفتى الأمريكى الذى دخل عليها دارها فأيّمها وأيتم أطفالها .

فقال لها : « هل من مخبأ ؟ »

« نعم ! ولا ريب . أسرع » .

ولم تلبث حتى قادته إلى الصوان بجوار الموقد . وظل مختفياً فى الصوان ثلاثة أيام ، وكان هناك حين شيعت جنازة زوجها . ثم حرر هذا المكان من نورمندى بعد ثلاثة أيام فاستطاع أن يلحق بفرقته .

ولم يرجع الألمان إلى الدار الريفية ، ولم يخطر ببالهم أن يفتشوها مرة أخرى ، لأنهم جهلوا طبائع القوم الذين يحاربونهم ، ولعله من العسير عليهم أن يدركوا أن من البشر من تسمو أخلاقه هذا السمو . لقد هزمتهم شجاعتان ، شجاعة الفتى الذى بذّ تفكيره تفكيرهم ، وشجاعة الأرملة التى هيأت له دون تردد فرصة أخرى للفرار من أيديهم .

لقد أعجبت إعجاباً ببطلى هذه القصة الحقيقية ، وكثيراً ما فكرت فى أمرهما . ولقد رويت القصة مرات لكثير من الجنود فى فرنسا وإيطاليا ، غير أن الفصاحة كانت تعوزنى ، فلم أستطع أن أعبر تعبيراً كاملا عن رأيى فى هذين البطلين . فلما انتهت الحرب فى أوربا ، وكنت يومئذ أستعد للعودة إلى الوطن ، لقيت أحد قواد الطيران فعبر عما أجد فى نفسى خير تعبير فقال : « أما الجندى فقد زوّده اليأس بالشجاعة حين وقع فى مأزق ضيق ، فلما أبصر المهرب الذى لا مهرب له غيره ، لزم جادّته . إنه لفتى شجاع . أما المرأة فقد عمرت قلبها تلك الشجاعة التى لا تفارق المرء ولا تخذله فى الملمات . إنها لامرأة سعيدة الجدّ » .

فنظرت إليه دهشة وقلت : « سعيدة الجدّ ! » فعاد الجنرال يقول : « أجل ! سعيدة الجدّ ، فقد هداها إيمانها سواء السبيل » .

● قليل من الناس من أتقن فنّ جمع الذكريات الطيبة . فهم يجمعون الخزف القديم ، والصور الفاخرة ، والكتب النادرة — وهى جميعاً جميلة تسرّ العين والقلب ، ولكن ما أسرع ما يمشى العطب فيها . ولكن الذكريات الدميدة ذخائر لا تبلى ، وليس فى وسع أحد أن يسلبنا إياها . [إيزابل .ب. روز]

هذا العالم الهادىء الذى أثار أعنف مناقشة فى القرن التاسع عشر ، وقلب تفكير الناس رأسا على عقب .

تطور حياة

تشارلس داروين

دونالد كالروس بيتى

مؤلف "الأكاليل الخضر" "وتقويم لأبناء العصر" الخ.

أقلعت السفينة البريطانية « بيجل » سنة ١٨٣١ فى رحلة استكشاف حول الأرض ، ولم يدر فى خلد أحد أنها ستكون أعظم رحلة منذ عهد كولمبوس ، ولا خطر ببال مستر داروين الشاب الذى ألحق بها لدراسة طبائع الأحياء ، أنه سيكشف قارة جديدة فى عالم المعرفة .

كان فى الثانية والعشرين ، وقد تخرج منذ قليل من جامعة كمبردج ، وكان ميالا إلى الانزواء ، مرهف الحس ، رقيق الكلام ، لا ينفك يصيبه الدُّوَام (دوار البحر) ، ولكن ذهنه المتوقد كان دائم التطلع ، ولا يبرح يبتكر لكل شىء تعليلا أو بياناً . ولم يكن يقبل الحقيقة على عِلاّتها ، بل لابد من أن يعرف سببها .

وقد تجلى فضول داروين وحبه الاستطلاع ، حين نزل فى جزائر جالاباجوس المهجورة ، على مئات الأميال من ساحل أمريكا الجنوبية ، فى أشد بقاع المحيط الهادى وحشة ومخافة . فهذا متحف حى للعصور الجيولوجية الخوالى ، حيث ترى سلاحف كبيرة تخالطها عَظايات (سحالٍ) ضخمة كان ينبغى أن تكون قد بادت منذ زمن بعيد ، وحيث تجد السرطان العظيم الجثة الزاهى اللون ، يدبّ بين أسود البحر وهى تخور . كانت حيوانات هذه الجنة لا تعرف الإنسان فلم يَرُعْها مرآه ، فهذا بازٍ (صقر) جاثم على شجرة لا يخشاك أن تضربه بعصاك . وهذه حمائم قد استقرت آمنة على أكتاف الرواد

ثم كانت الحقيقة العجيبة التى كشفها داروين عن هذا الأرخبيل المنعزل ، هى أن لكل جزيرة حيواناتها ، على رغم ما يبدو من تماثل فى الجوّ والتربة بين الجزائر جميعاً . فثمة مثلا جماعة من الطيور كان من الواضح أن بعضها يمتّ إلى بعض بالقربى ، وتمتُّ إلى طيور تماثلها فى برّ أمريكا

الجنوبية ، ومع ذلك لم يكن فى أية جزيرة منها نفس النوع الذى فى الأخرى .

وشد وجد داروين أن ما يصدق على الطيور ، يصدق على الحمام والعظايا (السحالى) والسلاحف والحشرات والحلزون البزّاق ، ولكن لماذا تتحكم الطبيعة فتوجد أنواعاً مختلفة من أحياء متقاربة فى جزائر متجاورة ؟ إن ذلك أمر يناقض المنطق . ولكن لو أنت شككت يومئذ فى أن المليون من أنواع النبات والحيوان كانت على سطح الأرض منذ أول الخليقة ، فقد تحدّيت علم كبار العلماء وما جاء فى سفر التكوين من التوراة .

وقد دوّن داروين فى مذكراته كيف أشرقت عليه تباشير الرأى الذى تحدى به كل شىء . فقد كتب : « قد يتخيل المرء أنه طرأ تعديل على تركيب أحد الأنواع لأغراض مختلفة . ففى هذه الجزائر الصخرية الجرداء يبدو لنا أننا ندنو من سر الأسرار ، سر ظهور أحياء جديدة على وجه الأرض » .

وظلت السفينة « بيجل » تطوف خمس سنوات ما بين تاهيتى وزيلندة الجديدة وتسمانيا وأستراليا وجزيرة أسنشن وجزائر الرأس الأخضر والجزائر الخالدات (أزورس) . وكانت أحياء كل جزيرة ترفع لعينى داروين نفس المسألة الشائكة ، وتلوّح له بالجواب الذى يكاد لا يقبل .

وحين عاد داروين إلى إنجلترا ليقضى فيها أيامه لا يغادرها ، كان شاباً قد أصاب قسطاً من الشهرة ، أسبغته عليه رسائله ومجموعاته الممتازة من الحيوان والنبات ؟ ثم اشتهر على الزمن ببحثه فى أصل حلقات المرجان ، وفى أحياء البحر . ولكن لم يطلع على سر رأيه إلا صديق أو صديقان . وقد طوى هذا الرأى فى دفتر صغير دوّن فيه داروين صابراً كل دليل بدا له أنه يؤيد رأيه . وقد زار الذين يربون النبات والحيوان وأكب على دراسة مذكراتهم . واشترى حماما من كل نوع أصابه ، ورباه ودرسه وشرحه . ومع أن الحمام الأهلى متحدر كله من الحمام الطرآنى (وهو الحمام الأزرق البرى) فقد وجد داروين أن قد اختلفت اختلافاً كبيراً من جراء الانتخاب والتربية على مر القرون ، حتى صار لا بدّ للعالم من أن يعدها ضروباً مختلفة ، إذا هو رآها فى مسارح البر . وقد رأى داروين أن هذا نفسه يصدق على الكلاب وضروب القمح . وعلى هذا فربما لم يقتصر التطور على الجزائر المنعزلة فى العصور الخوالى ، بل يبدو أنه عمل قائم ماثل على أعيننا

أقام داروين عشرين سنة يهذب أطراف رأيه ، لا يكل ولا يلقى بالا إلى الشهرة ، ولا يعبأ بنشر هذا الرأى ، وبعد زمن أسرَّ إلى صديق : « بعد لأْى ما رأت عينى شعاعاً من النور ، وأكاد أكون مقتنعاً بأن الأنواع (على خلاف ما كنت أرى أولا) ليست ثابتة لا تحول ولا تتغير » فكان كمن يعترف على نفسه بجريمة قتل .

وذات صباح فتح داروين رسالة ، فإذا فيها خلاصة نظرية بلغ من مشابهتها لرأيه ، أن كاد يظن أن كاتبها اطلع على مخطوطته هو التى تضم ٢٣١ صحيفة . ففى جزائر الهند الشرقية النائية كان ألفريد رسل ولاس ، العالم المشهور بالحيوان قد ألمَّ به مرض، وفى ساعة من الإشراق الذى جاءه مع الحمى ، تبين فى لمحة من لمحات الإلهام كيف تنفح الطبيعة العالم بأنواع جديدة من الأحياء .

وقد كتب ولاس : « لاحدَّ البتة للاختلاف الذى يطرأ على نوع واحد لا كما كانوا يظنون . وحياة الحيوانات البريه ، إن هى إلا نضال فى سبيل البقاء . ووفرة النوع أو ندرته تابعة لتمام ملاءمته لأحوال العيش أو نقص تلك الملاءمة . فالضروب النافعة من نوع ما تميل إلى الزيادة ، والضروب غير النافعة أو الضروب الضارة ، تميل إلى القلة والنقصان. أما الضروب المتفوقة فتقضى فى آخر الأمر على النوع الأصيل ، وفى الطبيعة ظاهرة تميل بها إلى أن تخطو قدماً خطوة قصيرة فى أثر خطوة قصيرة » .

« النضال فى سبيل البقاء » « الملاءمة للأحوال » ، « الميل إلى أن تخطو قدماً خطوة قصيرة فى أثر خطوة قصيرة » — إنها هى كلمات داروين نفسها ! هز أعطاف داروين هذا النبأ الذى يؤيد ما كشف ، ولكن أقلق نفسه ما يثيره هذا التأييد من مشكلة فى أدب العلم وأخلاق العلماء . فكيف يستطيع الآن أن ينشر ما انتهى إليه هو، دون أن يبدو كأنه قد انتحل آراء عالم مقيم فى بلد بعيد ؟ ولكن المشكلة حلت حلا سديداً — فقد اتفق الرجلان على أن يشتركا فى نشر الرأى الجديد فى تطور الأحياء بالانتخاب الطبيعى ، فى الاجتماع التالى الذى تعقده الجمعية اللينوسية العريقة فى العلم .

وكانت الأدلة التى عرضت فى هذا الاجتماع التاريخى سنة ١٨٥٨ هى كما يلى :

الحقيقة الأولى : تتوالد الأحياء بنسبة هندسية (بالتكاثر) .

الحقيقة الثانية : ومع ذلك يميل عدد الأفراد فى نوع ما إلى أن يظل على الزمن البعيد ثابتاً إلى حد ما .

استنتاج من الحقيقتين : التنافس بين الأفراد وبين الأنواع يقلل عددها . هذا هو التنازع فى سبيل البقاء .

الحقيقة الثالثة : جميع الأحياء تميل إلى أن تصير مختلفة اختلافاً يذكر . وليس ثمة حيان متشابهان كل التشابه ، وبعضها مختلف اختلافاً بيناً ، حتى ولو كانا من نوع واحد . ومع أن هذه الاختلافات ليست جميعاً مما يورث فإن تجارب التربية تدل على أن بعضها يورث.

استنتاج من هذه الحقائق : لما كان هناك تنازع فى سبيل البقاء ، ولما كانت الأفراد ليست جميعها متشابهة ، فإن بعض وجوه الاختلاف تدوم ، لأنها تمنح صاحبها شيئاً من التفوق . أما الضروب الضعيفة فتبيد . وهذا هو الانتخاب الطبيعى .

النتيجة يستمر الانتخاب الطبيعى ماضياً من جيل إلى جيل ، فتتجمع فروق قليلة ، حتى تصبح فى مجموعها فرقاً كبيراً . وهذا هو التطور .

لم يكد الاجتماع ينفض ، حتى سرت فى الجمعية اللينوسية وسوسة وهمهمة . فإذا صح ما يقوله ولاس وداروين ، فقد قضى على بحوث كثيرين من شيوخ العلماء ، إلا أن الآثار المتحجرة للحيوانات والنباتات البائدة ، تجلو فى تعاقبها صورة من الخلق المستمر أعجب وأروع من الصورة التى جاءت فى التوراة . ولكن هذه الهمهمة ظلت مقتصرة على دوائر العلم ، دون أن تتعداها إلى جمهور الناس .

وفى السنة التالية أصدر داروين كتابه « أصل الأنواع » . وقد كان رأى الناشر أن الكتاب خبل فى خبل ، ولكن الطبعة الأولى نفدت كلها فى اليوم الأول . وهاهى ذى عاصفة الجدل قد انطلقت هادرة مدوّية: إنه لرجل مخبول! إنه لعبقرى! إنه لرجل يبث الفوضى فى العلم ! إنه ينشىء نظاما ! كذلك دوى اسم داروين وطبق ذكره الخافقين .

وعصفت العاصفة بالكنيسة. فصاح فريق من المتزمتين : إذا لم تسلموا بما جاء فى الكتاب تسليما حرفيا ، فتحتم منافذ السدود للإنكار، فيدمر سيله جميع قواعد الأخلاق. وصاح فريق من المفكرين المتحمسين : قولكم هراء . هذه حرية جديدة يراد بها أن يعبد الله بالحق كما هو مسطور فى صحائف طبقات الأرض !

وعلى هذا الأساس من الخلاف فى الرأى قبل الأسقف ولبرفورس أن يناظر فى جامعة أكسفورد ، توماس هكسلى العالم البيولوجى الشاب الذى كان أشد المتحمسين لداورين

وأصلب المنافحين عن رأيه . وحشر الناس فى البهو العظيم ، ولوّحت النساء بمناديلهن لذلك الأسقف الوديع الرقيق الطلعة الذليق اللسان . وجلس القساوسة صفا واحداً بملابسهم السود ، أعزاء فى دفاعهم عن أخلاق الناس. واجتمع العلماء ليروا الأسقف تنزل به ضربة قاصمة فى ساحة البراز .

كان العلم الذى تلقاه الأسقف مُعجَلاً لكى يتسلح به فى هذا النزال خاصة ، علماً صالحا قبل عشرين سنة . ولكن الأسقف لم يقتصر على الاستعانة بالعلم وحسب ، بل عمد إلى السخرية والتهكم ، وقبل أن يختم خطبته التفت إلى هكسلى وقال ساخراً : « أيزعم السيد أنه متحدر من قرد ، أفذلك من قِبَل أمه أم من قبل أبيه ؟ » .

فوثب هكسلى الشاب قائماً وقال : «أوثر أن أكون متحدراً من قرد من قبل أبى وأمى كليهما ، على أن أكون رجلا يستعين بألمعيته على إثارة البغضاء باسم الدين ، فى مناقشة موضوعات لا يعلم من أمرها شيئاً » فصدر هدير السخط من صف القساوسة . وصيحات الرضى من طلبة أكسفورد المتمردين . كان ذلك يوم هكسلى وداروين .

ظل داروين خلال ذلك كله ، ملازماً عزلته فى داره بمقاطعة كنت . وقد قال إنه يؤثر أن يموت على أن يشترك فى مناظرة أكسفورد . وانقطع عن الظهور فى الحفلات العامة إلا نادراً حين يؤثر أن يحضر اجتماعاً علميا .

وقد كان لداروين عذره فى إيثار العزلة الهادئة ، ذلك بأنه لم يسترد عافيته بعد رحلة « البيجل » . وكان أقل مايثيره يمرضه — حتى زيارات أصحابه إذا ما أطالوا فى زيارتهم . وكان الهدوء التام ضربة لازم لعمله، وكانت آثاره تتدفق من مكتبه ومعمله الصغير كل سنة ، فألف كتابه «تحدُّر الإنسان» الذى تتبع فيه شجرة نسبه ، فأحدث ثورات من الغضب والسخط فى الكنائس ، فلم يثنه ذلك فكتب كتاب « التعبير عن العواطف فى الإنسان والحيوان » ، مقتفياً أثر ألصق الخواص بالإنسانية منحدراً بها إلى الوحوش . ثم لا يكاد يفرغ حتى يطلع ببحث فى تسميد نبات أو تربية زهر .

وعبثاً حاول خصوم داروين أن يتقصوا حياته ليجدوا فيها موطن ضعف فى أخلاقه يفسر به تفكيره الحر ، فلم يكتشفوا إلا أنه شيخ دمث الأخلاق ، قد شاب رأسه فى خدمة المعرفة ، ويقضى أيامه بين الأزهار والأطفال — وهى أحب الأشياء إليه . لم تجر على لسانه قط كلمة تنبىء عن الكفر بالله ، أو فساد العقيدة فى أمر الروح الإنسانية .

ولم يكن من العلماء من هو أحب منه

إلى الناس . وكان فى أخريات أيامه إذا ما دخل اجتماعاً علميا ، حياه الحاضرون بالوقوف والهتاف . فكان يشق على المرء أن يصدق أن هذا الرجل الهادئ كان قطب الرحى فى أحمى معركة فلسفية دارت رحاها فى ذلك القرن . والحقيقة أنه لم يهتم إلا اهتماماً يسيراً بالمعركة ، فكان كالبستانى الدؤوب ، يستخرج سنة بعد سنة ثمرات كثيرة من جنة الفكر الخصب ، ولا يكاد يلقى باله إلى خصام العصافير التى تسير على آثاره حيثما سار بين أقسام حديقته المنظمة .

ولكنه كان يهتم بالنقد العلمى لأنه كان أبداً على أهبة أن ينبذ أعز الآراء إليه ، ليستبدل بها أفضل منها . وقد كان نقد رأيه دقيقاً ، فقد اعترض بعضهم أن الانتخاب الطبيعى يدمر ولا يخلق ، ولا يفسر منشأ الاختلافات التى يؤثر فيها الانتخاب بعد حدوثها . أما مباحث مندل الخطيرة فى الوراثة والتى تعين على إجابة هذه المسائل ، فلم ينفض الغبار عنها إلا بعد موت داروين . وأما علم الوراثة فلم يكن معروفاً فى عهده ، ولا كان ده فريز قد وضع نظرية «التحول الفجائى» التى تفسر التطور بحدوث تغيرات كبيرة مفاجئة ، بدلا من تفسيره بحدوث تغيرات طفيفة فى خطوة قصيرة بعد خطوة قصيرة . ولكن نتائج البحوث لم تذهب بآرائه ، بل كانت تعزز وتكمل الصورة التى رسمها لفعل التطور . فقد انقضى زمن طويل منذ صار التطور حقيقة يسلم بها معظم العلماء ، لا مجرد رأى وحسب .

لم يكن داروين أول من كشف التطور ، ولا كان كولمبوس أول من كشف أمريكا . ولكن داروين كان أول من أقام حقائقه على أسس راسخة : أما أثر كشفه فقد انتشر وراء حدود علم الأحياء . وإنك لترى علماء الفلك يتحدثون اليوم عن تطور النجوم ، وترى علماء الطبيعة يجدون تطوراً فى كل شىء مادى ، وترى المؤرخين ينظرون إلى التاريخ على ضوء التطور ، وعلماء الاجتماع يسلمون بتطور المجتمع البشرى فليس ثمة شىء ثابت لا يتغير — لا الشمس ، ولا رأى الإنسان فى الإلهيات ولا فى سيادة الدول .

مات تشارلز داروين فى ١٩ إبريل سنة ١٨٨٢ . فانقضت حياة خلت من كل حادث خطير سوى مغامرتها الفكرية الرائعة . وكان قد أوصى أن يدفن فى داره ، ولكن الأمة البريطانية طالبت بجثمانه . فحمل إلى لحده فى وستمنستر ، وكان بين الذين حملوه هكسلى وولاس وجيمز رسل لويل ، فوضع إلى جنب نيوتن . وكذلك رقد آمنا مكرماً ، رجل من خيرة من أنجب الجنس البشرى فى سير حضارته .

العيون مرآة النفوس

الفرد ليون

قاله لرجل من عُرْض الناس يعمل فى محل لبيع الأقمشة فى كندا منذ سنين ، أثر بالغ فى حياتى . كنت فى التاسعة عشرة من عمرى وقد وصلت من لندن وفى فكرى آراء ضخمة لكى أجمع ثروة كبيرة . وكان كل ما أملكه هو عباءة أنيقة وخمسة ريالات ، فسرنى أن أجد عملا فى محل أقمشة بأجر قدره ستة ريالات فى الأسبوع وعُمالةٍ (عمولة) على ما أبيع . ولم أكن أعرف الفرق بين مختلف أصناف الأقمشة ، ولا شيئا عن طرائق البيع ، ولكنى تصنعت أنى أعرف .

وكان فن البيع فى نظرى القاصر هو أنْ أكثر استعمال أفعل التفضيل ، وقد أسرفت فى الثناء على مميزات ما أبيعه من أصناف ، حتى بلغت حد التغرير . وكنت أجىء إلى أقمشة لا أعرف عنها شيئا فأضمن للمشترى متانتها ، واستخدمت كل ما أوتيت من ذلاقة اللسان فى إغراء الزبائن .

ولد ألفرد ليون فى لندن منذ أكثر من خمسين سنة مضت ، وهو الآن نائب رئيس شركة فيليب موريس للطباق . وقد أدت أساليبه منذ سنين إلى رفع أرباح الشركة من ٤١٨٫٠٠٠ ريال إلى ٧٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال فى السنة .

ونجحت فى بيع مقدار لا بأس به بهذه الأساليب ، بيد أنى لاحظت أن ما يبيعه العجوز ماتيو يربى كثيراً فى آخر الشهر على ما أبيع . فسألته عن سرّ ذلك فأجابنى : « إن الناس يصدقون ما أقول » .

فقلت له : « أو لا يصدقنى الناس ؟ » .

فقال : « أذكر يا بنى أن العيون مرآة النفوس ، ومهما قلت يظهر فى عينيك ! » .

وهزنى ذلك هزاً عنيفا ، وألقى فى روعى لأول مرة فى حياتى أن الأمانة شىء أكثر من أن تدع السرقة وحسب ، أو أنها ليست إلا مثلا أعلى غامض الصورة يتحدث عنه المعلمون والآباء ، بل عرفت أنها جزء من الحياة التى نحياها كل يوم .

وأخذت أحذو حذو ماتيو ، ولشد ما كانت دهشتى حين وجدت أن طريقته قد أثمرت ، فقد ازداد مقدار ما أبيع . وحدث يوما أن جاءتنى إحدى الزبائن وأخذت تطلب أصنافا غالية الثمن بلا تفكير أو حساب . وأيقنت أن عُمالتى (عمولة) ستكون كبيرة ، ولكن لما كان قلبى قد أُشْرِب مبدأ الأمانة التامة الذى علمنيه ماتيو ، نصحتها أن لا تهمل الأقمشة الرخيصة ، وأن تفكر فيما تشترى حتى يكون اليوم

التالى . على أنها اشترت ما تريد ، ودفعت الثمن لدهشتى فوراً .

وفى اليوم التالى جاء زوجها وسأل عنى وعرض علىّ وظيفة بائع بأربعة أضعاف الأجر الذى كنت أتقاضاه . قال لى إنه تاجر ماس ، فلما قلت له إننى لا أعرف عن الماس شيئا ، أجابنى أن ذلك لا يعنيه ما دمت قد تعلمت أهم مبادىء البيع .

عندئذ وضح لى فى أجلى بيان قيمة الدرس الثمين الذى علمنيه ماتيو . فليس ثمة حقبة فى حياتى لم أفد فيها من هذا الدرس ، ولا أزال أجد فى قلبى شكر جميله الذى أسداه إلىّ .

ومارست بيع الماس سنين . وكان ثمة شىء كثير من التحايل فى تجارة الماس بالجملة إذ ذاك ، فأسعفنى مبدأ ماتيو فى عملى على الفور . حدث مرة أن كنت أعرض نماذج من الماس على تاجر كبير من تجار المجوهرات ، وكان أصمّ يصعب إرضاؤه ، فأرسلنى فى ذلك اليوم وفى اليوم التالى لإحضار نماذج أخرى .

وخشى زميلى الذى كان معى أن تفلت الصفقة من أيدينا فقال لى أمام الجوهرى الأصم : « اعرض عليه واحدة من مجموعات الماس الأولى وقل له إنها شىء جديد » فأخذت ربطة منها وقلت للجوهرى : « فى وسعى أن أقول لك إن هذه نماذج جديدة ، ولكنها ليست كذلك ، فقد ألقيت عليها نظرة بالأمس ، بيد أنى على يقين من أن هذه الماسات فى الشكل والحجم الذى تريد ، وأحب أن تلقى عليها اليوم نظرة ثانية » .

فأجاب فى أسرع من لمح البصر : « سأشتريها » وصار لنا منذ ذلك اليوم زبوناً دائماً .

وتطاولت الأيام ، وذهبت إلى نيويورك حيث ظفرت بعمل بائع فى شركة كبيرة ، وكانت الناحية التى خصصت لى أصعب ناحية فى المدينة ولا تبشر بنجاح ، فقد كانت البيوع قليلة ، وللمنافسين فيها قدم راسخة . وكان الصنف الذى أبيعه جيداً ، ولكنه لم يكن يبذّ الأصناف الأخرى جودة . وتذكرت عندئذ نصيحة ماتيو فاشتدت عزيمتى وأثمرت الطريقة .

ورقيت بعد ذلك مساعداً لمدير البيع فمديراً ، ويعمل تحت إمرتى الآن ٦٥٠ بائعا . وكثيراً ما أجدنى فى اجتماعاتى بهم أفسر لهم مذهب ماتيو بقولى : « إذا لم يواتكم النجاح فيما تبيعون ، فغيروا ما بأنفسكم ، فلن تبلغوا الذروة حتى تتجلى لأعينكم فضيلة الأمانة » .

أختى

جيم تولى

كانت أختى تشبه الفجر ، فهى سمراء قنواء الأنف ، تنظر عن عينين نجلاوين حزينتين نظرة المتعجب ، وكأنهما انفتحتا فجأة على دنيا لم تتهيأ لها نفسها بعد . ولقد ظلتا كعينى فتاة صغيرة ، فيهما أحلامها وأشواقها إلى السفر والترحال ، وهى ترقب الناس يخرجون فى أسفار لا سبيل لها إليها .

وكان أبى يقول : « إن عينى فرجينيا كعينى أمها ، لو شئت لسبحت فى صفائهما » .

وكان بيتنا على مقربة من مدينة سانت ماريز فى ولاية أوهيو ، ولقد سعدت بأيام الصبا ، ولم تنتهرنى أختى فرجينيا غير مرة واحدة ، وكنت وضعت بيض سُمانَى تحت دجاجة كانت « تريد أن تحتضن بيضاً » ، فانفلق البيض عن أفراخ السمانى منطلقة كالقذائف إلى الغابات المجاورة . فنظرت فرجينيا إلى الدجاجة البائسة وقالت : « يا للعار ، قبيح بالمرء أن يسخر من دجاجة » .

ولما بلغت الخامسة من عمرى كانت فرجينيا فى الحادية عشرة ، فأيقظتنى ذات ليلة فى منتصف الليل — وكان المطر ينهمر على سقف الكوخ مدراراً يكاد يصدعه ، ثم قالت : « ماتت أمنا » .

وحملتنى فرجينيا من العليّة ونزلت بى ، حيث اجتمعت الأسرة : أولادها الستة ، وكثير من العمومة والخؤولة رجالا ونساء ، ثم الجدّان والجدّتان . لقد كانت أمى حبيبة إليهم جميعاً ، وقد أخذوا يرددون ذكر فضائلها بما عرف عن الإرلنديين من اللجاجة ، فتجاوبت أرجاء منزلنا الصغير بأصداء الحزن .

كان أبى حفار قنوات ، عريض المنكبين ، طويل الشارب أحمره ، وقد ذهبت الفاجعة بلبه . ماتت ! ماتت الحبيبة النافرة الثائرة!

جيم تولى من العيارين المتسكعين فى الطرق سابقاً ، ربعة ، أحمر الشعر ، وقد اشتهر بأسلوبه القوى الفذ حتى طبقت شهرته الآفاق . وقد أنفق معظم صباه فى الطرق بغير عمل سوى فترات قصيرة اشتغل فيها فى ملعب من ملاعب الخيل ، وملاكما بالأجر ، ومشذبا للأشجار ، ومراسلا صحفياً . فلما غلب عليه تأثير أخته ، عكف آخر الأمر على الكتابة ، ففاض قلمه بحكايات عن البشر الذين يعيشون فى الحضيض الأوهد ، وكتب قصصاً كثيرة وكتبا . وهو أيضاً من كتاب الحوار للسنما والراديو .

ماتت الحبيبة الصهباء الشعر ! ماتت وهى تلد ولم تتجاوز الخامسة والثلاثين . وظل هو وحده من بيننا ساكناً لا تدمع له عين .

وجاءت فرجينيا فأخرجتنا من الغرفة صفاً لنسير وراء الجنازة .

ولما كانت ثيابى لا يليق أن تلبس فى جنازة أمى ، فقد وقفت وسط الطريق الموحلة أبكى ، وعربة الموتى تنأى بها عنى . ولكن فرجينيا بقيت معى لم تفارقنى ، فلما علا نحيبى قالت : « لم ، ياجيم — ينبغى أن لا تبكى » .

ولم يطل بى زمن حتى أدركت أن فجيعتها فى أمنا كانت أعظم من فجيعتى ، فقد كانت معها دائماً أبداً ، حتى تركت فيها أثر شخصيتها القوية الثائرة الجميلة . واضطلعت فرجينيا لساعتها بالعبء الذى خلفته أمنا . فلما تم الرأى على إرسال ثلاثة منا إلى ملجأ من ملاجىء الأيتام ، أعولت فرجينيا وقالت : « كلا ، لن يكون . . إخوتى أولادى » .

ولكن القسيس أبان لها أن أمنا أوصته أن يتعهدنا حتى نتعلم القراءة والكتابة. ولقد عاهدها « توم » ، وكان فى التاسعة ، أن يحوطنى ويرعانى .

فلما بلغت الحادية عشرة جاءت فرجينيا فأخرجتنى من الملجأ ، وكانت تكسب وقتئذ ريالا ونصف ريال فى الأسبوع أجراً عند بعض الأسر . ولما لم يكن معها ما يكفى لتدفع لى أجر الركوب ، تواريت ببعض الركاب عن عين المفتش . وهكذا أصبحنا فى هذه السن الباكرة زميلين فى الشقاء .

وظللت بعد ذلك ثلاث سنوات أعمل بأى أجر يتيسر ، فإذا أعوزنى الكسب والنفقة عشت عيش المتشردين . وجاهدت فرجينيا طوال هذه المدة أن تلم شمل الأسرة ، وقد نجحت مرة واحدة ، فقد انتهى المطاف بأبى إلى البيت ذات مرة ، فقضينا نحن الأولاد الستة معه ليلة قبل أن يعاود الضرب فى الآفاق .

ولقد أمرتنا فرجينيا أن نتلطف به غاية التلطف وقالت : « حسبه ما قاسى من فقد أمنا » . ومنذ ذلك اليوم انقلب الأمر ، ولم يعد أبى ذلك الحفار المتجول السكير الذى عهدناه — بل عاد الرجل الذى أحبته أمى .

وسافر أخى توم فى اليوم التالى إلى المكسيك فى طلب الذهب ، واستولت على فرجينيا بعد رحيله غشية من السكون وقالت : « لقد فقدت نمراً من نمورى المروّضة الحبيبة » .

ومضى عام آخر موحشاً بطىء الخطى ، وانتهى الأمر بأن صرت أفاقا شريداً . وسافرت فرجينيا إلى شيكاغو ومعها حقيبة من الصفيح فيها ثيابها وصورة لأمنا مكبرة

ملونة ، واستقرت فى حى زرى قذر ، وصارت فتاة فى أحد المطاعم الرخيصة . وكانت رقتها ترف كنور الشمس .

وكنت لا أبالى كيف أبعدت فى شرودى وتجوالى ، فإن فرجينيا هى مأواى وملاذى ، كما كانت لأفراد الأسرة جميعاً . وكنت أكتب إليها الرسائل الطوال ، وإذا اشتد بى الشوق إليها ، قطعت مئات الأميال على قدمى لكى أتزود منها بنظرة .

وكان ثمة أمران يقضان مضجعها : تعرضى للقتل فى عيشة التشرد التى أعيشها ، أو أن يكون ما هو أشنع فأصبح من المجرمين . ولقد أعطيتها العهد والميثاق أن لا أفعل شيئاً يوقعنى تحت سطوة القانون .

ولما كنت أكتب إليها أحياناً كلاماً خلاباً جذاباً ، فقد رسخ فى قلبى وقلبها أنى سأصير كاتباً . أما كيف يتأتى ذلك ، فأمر لم نقدره . لقد كنا كالعصافير فقراً وكمثلها خفة نشاطاً . وكانت شديدة الرحمة للناس حتى لم يبق لها على نفسها رحمة . وبلغت من لطف الحس أن سلكت جادة الفقر الموحشة بريئة القلب من الحسد ، وألقت على رمضاء الحقائق الواقعة غشاء لطيفاً من التعجب والفكاهة الحزينة .

صار مسكنها الرث فى شيكاغو ملتقى المساكين الشحاذين ، فتراهم نياماً فى كل ركن . كان لديها ستة مقاعد يمكن أن تحول فراشاً ، وكانت تخرج من خزانتها حشايا صغيرة تفرشها على الأرض ليلا ، ولم يكن مطبخها يخلو ليلا أو نهاراً من أمثال هؤلاء الشحاذين يهيئون لأنفسهم الطعام . وكانوا جميعاً — مهما بلغ من بؤسهم — مستبشرين . ولما كان هؤلاء الشاردون لا يملكون شيئاً صار مذهبهم أن يقتسموا كل شىء .

وكانت فرجينيا تدخر كل مِنْحة (بقشيش) تنالها فى المطعم لدفع كِراء مسكنها . وكان كل علمها بالاقتصاد هو أن تمسك عن الدفع للبدال لتدفع للقصاب ، ثم تعكس إذا جاءت الضرورة . وكانت تقدر قيمة الشىء بالمقدار الذى تظفر به إذا هى رهنته .

وقد درجت على عادة الشراء بالتقسيط . وكثيراً ما جادت على المحتاجين بالشىء قبل أن تفرغ من سداد ثمنه . وفى ذات مرة جعلت تدخر أسابيع لتدفع نقداً جملة الثمن المطلوب فى معطف حسن التفصيل . ولم يمض شهر أو نحو ذلك حتى خلعته على امرأة عجوز أعجبت به . ولما سئلت قالت : « لقد ضقت ذرعا برؤيتها فى معطفها القديم البالى »

ولقد اشترت بالتقسيط على مألوف عادتها تمثال فتاة من الغجر طوله ثلاث أقدام مصنوعاً من الشَّبَه (البرنز) ، وعلى الفتاة معطف أخضر وقبعة حمراء لا تكاد تستقر على

شعر رأسها الثائر ، وكان فى يدها مِسْعَر طويل تحرك به ناراً حمراء منبعثة من مصباح كهربائى . وكانت فرجينيا تطفىء جميع الأنوار فى غرفتها الصغيرة الوحيدة التى لم يشركها فيها هؤلاء الصعاليك ،فتخلو بفتاتها الغجرية وجذوة نارها المنبعثة من المصباح الكهربائى ، وتشرب قهوتها وتفكر فى الحياة وتعجب لها .

وكان ثمة شىء آخر تغالى فى قدره ، وهو صورة زيتية اشترتها بثمانين ريالا ، وتبين لك كيف كان خبرها فتقول : « عشرة ريالات نقداً . ثم ستة ريالات ونصف ريال فقط كل شهر » . والصورة تمثل كشاناً من الرمل على شاطىء بحيرة مشيجن وهى ناطقة بالوحشة الساهمة ، فإذا أثقلت عليها قالت : « لا تغلظ لى اللوم ياجيم ، إنها توافق ما أجده فى نفسى » .

ولما مات أخونا توم فى المكسيك فى حادثة وقعت له ، وهو يشتغل فى البناء ، حملت نعيه إلى فرجينيا . كانت تحبه حباً شديداً ، فدفنته فى حبة قلبها ، وجعلت تدعو الله أن ينزل السكينة على روحه الثائرة .

وانحصرت آمالها جميعاً بعد ذلك فىّ أنا . ولما كان توم قد قضى ولم يعد فى وسعه أن يجتاز المفازة ، فقد كتب على أن أفعل .

وقلت لها : « تستطيعين أن تثقى بى يا أختاه » . وهى دعوى ادّعيتها لها ، وإن لم أجترىء على النظر فى أغوارهاتين العينين.

وقد عرفت فرجينيا،فيمن عرفت، امرأة نجحت فيما بعد فى كتابة الأقاصيص . فكانت أختى تنصب حياة هذه الكاتبة مثالا أقتدى به . فأنا سوف أدلّ الناس على نفسى فى يوم من الأيام — وكانت على يقين من ذلك . ولم تكن تدرك طول الطريق التى كان على أن أقطعها .

ومضت بضع سنين وعيناها تزدادان حزناً وكآبة ، أما صوتها فكان يظهر الأمل ويبطن جرح قلبها . وكانت إذا لحاها اللاحون من الأصدقاء من جرائى قالت : « لا يمكن أن تنتظروا ، بطبيعة الحال ، أن يزاول جيم عملا عادياً . إنه من الأفذاذ » .

وفى ذات يوم اصطحبت معى إلى البيت فتى من العيّارين المتشردين اسمه إدى هانى. وكان إدى ساخطاً شديد النقمة على الحياة وعلى ما نحن فيه من الفقر ، وقد جاهر بأنه لن يحجم عن أن ينال ما يريده و لو اضطر إلى أن يغتصبه اغتصاباً . وقد ذعرت فرجينيا من مسلك إدى . فلما أن أوى « إدى » إلى الفراش تلك الليلة قالت : « نعم إننا نعلم يا جيم أن الحال ليست على ما يرام ، ولكن اللصوصية لا تقوّم ما اعوّج منها » .

وقد كنت على شفا الجرف ، فردتنى

كلماتها . ودبر إدى خطة ولـكنى أبيت أن أذهب معه . وأصابت إدى رصاصة فى القلب ونشرت الصحف حكايتـه وصورته وقالت فرجينيا معقبة : « يالفتى المسكين » .

وكانت شهوة التشرد عنـــدى كالحمى تضطرم فى أعماق نفسى ، وكنت شـديد السخط على نظام المجتمع الذى لم أجد لى فيه مكاناً صالحاً ، ولم يبق على بلوغى الحادية والعشرين إلا قليل .

قالت فرجينيا : « لا تُخزِنى يا جيم . لقد عشت عيّاراً متسكعاً زمنـاً طويلا . إن هؤلاء المناكيد المساكين حولى، قوم عجزة لا حيلة لهم ، ولـكنك لست كمثلهم . أنت قوى ضليع . فانزل عن أكتاف النـاس ولا تكن عالة » . ووضعت فرجينيا يدها فى يدى : « لقـد قلت لى حين مات توم أن أثق بك . ولم أزل أثق بك يا جيم » .

فلما رأتنى فى حيرة تبرّح بى ، عاد إليهـا هدوءها وقالت : « لقـد خطر لى خاطر يا جيم — أقم مكانك ، واشرع فى الـكتابة جادّاً جاهداً . فهذا ولا شك صارف ذهنك عن التسكع فى الطرق » .

وأنشـأت أكتب رواية ، وقد لقيت فرجينيا مشقة فى قراءة خطها ، فقـالت : « هذه خير علة أتعلل بها » . فاشترت آلة كاتبة بالتقسيط ، فكان يطيب لها أن تردد : « نعم ، إن جيم مشغول بتأليف قصة » .

وكلانا كان شديد الحفاوة بأمر الناس ، وكنا منذ أول الصبا نحاول أن نتبين بواعث أفعال الإنسان . فكنا ونحن نشرب القهوة تحت الوهج الأحمر المنبعث من مصباح تمثال الغجرية ، نقضى الساعات الطوال نحلل ما استطعنا دوافع الإنسان : لماذا أراد توم أن يبقى فى المكسيك ؟ لماذا تزوجت أمنا أبانا ؟ لماذا استهدف إدى للرصاصة التى أودت بحياته ؟

وكادت عقيـدة فرجينيا بسيطة ، فهى مؤمنة بأن الله موجود ، وأن أمها فى السماء ، وأن أهل الدين سيجدون فى آخر الأمر لآلام البشرية وويلاتها علاجاً . وكانت أحب الشخصيات إليها شخصية المسيح ، وكانت تقف عنـد ما لا تستطيع إدراكه قائلة : « الله أعلم » .

وبلغت كلمـات القصة فى وضعها الأول مئة ألف كلمة مرصوصة رصاً ، وكلها فصل واحد . وقد قطعت فرجينيا صفحاتها بجرأة حتى فرغت منها ، ثم قالت فى رقة كأنها رقة إرلندية : « لقد صرت الآن صاحب قصة ، يا جيم » .

ولما كنت امرءاً حـريصا على إدراك الواقع ، فقد سألتها : « ولـكن ، أين هذه القصة الملعونة ؟» ولما لم يكن لفرجينيا علم

بالنقـد ، أجابت بوقار : « فى موضع ما مما كتبت » .

ودارت الشهور سـنوات ، واشتغلت ملا كما ، ومشـذبا للأشجار ، ومراسـلا صحفيا . ولما فصلت من الجريدة الثانيـة التى اشتغلت بهـا ، وأردت أن أعود إلى التسكع فى الطرق . قالت فرجينيا : « لماذا، يا جيم ؟ إن أبانا لم يصبح أفاقا لأنه أخفق فى تعاقد على حفر قناة » .

فعكفتُ على روايتى ، أعمل نحو ساعة كل يوم .

وبعد أن قضيت سـنة أعالج الـكتابة ، وقعت فرجينيا ذات يوم على قصة كتبهـا روبرت هيوز فقرأتها فهزّت نفسها فقالت لى : « ينبغى أن تـكتب إليه ، يا جيم . إنه سيفهمك . إننى أحس هذا من قصته » .

فـكتبت رسالة إلى روبرت هيوز ، فبلغ من عطفه النادر أن أعاننى على أن أصوغ قصتى على وجهها ، وقبلهـا بعض الناشرين فى نيويورك .

فلما نجحت تبدلت حياة فرجينيا حتى كانت تقول : « أنا الآن إنسان له شأن . انظروا ، فقد ألّـف أخى كتابا » وبادرت إلى دارنا الأولى فى أوهيو ، وصارت تذهب وتجىء فى شارع اسبرنج ، وهى تيّـاهة خفيفة الحركة كما كانت كأول العهد .

وأوحت إلى السـنوات الطويلة التى قضيتها فى كفاح موضـوع قصة أخرى ، أن أصف حياة العيّـارين المتشردين الذين عرفتهم صبيا . ودرست الموضوع أنا وفرجينيا فقالت لى : « أحسنت ياجيم . لا تتخل عن هؤلاء الصعاليك » وعكفت على العمـل . واشـتهرت قصتى « الصعاليك » وأذاعت اسمى فى أقاصى البلاد . وأحالها مكسويل أندرسن رواية مسرحيـة . وقام جيمس كاجنى بتمثيل دور الصبى الأحمر الشعر ، وهو أنا .

ولما كثر المال ، جعلت لفرجينيا الخيار أن تسافر حيث شاءت ، فاختارت الرحلة إلى المـكسيك ، وتجشمت السفر الطويل إلى قبر « توم » . وكانت السحب الـكثيفة تسبح فى السماء ، وفرجينيا قد طال وقوفها على قبر توم وقفة ثكلى تزور فلذة كبدها الدفينة فى أرض غريبة نائية .

ولما كنت فى طريقى من هوليوود إلى نيويورك ومعى مخطوطات رواية تمثيلية وضعتها أنا وفرانك ديزى — وهى « الفتى الزنجى » وقد ظهر فيهـا أخيراً بول روبسون — نزلت فى شيكاغو لأزور أختى فرجينيا . وبطل الرواية ملاكم زنجى حرمه إخوانه البيض كل شىء . وقد تأثرت فرجينيا من الرواية غاية التـأثر واحتجت على :

« لماذا لا تدع للفتى المسكين شيئاً » .

فساقنا جوابى إلى حديث من أحاديثنا الطويلة عن الناس ، وقد قلت لها فى آخر الحديث: «سأكتب يوما ما عنك ياأختاه» .

ولقد سرَّها ماقلت حتى مشت فى الحجرة تتهادى ، ثم وقفت بجوار تمثال الغجرية الصغير وقالت : « يا ويحى ، وما تقول عنى؟ اصبر حتى تبلغ هامتى السحاب ، ويومئذ لا محيص لك من أن تكون أشد حذراً ، وأكثر بى رفقا مما فعلت بالزنجى المسكين» .

ثم تكلفت أن تبدو متجهمة وقالت : « ويومئذ أرميك بنظرة من سمائى العالية» .

وسافرت إلى نيويورك . وبعد أيام من رحيلى أصيبت بمرض ، فلم تأذن لأحد بأن يبلغنى نبأ مرضها ، وكانت تقول : « حسبه ما يلقى من عناء فى روايته » .

وفى صبيحة اليوم التالى لتمثيل روايتى ، جاءتنى برقية : « فرجينيا تحتضر » .

فركبت القطار إلى شيكاغو ، فما سمعت صوتى حتى مدت ذراعيها النحيلتين وقالت وهى تجاهد : « مرحبا بك يا بنى ! كنت على يقين من حضورك » .

وتكنَّفها المساكين الذين كانت تتعهدهم ، ولا حول لهم ولا قوة حيال الموت ، كما لا حول لهم ولا قوة حيال الحياة .

وقلت بصوت متهدج : « ماذا بك ، يا أختاه ؟ » .

حاولت أن تبتسم ، وقوى قلبها الكبير لحظة ، وقالت : « ماذا بى ؟ إنى على أحسن حال . كلا ، لن أموت الآن ، فهذا أخى الصغير ذائع الصيت ، وفى يدى كل شئ» .

ولما ضعف بصرها عن أن تتبين تمثال الغجرية الذى سيخفى عن عينيها نور مصباحه عما قليل ، أشارت إلىَّ أن أضعه بجوارها . وكانت الصورة الزيتية معلقة فوق رأسها .

وفى تلك الليلة قضت أختى نحبها .

● جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يريد أن يطلّق امرأته ، فقال له عمر : ولم ؟ قال : إني لا أحبها ! فقال : أوَ كلُّ البيوت بنيت على الحبّ ؟ فأين المروءة والتذَمُّم ؟

سيكون فى وسعك خلال عشر سنين أن تنتقل بأسرع من الصوت. هكذا يقول هذا الثقة الهندسى.

أعجوبة المحرّك النفّاث

مختصرة من خطبة ألقاها فى مدرسة الهندسة بجامعة كاليفورنيا

هول ل. هيبارد
وكيل شركة لوكهيد للطيرات وكبير مهندسيها

لا شك فى أن الطيران بالقوة المحركة النّفّاثة هو أعظم ما أصابه الطيران من تقدم خلال هذه الحرب، بل أرى أنه بدء المرحلة الأخيرة فى محاولة البشر أن يعبروا أرجاء الفضاء. وقد انقضت ست سنوات على البحث العلمى فى أثناء الحرب، ولكن أبرع مهندسى الطيران فى الدول المتحالفة والمعادية لها على السواء، لم يتيسر لهم أن يزيدوا فى سرعة الطائرة المألوفة أكثر من خمسين ميلا فى الساعة. فلما بلغت السرعة ٤٥٠ ميلا فى الساعة أو أكثر قليلا، وهى السرعة التى تهبط عندها قدرة المراوح هبوطاً كبيراً، عجزوا عن الزيادة. فلم تكد تظهر القوة المحركة النفاثة، حتى زادت سرعة الطائرات مئة ميل فى الساعة أو تزيد — أما مقدار الزيادة على وجه التدقيق فلا يزال سرا حربيا.

فما هو هذا الاختراع الذى لا يرتاب أحد فيما له من خطر الشأن فى أيام السلم المقبلة؟

أما المبدأ فبسيط. فلنفرض أننا ملأنا كرة بغاز الاستصباح، وأن فى الكرة شمعة احتراق، وأن فى سطحها ثقباً. ثم لنتصور أن الشمعة أشعلت الغاز، فيقع انفجار تنشأ عنه زيادة مفاجئة فى ضغط الغاز على باطن الكرة، وهذه القوى الضاغطة على السطح يبطل بعضها عمل بعض، إلا حيث يكون ضغط الغاز واقعا على الجهة التى تقابل مباشرة مكان الثقب فى السطح، فهناك نجد ضغطا إيجابيا. أما فى الجهة المقابلة حيث الثقب، فيستطيع الغاز أن ينفلت، فيكون الضغط صفراً. فينتج عن هذا أن تندفع الكرة فى اتجاه الضغط الإيجابى — مبتعدة عن اتجاه الثقب.

واعلم أن حركة الكرة لا تنشأ عن انقذاف الغازات الساخنة واصطدامها بالهواء خارج الكرة — فهذا خطأ شائع. فليس لأى شىء خارج الكرة أثر فى حركتها. ولا فرق فى ذلك بين أن يكون

ما يحيط بالكرة هواء أو ماء أو فراغا .
وثمة أنواع من المحركات النفاثة ، وأفضلها من الوجهة النظرية وأبسطها هو الصاروخ الذى لا يعتمد على دخول الهواء من الخارج لكى يستمر الاحتراق فى جوفه . فطريقة الصاروخ هى أقصى ما يمكن أن تبلغه وسائل الانتقال ، وهو المحرك الذى سينقل الإنسان فى آخر الأمر إلى ما وراء جو الأرض . والمحرك الصاروخى بسيط ، ففى خزان منه يكون الأوكسجين — ويغلب أن يكون سائلا — ويدفع مباشرة فى أنابيب إلى مكان الاحتراق . وأما الوقود — وهو الآن كحول أو بنزين — فموضوع فى خزانات أخرى .

وقد استعمل المحرك الصاروخى استعمالا نافعاً فى سلاح الانتقام الألمانى المعروف باسم « ف٢ » أو القنبلة الصاروخية . وقد بلغت سرعة هذه الآلة المدمرة البارعة أكثر من ٢٥٠٠ ميل فى الساعة ، وزاد ارتفاعها على ٦٠ ميلا . وليس هذا خيالا ووهما كما يعلم الشعب الإنجليزى .

أما النوع الثانى من المحركات النفاثة فيختلف عن الصاروخ فى أنه يحتاج إلى امتصاص الهواء من الخارج وخلطه بالوقود لكى يستمر الاحتراق . والمحرك الذى تصنعه شركة « جنرال إليكتريك » لطائرة لوكهيد « شوتنج ستار — الشهاب » هو أقوى محرك صنع لطائرة حتى الآن . وهذه الطائرة لا تستطيع أن تسير قدُماً إلا فى جو الأرض ، غير أنها تحلق إلى مرتفعات تقصر دونها محركات الطائرات المألوفة .

يدخل الهواء من مقدم هذا المحرك ثم يضغطه ضاغط خاص ، ثم يمر إلى حجرة الاحتراق حيث يخلط بوقود مندفع اندفاعاً شديداً ، ويحدث تفجر مستمر ، فترتفع حرارة الغازات ارتفاعا شديداً ، فتتمدد تمدداً عنيفاً . أما الوقود المستعمل الآن فهو الكروسين (الجاز الأبيض) . وثمة شمعة احتراق تحدث الانفجار الأول ، ولكن هناك شمعة صغيرة من معدن متوهج ، ترتفع حرارتها حتى تبيضّ فى ثوان معدودات ، فتمضى بعد ذلك تشعل مخلوط الغاز . وإذن فليس ثمة نظام معقد للاشعال ، كما فى محرك البنزين المألوف فى الطائرات والسيارات . فالمحرك النفاث فى غنى عن التبريد ، ومشكلات التزييت نفسها لا تلبث أن تزول . إن خفة وزنه (وهى أقل من رطل واحد لكل ما يساوى حصاناً من القوة) وبساطة تركيبه ييسران كثيراً من مشكلات تصميم الطائرات ويسهلان صيانتها .

أما النوع الثالث من المحركات النفاثة

فهو مركب من المروحة المألوفة ، يحركها تربين بنزين تتحرك كما يتحرك المحركات النفاثة الأخرى (التربين جهاز يحول الطاقة الكامنة إلى طاقة حركة) . وهذه المروحة التى يحركها تربين ، لا تجدى أقصى جدواها إلا إذا كانت السرعة دون ٥٠٠ ميل فى الساعة . وهى على جانب عظيم من البساطة ، وأرى أن استعمالها سيشيع سريعاً . ولاريب فى أن المحركات التى يديرها تربين البنزين سيعم استعمالها فى القطارات وسيارات نقل الركاب ، بل فى سيارة المستقبل .

وإنى لواثق بأن جميع الطائرات — الحربية أو الخاصة أو طائرات النقل — ستعتمد على أحد هذه المحركات النفاثة خلال عشر سنوات .

ويوم تركب طائرة يسيرها المحرك النفاث فإنك ستجدها تختلف عن كل طائرة ركبتها من قبل ، فلن تحس شيئاً من التعب الذى يحدثه الصوت والارتجاج ، فالطائرة تطير فى يسر وصمت . ويقول الطيارون إنهم لا يسمعون إلا هديراً لطيفا حين تنزلق الطائرة فى الهواء . أما إذا نظرت إليها من الأرض فإنك تميزها عما سواها من الطائرات بالزئير الذى يتبعها على الأثر . فأنين مراوح التربين يختلط بهدير النفث ، فإذا الصوت كأنه صوت المشعل الضخم الذى يصهر المعادن .

وتمهد المحركات النفاثة لبلوغ سرعة لم تعهد من قبل . فالطائرة المقاتلة المجهزة بهذا المحرك تنطلق فى الطيران السوى بسرعة تفوق سرعة الصوت ، أى ٧٦٣ ميلا فى الساعة على مقربة من سطح البحر .

ولكن هذه السرعة تنشىء مشكلات خاصة ترجع إلى زيادة مقاومة الهواء ، واحتكاك جسم الطائرة به . ولا تبلغ مقاومة الهواء مبلغا خطيراً مادامت السرعة دون ٤٠٠ ميل فى الساعة ، ولكنها تأخذ فى الازدياد إذا زادت السرعة عن ٤٠٠ ميل ، فإذا ما بلغت ٥٠٠ ميل تعاظمت الزيادة فجأة ، ثم تبلغ الزيادة غايتها حين تصير سرعة الطائرة كسرعة الصوت .

ثم تخف المقاومة فجأة كما اشتدت فجأة ، وهذا من الغرائب . فإذا كانت السرعة ١٣٠٠ فى الساعة ، لم تكن المقاومة أكثر كثيراً منها حين تكون السرعة قليلة . وقد تستطيع الطائرة أن تخترق نطاق المقاومة الشديدة ، وتخرج منها بسرعة تمكنها من أن تطير فى نطاق المقاومة الضعيفة بسرعة تفوق سرعة الصوت .

أما العامل الثانى ، عامل الاحتكاك بالهواء ، فإنه يضع حداً حاسما لكل أمل يعلق على بلوغ سرعة تفوق ١٥٠٠ ميل فى الساعة فى جو الأرض ، لأن الاحتكاك يرفع

حرارة الطائرة حتى يعجز الحى عن البقاء فيها . ولو زودت الطائرة بجهاز للتبريد يكفى للتغلب على هذه الحرارة ، لكان وزنه أثقل مما ينبغى .

ولكننا نستطيع أن نتفادى تماما مشكلة الاحتكاك بالهواء ، بأن نخرج من جو الأرض إلى حيث لا نجد هواء تحتك به الطائرة . والطائرات الصاروخية تمكننا من بلوغ سرعة لا حدود لها .

ولقد كان الألمان روادا فى هذا الميدان ، فطائرتهم مسرشمت ١٦٣ – ب ، وهى مقاتلة صاروخية خالصة ، كانت أسرع طائرة صنعت إلى أن تم صنع طائرة لوكهيد «الشهاب» (ب٨٠) . أما الطائرة مسرشمت ١٦٣ فليس لقدرتها على الارتفاع حد من الناحية النظرية ، فإذا زودت بالقدر الكافى من الوقود ، وبالأجهزة اللازمة لضغط الهواء فى حجرة مقعد الطيار ، استطاعت أن تخرج من نطاق جو الأرض . ومن حسن حظنا أن الألمان لم يتمكنوا من تزويدها بما يكفيها أن تطير أكثر من ربع ساعة وحسب .

أما اليوم فإن المقاتلات المألوفة قد أصبحت عتيقة ، ولكن مقاتلات المستقبل سوف تسير بقوة المحرك النفاث أو الصاروخ . ومبدأ هاتين القوتين يصلح للتطبيق فى الطائرات مهما يكن حجمهما . فطائرات النقل تستطيع أن تطير فى جو الأرض بسرعة تفوق سرعة الصوت ، فإذا أردنا سرعة أعظم ، استطاعت هذه الطائرات أن تعتمد على قوة الصاروخ فتحلق إلى طبقات الجو العليا . أما خارج جو الأرض ، فإن بلوغ سرعة ١٠٠٠٠٠ ميل فى الساعة أمر مستطاع .

أفيستطيع جسم الإنسان أن يحتمل سرعة عظيمة من هذا القبيل ؟ إن سطح الأرض بكل ما عليه من أحياء وأشياء ، يقطع الفضاء ، فى دوران الأرض ، بسرعة ألف ميل فى الساعة ليل نهار . والمجموعة الشمسية تذرع الفضاء بسرعة ٥٠٠٠٠٠ ميل فى الساعة . وأطباء الطيران يرون أنهم لا يعرفون حدودا جثمانية لسرعة انتقال الإنسان فى الفضاء .

إن بزوغ هذا العصر الجديد فى وسائل النقل يقتضى منا أن ننقح رأينا فى الزمان والمكان . فمدن أوربا وآسيا لن تلبث حتى تصبح على بضع ساعات من شيكاغو ، فيغدو العالم كله جيرة متقاربين ، ويصير الانتقال بالسيارات والقطارات والطائرات التى تحركها المحركات النفاثة ، سفرا سريعا قليل النفقة يجد فيه المرء من الراحة ما لا يجد اليوم .

وستتجه رغبة الكثيرين ممن يملكون سيارات إلى اقتناء الطائرات من طراز هليكوبتر بعد عشر سنوات. وهذه الطائرات ستكون أيضاً مجهزة بالمحركات النفاثة. وعندى أن هذا المركب سيكون أبسط ما ابتكر من أسباب النقل، وأعظمها أمنا وراحة.

هذا التطور فى الطيران يفتح آفاق الفضاء لمن يرتادها. وإنه لمما يذهل الخيال أن نتصور الطيران فى الفضاء وراء نطاق جو الأرض، ولكن هذا الطيران سيتم، وليس ثمة ريب فى أننا سنرد غياهب الظلام على أعقابها عن مجهل آخر من مجاهل الكون.

« الأناة سرّ الجمال »

لن أنسى الأسابيع الأولى التى قضيتها فى معمل الدكتور وليم بيل، فقد ناولنى نباتاً غضاً اقتلع لساعته من ضفة النهر — بما فيه من أوراق وجذور وأزهار — وطلب منى أن أدرسه وأصوّره وأدون ما أرى. وكنت قليل الصبر، فلم تكد تنقضى ١٥ دقيقة حتى عدت إليه أطلعه على ما صنعت. فقال: « امض فى عملك، فإنك لم تكد تبدأ ».

فاستعنت بالمجهر الصغير على الدراسة ودوّنت مذكرات عما رأيت، وذهبت إليه ثانية أعرضها عليه. فقال: « امض فى عملك، فإنك لم تكد تبدأ فى رؤية كل ما فى هذا النبات ».

وسار الأمر على هذه الوتيرة ثلاثة أيام أو أربعة. وكان يبدو لى أن هذا إسراف فى إضاعة الوقت، ولكننى لم ألبث أن رأيت — وما أعجب ما رأيت! لقد كان هذا النبات أروع وأجمل مما كنت أتصوّر، فعروق الأوراق وترتيبها وألياف الساق قد أخذت تسحرنى. وهأنذا أستكشف كل هذا وحدى، فكأننى أرود عالما جديداً عظيما.

كان الضجر والعجلة من أكبر عيوبى فى زمن صباى. فتعلمت فى معمل الدكتور بيل أن العجلة عدو الفكر، وأن أى شىء فيه كل شىء. وحين قرأت ملاحظة رودان المثال الفرنسى العظيم: « الأناة سرّ الجمال » أدركت ما يعنى، فقد علمنى ذلك الدكتور بيل.

[راى ستانرد بيكر]

كيف نجحت الديمقراطية فى سويسرا

إدوين مولر • مختصرة من مجلة "كومن سنس"

إن مياه بحيرة كونستانس العميقة الزرقاء على سفوح جبال الألب الفاخرة ، هى الحدود الفاصلة بين قبيلين من الشعب الألمانى ، وهى أيضاً الحدود الفاصلة بين غايتين من نعيم وشقاء .

فعلى أحد شاطئ البحيرة يقيم ألمان الريخ الثالث الذى دالت دولته ، وتركت فتيانه بين قتيل ومشوه ، وتركت مدنه خراباً . وهم يعيشون فى ظلال حكم أجنبى، وحاضرهم بؤس وشقاء ، ومستقبلهم بغير أمل أو رجاء .

وعلى الشاطئ الآخر سكان سويسرا الشمالية ، وهم ألمان أيضاً — وشأنهم كشأن إخوانهم ، وأصلهم واحد ، وبينهما شبه كثير فيما توارثوه من أخلاق أسلافهم . ولكنهم نعموا بالسلم مئات السنين ، وهم فى رغد من العيش — وأهم من ذلك كله أنهم قوم أحرار فى بلد حر .

فمن أين جاء هذا التباين ؟ فمنذ ستة قرون مضت،وجد السويسريون أنفسهم فى مفترق الطرق ، فسلكوا الطريق المؤدى إلى الديمقراطية ثم لم يعدلوا عنه بعد ذلك .

ولقد أبصرت حديثاً مشهداً يتجلى فيه كيف تسير الديمقراطية السويسرية ، إذ حضرت فى « أبينتزل » — وهى قرية عتيقة — الحفل الانتخابى السنوى الذى يقام فى الهواء الطلق . وهذا النوع من الانتخاب سار فى سويسرا فى خمس من مقاطعاتها وعددها ٢٢ مقاطعة ، وينبئ عن الروح السائدة فى المقاطعات الأخرى . رأيت ميدان القرية الرئيسى قد ضرب حوله نطاق من الحبال ، ولا يؤذن بدخوله إلا لمن له حق الانتخاب ، ومن وراء الحبال صفوف النساء والأطفال كأنما هى مدرسة سيتخرج منها الناخبون للمستقبل، وأقيمت منصة الخطابة فى الميدان ، ووضع على مائدة سيفان ضخمان ، لكل منهما مقبضان ، وهى سنة يراد بها التذكير بأن الديمقراطية حمى خليق بأن تبذل دونه الأرواح .

وألقى رئيس مجلس المقاطعة الذى انتهت مدته كلمة شبيهة بخطب رجال الأعمال ، لخص فيها ما أداه من خدمات مدة ولايته ، ثم بين كيف صرفت النقود المحصلة من دافعى الضرائب. وكثيراً ما قاطعه الحاضرون

بالأسئلة، فكان يبذل جهده فى إيضاح ماسئل عنه. ثم قام المرشحون الجدد واحداً بعد واحد يعرضون برنامجهم، وغادروا المنصة. وتمّ الانتخاب برفع الأيدى، وأقر المجتمعون ميزانية المقاطعة عن السنة المقبلة، كما أنجزت أعمال أخرى كتعديل قوانين إعانة الفقراء وأنظمة الجراية.

أما التصفيق الذى سمعته فلا يزيد عما يكون فى اجتماع مجلس إدارة بعض المصارف. ولقد شعرت بأن هؤلاء الرجال الذين اجتمعوا ليقيموا بينهم حكومة هم الحكومة نفسها.

وهناك مثل سويسرى يقول: « نحن الدولة » وهذا مثل قلما تلوكه الألسنة لأن مغزاه بديهى مفروغ منه، إذ يشعر كل سويسرى أنه مسئول عن حكومته.

وقد استحدثت سويسرا فى سنة ١٨٩١ نظام الاقتراح ونظام الاستفتاء. ويقضى نظام الاقتراح بجواز سن قوانين جديدة إذا قدم بها طلب يوقعه ٥٠ ألفاً من الناخبين. ويقضى نظام الاستفتاء بأن أى قانون يكون البرلمان قد أقرّه يجب أن يستفتى فيه الشعب كله، إذا طلب ذلك ٣٠ ألفاً من الناخبين.

ولقد خشى الرعيل الأول من الأمريكيين إسناد الإشراف المباشر إلى الشعب، وسموه « حكم الدهماء »، وآمنوا بأنه يؤدى حتما إلى سن سيل جارف من قوانين خرقاء تطغى على حق الملكية وحقوق الأقليات.

وقد تابعهم بعض ساسة سويسرا فى سوء ظنهم هذا الذى يظنونه بالشعب، ولكن الأيام أثبتت أن مخاوفهم لا محل لها. فإن حذر الناخبين من سن القوانين المرتجلة يفوق حذر المشرعين أنفسهم، فقد حدث مثلا بعد الحرب العالمية الأولى أن وقعت سويسرا كغيرها من الدول فى براثن أزمة مالية شديدة، وقدم اقتراح بفرض ضريبة على رؤوس الأموال، ولم تكن تمس سوى ستة من كل ألف سويسرى، ولما استفتى الشعب فى هذا الاقتراح رفض بأغلبية ٧ إلى ١

ومع أن سويسرا قد تابعت الولايات المتحدة فى جعل هيئتها التشريعية من مجلسين، إلا أنها لم تتابعها فى جعل الهيئة التنفيذية خاضعة لسلطان فرد واحد، فالهيئة التنفيذية فى سويسرا لا تتمتع بما يتمتع به رئيس الولايات المتحدة من حق الاعتراض على القوانين ووقفها، فهذا حق الشعب. وكلمته هى العليا. فرئيس حكومة سويسرا خاضع للهيئة التشريعية، ويتبادل هذا المنصب أعضاء الوزارة وعددهم سبعة. وربما رأيت الرجل السويسرى المثقف، مع معرفته أسماء الوزراء جميعاً، يغيب عنه أن يذكر من يكون منهم رئيس الحكومة ساعتئذ.

وكذلك لم تَقْفُ سويسرا أثر الولايات المتحدة فى استناد الحكومة على حزبين يتبادلان الحكم . ففى سويسرا أحزاب كثيرة تتراوح بين أقصى اليمين ، كحزب المحافظين الكاثوليكى، وبين أقصى اليسار ، كالحزب الاشتراكى ، وبين هذين حزب الأحرار المستقلين ،وقد ظل أقوى الأحزاب سنين عَدَداً . والهيئة التشريعية تميل تارة إلى الأساليب الحديثة ، فإذا جربتها عدلت تارة أخرى إلى الأساليب القديمة .

وصحف سويسرا ، بحسب نسبة السكان، أكثر من صحف كل دولة أخرى فى العالم . وبعينها يراقب الناخب عن كثب عمل القائمين على خدمته ، أعنى الموظفين أنفسهم وقد يكون مرجع نزاهة الحكم فى سويسرا إلى هذه المراقبة ، أو إلى أن الموظفين أنفسهم أمناء .

ولا ينفق السويسريون فى الانتخابات أموالهم جزافاً، ويقال إن أكبر مبلغ أنفقه أهم حزب سويسرى فى الانتخابات يزيد قليلا على ٥٠ جنيهاً مصرياً . وقد حدث أن عاد أحد السويسريين إلى وطنه بعد أن أثرى فى مهجره بالولايات المتحدة ، وهو طامع فى دخول حلبة السياسة، فاستأجر بهواً فسيحاً ، وألقى خطباً ، ونثر السجاير نثراً ، وأقام المآدب ، فجاءه الناخبون واستمتعوا بما بذله لهم ، ولكنه لم يظفر إلا بأقل من صوت واحد من بين كل عشرة أصوات .

وقد أدى احترام السويسريين لرأى الأغلبية أن ساد التسامح فى علاقات المقاطعات بعضها ببعض . وليس بين السويسريين وحدة فى الجنس ولا فى اللغة — بل هم مختلفون فى الدين والثقافة ، وهم خليط من الألمان والفرنسيين والإيطاليين ، ولكنهم يتفقون فى شىء واحد هو الديمقراطية . وقد لا يتكلم المزارع السويسرى الألمانى من أبناء أبينتزل بلغة العامل السويسرى الفرنسى فى أحد مصانع جنيف ، ومع ذلك فكلاهما يفهم عن صاحبه . وكل مقاطعة فى سويسرا قائمة بذاتها منفصلة عن الأخرى ، ولكنها تدين جميعاً بشعار واحد هو « الكل للفرد والفرد للكل » وخلقوا بذلك دولة ثبتت وحدتها على ضربات النوازل العنيفة .

وجاءت الحرب العالمية الأولى امتحاناً قاسياً لوحدة هؤلاء الرجال الأحرار ، ففى سنه ١٩١٤ كانت صلة السويسريين الألمان بألمانيا صلة وثيقة ، فهم يشاركونها آدابها وثقافتها . على أن هوى السويسريين الفرنسيين كان منصرفاً إلى فرنسا وإلى الحلفاء ، فلما جاء وقت الامتحان أبدى السويسريون الألمان ، والسويسريون الفرنسيون من الولاء للاتحاد القائم بينهم

ما يفوق كل ولاء تبعثه أية صلة أخرى .

وبعد الحرب زاد التوتر قليلا ، فقد ساءت سمعة الديمقراطية فى أوروبا كلها ، ورأى السويسريون الشيوعية تمتد من روسيا إلى المجر وإلى ألمانيا وإلى إيطاليا ، كما رأوا النازية والفاشية تسيطران على أوروبا الوسطى ، وتسرب المذهبان إلى سويسرا . وكان قد لحقها ما لحق غيرها من ضيق اقتصادى ، فألف الشبان الفاشيون السويسريون ، يحدوهم إعجابهم بمقدرة الدكتاتورية ، جماعة المكنسة الحديدية ، ليكنسوا بها الديمقراطية عن البلاد .

ولكن الديمقراطية كانت قد تأصلت فى سويسرا ، فلم تستطع « المكنسة » أن تزحزحها، إذ كان الرجل السويسرى لا يقبل أن يسلم قياد بلاده للنظام النازى أو الشيوعى، وانهارت الأحزاب النازية والشيوعية حين لم تجد لها أتباعاً .

كان الخطر على سويسرا لا يأتى من قبل النازيين فى الداخل ، بل من قبل النازيين فى الخارج ، وقد صرح هتلر علانية بأنه ينوى أن يجعل الريخ يسترد الجماعات الألمانية السويسرية ، كما استرد بالقوة النمسا ودانزج والسوديت . وظهرت فى الخرائط الألمانية التى تكون فى المدارس ، صورة سويسرا داخلة فى نطاق الريخ .

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية ، فإذا سويسرا كأنها جزيرة فى وسط بحر من نازية منصورة ، ولكن ميول السويسريين لم تتباين هذه المرة ، إذ كانت سويسرا بأجمعها معادية للنازية . ولعل أكثرهم عداء هم السويسريون الألمان أنفسهم. وكانت الأفلام الألمانية تقابل بالصفير فى زيورخ ، وهى على بعد دقيقة واحدة من قاعدة قاذفات القنابل الألمانية ، وكسدت الجرائد الألمانية فكانت لا تباع .

وحشدت سويسرا جيشها على الحدود ، وهددها الألمان بالغزو ، وجلجلت مكبرات الصوت تجتاز الحدود لتنذر الجيوش السويسريه بأنها لن تلبث إلا بضع ساعات حتى تفنى على بكرة أبيها . فجاءوا بمدد من المدافع ، وزادوا من حفر الدبابات على طول الحدود ، وألغموا ممر سمبلون وسان جوتار واعتزموا نسفهما إذا حاول المحور اجتياز أراضيهم . ولما هزم هتلر أوروبا كلها أخرجت الهزيمة أعناقها فى سويسرا قليلا ، ووُجد من يقول بوجوب الاستفادة من العبرة الماثلة ، ووجوب إعادة التفكير لتستطيع سويسرا أن تجد محلا فى النظام الذى أقامه هتلر فى أوروبا الجديدة . فقام الجنرال جيزان ، قائد الجيش السويسرى ، وهو رجل قصير القامة بدين ، قد جاوز

الستين من عمره ، وهو فى الحياة المدنية فلاح فى مزرعة ألبان ، واستدعى ضباطه وقرأ عليهم أمره الذى يقول فيه : إن كيان سويسرا فى خطر ، وأن لا مفر من القتال إلى آخر رمق فى سبيل الدفاع عن استقلالها . فسرت كلماته فى الدولة كلها ، واختبأ عنق الهزيمة وأصبح جيزان بطلا شعبياً محبوباً ، وهى ظاهرة لم يألفها السويسريون من قبل ، وكانوا على ثقة من أن قائدهم إذا مرت العاصفة بسلام ، عاد إلى الفلاحة مهنته الأصيلة . ولقد فعل .

ولم يخفف انتهاء الحرب إلى اليوم شيئاً من التوتر الذى ما تزال سويسرا تعانيه ، إذ يلوح خطر الشيوعية على الحدود مرة أخرى . ويخشى السويسريون أن تغرق ألمانيا وإيطاليا فى الموجة الحمراء المتدفقة من الشرق ، وما يتبع ذلك من احتمال انقلاب سويسرا مرة أخرى إلى جزيرة منعزلة فى وسط بحر يسوده نظام الحكم الجامع المطلق ، فهم يواجهون المستقبل بقلق ، وإن لم تهن لهم عزيمة .

ولا تزال تواجههم مشكلة الصناعة السويسرية ، وهى هل تستطيع التملص من قيود الحرب وتعود إلى الحرية الاقتصادية القائمة على التنافس . وقد سارت سويسرا شوطاً بعيداً فى طريق تملك الدولة للصناعات الكبرى ، إذ أنهم يخشون سيطرة كبار أصحاب الأموال ، والمحتكرين منهم خاصة ، كما يخشون سيطرة الزعماء السياسيين . ولهذا فإن الحكومة هى التى تملك المؤسسات ذات المنفعة العامة . وكذلك لا يزال الجدل ثائراً لا ينتهى حول حقوق الحكومة المركزية ، وما يجب لها من زيادة السلطان .

والضرائب فى سويسرا مرتفعة ، وقد عرفت سويسرا كيف تقف تيار تضخم النقد . والطعام غير متوفر ولكنه يكفيها بفضل إحسان توزيعه . ويعتقد السويسريون أنْ لو عرفت سائر الدول كيف تسوى ما بينها من خلافات ، لاستطاعت سويسرا أن تنعم بالرخاء .

فهذه هى سويسرا مثل حى يبين كيف يمكن تطبيق الديمقراطية حتى تسير سيرتها . وقد قال ودرو ويلسن إن فى سويسرا برهاناً قائماً أمام أعين الألمان والفرنسيين والإيطاليين ، على أنهم إذا احترموا حرية الناس كما يحترم الناس حريتهم ، لاستطاعوا أن يؤلفوا وحدة ثابتة على أساس من الحرية .

علموا أولادكم الحياة

بدا على جون ، عند ما بلغ الثانية من عمره ، أنه يفزع من البرق، فكان يبكى إذا ثارت زوبعة . وحاولت أن أبدد أسباب خوفه بأن أجعله يستقبل البرق وجهاً لوجه . كنت أصيح بملء فمى مع هزيم الرعد « بم ! بم ! » وجعلت أستحثه أيضاً أن يجيب الرعد محاولا أن يبذّه . وقد كان فى هذا متنفَّس لشعور الخوف الذى يملك عليه نفسه . كان ذلك كالسحر ، إذ انقلب يستمتع بالزوبعة استمتاعاً كبيراً .

[مسز ا . م . ه]

كان تومى آفة الناحية . كان لا ينى يقتحم أحواض الزهور فى الحدائق فيعيث فيها فساداً . فأجمعت أمرى على أن أعطيه قطعة من الأرض فيها متسع لحديقة ، فأثار ذلك اهتمامه ، وجعل يقلب بفأسه النواحى الجرداء من الأرض المعشبة ، ويغرس فيها بذور الأعشاب . وغلت حماسته حين نبتت البذور فى حديقته ، والويل كل الويل لمن غفل فوطئها قدماه . فلما أصبح اليوم صاحب أرض ، جعل يحرص على حقوق غيره من الناس فيما يملكون .

[مسز م . ١٠ . ى]

لما بلغ رتشارد الرابعة والنصف من عمره جعل يبدى اهتماماً فائقاً بأعواد الثقاب، فرأيت رغبة منى فى أن أحدّ من اهتمامه دون أن أمنعه استعمال الثقاب ، أن أكل إليه حرق ما يتجمع فى سلة المهملات من أوراق المنزل . فكان يجوس كل صباح خلال البيت يجمع الأوراق من السلال ويحرقها فى الموقد ، وقد تعهد لى بأنه لن يستعمل الثقاب إلا فى إحراق الورق .

[مسز ا . و . ه]

كان بلى وهو صبى يبلغ العاشرة من عمره لا يستطيع أن يكبح جماح نفسه إذا هو رأى شيئاً لغيره ، أن يستولى عليه . وأخيراً رأيت، وأنا معلمته ،أن أكل إليه شراء ما أحتاج إليه من السوق . ولما كنت أعرف أنه مجيد فى الحساب ، فقد أعطيته كيس نقودى وفيه حساباتى ونقودى، وطلبت إليه أن يذهب إلى السوق لشراء ما أريد . فسألنى : « أوَ تريديننى أن أحمل كيس نقودك ؟ » . فأجبته : « إنى على ثقة أن الطالب المجيد فى الحساب يسعه أن يتولى شراء حاجاتى كما أفعل أنا نفسى » . وعند عودته عرض على أن يذكر لى ما بقى معه

من النقود ، فقلت له أنْ لا حاجة بى إلى ذلك، فإنى أعرف أن الباقى مضبوط. وجعلت ألتمس كل يوم حاجة أرسل بلى فى شرائها، فأرسلته مرة إلى البنك ليودع لى مبلغاً من المال ، وقد أشدت بأمانته فى الفصل، وهو اليوم من خير طلبتنا صدقا وأمانة .

(م . م)

أحس زوجى أن صلته بأبنائنا ليست على ما يتمنى من القوة، فقلما يختلى الولد بأبيه فى البيت ، فإن الأخ أو الأخت أو الأم لا يزالون يقاطعون الحديث، والمرء لا يستطيع أن يفضى بدخيلة أمره أو يرسل نفسه على سجيتها إذا هو كان أمام جمهور من الناس. وقد وقعنا على طريقة سديدة، هى أن يصحب كل ولد أباه مرة فى رحلة قصيرة بالسيارة .

(مسز . ر . د . ه)

لما بلغ ولدنا الثالثة من عمره بدأ يفزع من الظلام ، وقد وقعنا فى النهاية على طريقة لعلاج هذا الخوف بتلك اللعبة القديمة وهى المسّة (الاستغماية)، فكان والده يختبىء وراء قطعة من الأثاث فى حجرة عظيمة وجعلت أنا أبحث عنه . ثم يجىء دور الأم فتختبىء ويبحث عنها الوالد . وكانت الخطوة التالية أن نأخذ ولدنا معنا حين نختبىء ، ثم كانت الخطوة الأخيرة هى أن نرقب الولد فى الاختباء وحده . فلما أخذ يكبر كنا نطلب إليه أن يضىء الغرف المظلمة ، ولم نذكر له مرة أنه كان يخاف الظلام . ولما بلغ السادسة من عمره لم يكن يبدو عليه أثر من ذلك الخوف القديم .

(د . س . س)

كان بدى وعمره أربع سنوات يهاب الذهاب إلى الحلاق، وكان يبكى طول الوقت وهو فى كرسى الحلاق . وأخيراً وقفنا على طريقة ، هى أن نصطحب والده معنا ليقص شعره هو أيضاً . فكان الفخر يغمر بدى حين يرى نفسه يجلس على كرسى ويقص شعره كمثل والده سواء بسواء .

(مسز . ف . ا . ن)

كان إدوين ، وهو طفل يبلغ ثمانية عشر شهراً، لا ينفك يجرد حديقة الأسرة من كل زهرة فيها. فكنا أنا ووالده كلما رأيناه على مقربة من الزهور نهرع إليه ونمسك بالزهرة برفق ونشمها، ثم نجعله يشمها هو أيضاً ، وفى كل مرة نشيد برائحة الزهرة وشذاها . وكذلك أبدلناه بعادة قطف الزهور عادة شمها والاستمتاع برائحتها .

(مسز . ج . ك . ج)

ولدانا ، وقد جاوزا العاشرة ، لا يفهمان لماذا لايستطيعان الظفر بكل ما يطلبان . فرأيت أن أتيح لهما فرصة الجلوس معنا أنا ووالدهما حين نجلس إلى المائدة لكتابة الشيكات التى ندفع بها مطالب البيت كل شهر . وهما اليوم يعرفان الدخل والخرج، ولا يطلبان ما لا نطيق أن نشتريه.
(مسز . و . ف . م)

ابنتى الصغيرة أن تؤمر بشىء أو تنهى عنه . ولقد وجدت من الخير أن أقلل من هذه الأوامر إلى أدنى حد ، فكنت أحاول كلما استطعت أن أجعل لها الخيار فى كل طلب أطلبه منها كأنْ أقول: « أى يديك ستغسلين أولا ، أليمنى أم اليسرى » ؟ . أو « هل تلبسين جوربك أو ألبسك أنا إياه ؟ » . (مسز . ج . ب)

من وراء حجاب الحياة

ثَمّ باب أعيانى أن أجد له مفتاحاً ،
وحجاب عجزت أن أرى ما وراءه .
« عمر الخيام »

فضى الدكتور س . ويرمتشل ، طبيب الأعصاب المشهور فى مدينة فلادلفيا ، يوما كاملا يعنى بمرضاه ، فأوى إلى فراشه وقد بلغ منه الجهد . فلم يلبث أن أيقظه دق عنيف على باب داره ، فإذا بالباب فتاة صغيرة ، هفهافة الملابس ، بادية الجزع فقالت: « إن والدتى مريضة فى أشد المرض . فأرجوك أن تعودها » .

كانت ليلة باردة ، ورقائق الثلج تدفعها ريح صرصر عاتية ، وكان الدكتور متشل مجهداً ، فحاول أن يترفق فى صرفها عن دعوته ، ولكنه رأى فى حديث الفتاة شيئا صرفه عما كان يبغى ، فارتدى ملابسه وتبعها .

فلما رأى الأم مصابة إصابة شديدة بذات الرئة دبر لها العناية الطبية الواقية . فلما كان بعد أيام يزورها أثنى ثناء طيبا على ذكاء ابنتها الصغيرة ومثابرتها .

فقالت المرأة وقد أخذتها الدموع : « ولكن ابنتى قد ماتت منذ شهر مضى ! وترى ملابسها وحذاءها فى هذه الخزانة » .

فعجب الدكتور وذهل ومضى إلى الخزانة وفتحها فرأى فيها نفس الملابس التى جاءته الفتاة فيها ، فوضع يده عليها فإذا هى دافئة .

[جورج تشرى]
فى كتابه « طرق معتمة ، مغامرات عالم طبيعى »

قصة الصوت الذى يستمع له أكبر جمهور عرفه التاريخ

مغنٍّ يغنّي لنفسه

لنكولن بارنت . مختصرة من مجلة "لايف"

يدخل بنج كروسبى غرفة الإذاعة حين فى هوليوود ليستعدّ لإذاعة برنامجه، تراه كأنه قد عاد لتوّه من مباراة رياضية ، طوق قميصه مفتوح وحواشيه متهدلة عند خصره ، وقبعته مردودة إلى الخلف ، وبين ماضغيه لبانة يلوكها ، وبين أسنانه غليون قديم محترق الحافات حشوه طباق ثقيل .

فيجلس على كرسىّ ما بجوار المكروفون ويظل يمازح الموسيقيين ومهندسى الصوت، فإذا جاء موعد الغناء جعل اللبانة فى أحد ماضغيه ، وعض على غليونه بنواجذه ، وأرسل غير جاهد نغماً صحيح المنطق رخيم الحواشى لا عيب فيه ، وذلك هو الصوت الذى جعله أحب المغنين إلى الناس وأعلاهم أجراً .

وهذه التؤدة التى لا تفارقه لا فى سرّ ولا فى علن ، مردّها إلى نفس مطمئنة بلغت غاية ما تتمنى من نجاح . فما سمعنا قط أن مغنياً أو ممثلا سامَى بنج أو حاز ما حازه من وسائل التعبير . ففى السنة الماضية كان دخل شركات السنما من أفلامه أعظم مما جلبته أفلام كل نجم سواه . وكان لاسمه الصدارة فى كل استفتاء ، فهوأحب المغنين إلى مستمعى الراديو . وزاد ما بيع من أسطواناته فى السنوات العشر الأخيرة زيادة عظيمة على ما بيع من أسطوانات كل مغن آخر ، وتسمع أغانيه كل يوم مسجلة أو فى إذاعات الموجة القصيرة فى أنحاء العالم .

ولقد ربح كروسبى بفنه أموالا جزيلة ، حتى صار يعدّ من أوفر العاملين رزقا فى العالم كله لا فى هوليوود وحدها . والعقد الذى بينه وبين شركة بارامونت إنما يقتضيه إخراج ثلاثة أفلام فى السنة على الأكثر . وله على كل فلم ١٥٠ر٠٠٠ ريال ، ويتقاضى عن كل نصف ساعة من الإذاعة فى الراديو فى كل أسبوع ٧٥٠٠ ريال . أما شركة أسطوانات دكا فتدفع له ستة مليمات عن كل أسطوانة تباع ، فبلغ نصيبه منها فى العام

الماضى ٢٥٠،٠٠٠ ريال . ومن هذه الأبواب الثلاثة وحدها يبلغ دخله فى السنة أكثر من مليون ريال .

وإذا عرفت الوجوه المختلفة التى يستثمر فيها كروسبى أمواله عجبت، فله عقار كثير فى لوس أنجيليس ، ومرعى للماشية فى ولاية نيفادا مساحته ١٠،٠٠٠ فدان ، وهو شريك فى مرعى آخر فى الأرجنتين ، ويربى جياداً للسباق ويتاجر فيها ، وهو أكبر المساهمين فى نادى سباق دلمار الذى اتخذت أرضه ومبانيه مصنعا للطائرات تنتج قطعا من القلاع الطائرة . وقد ذكرت أرباح كروسبى فقال صديقه بوب هوب مازحا : « إن كروسبى لم يعد يؤدى للدولة ضريبة مقررة ، بل يسألها كم تريد ! » .

وحيث ترى من الناس من يضنى نفسه فى سبيل النجاح ، ترى كروسبى يلهو مستخفا بمواهبه . وقد نهاه صديق له عن الإفراط فى التدخين فإنه قد يؤذى صوته ، فتمتم غير مكترث : « لا شىء يضير هذا الضرب من الغناء الذى أغنيه » . وهو يمقت الادعاء مقتا شديداً ، فهو يقرأ كثيراً ولكن لم يره أحد وفى يده كتاب . وهو يزعم أنه لا يعرف شيئا من الموسيقى الكلاسيكية ، ومع ذلك فكثيراً ما يفاجأ وهو يصفر لحنا من أوبرا أوسيمفونية ، ينكر البتة أنه سمعه .

أما بعده عن الخيلاء والعجب فليس ضربا من التكلف كما يزعم بعض الساخرين فى هوليوود ، بل تراه شديد الدهشة إذا واتاه الحظ بشىء لم يسع إليه . وقد اضطرت أمه يوماً ، وكان يومئذ صبيا ، أن تجره جراً إلى حفلة سباحة خرج منها بأحد عشر وساما . واضطر أخوه « إفريت » أن يرغمه إرغاما على أول عقد كان بينه وبين الإذاعة . أما صديقه جاك كاب مدير شركة أسطوانات دكا ، فلا يزال يضيق عليه الخناق كلما أراده على أن يغنى نوعا جديداً من الأغانى . وقد سأله يوما أن يسجل إحدى الأغانى الكلاسيكية ، فالتفت إليه كروسبى قائلا : « أتظننى أحد المغنين للأوبرا ؟ » فسلك كاب مسلك الدهاء ، فاقترح عليه أن يدع نصيبه من الربح ليصرف فى وجوه البر ، وقد أصابت ٣٦ هيئة خيرية من ذلك مالا كثيراً ، فقد أربى ما بيع من هذه الأسطوانات على مليون أسطوانة .

وقد يلقى أصدقاؤه أحيانا من غلوّه فى قلة الاكتراث ما يغيظهم ، فمنذ سنتين شبت النار فى منزله الضخم فى هوليوود ، فبحثوا عنه بالتلفون ، وبعد لأى ما استطاع مؤلف أغانيه وصديقه جون بيرك أن يعثر عليه فى أحد المطاعم جالسا على عشائه .

وصاح به بيرك : « اسمع يا بنج ، أحب

أن تعلم قبل أن أتكلم أن ديكسى والأولاد بخير » . فقال بنج : « حمداً لله يا جونى ، وكيف حال أهلك أنت ؟ »

فقـال بيرك فى صوت جـلى : «اسمع يا بنج إن منزلك قد أكلته النـار » ورد بنج غير مكترث : « أتعنى ذلك الحطام المتداعى ؟ هل استنقذوا ثوب السهرة ؟ » فصاح بيرك وقد ضاق صدره: «لست أمزح، فقد احترق منزلك اليوم منذالعصر، ويحسن بك أن تأتى من فورك »فتردد وقال متذمراً : « ولـكن هذا عشائى قدطلبته منذ قليل » .

وظن بيرك أن كروسبى قد عاد يلـج فى المزاح ، ولـكنه لم يكن يمزح ، فقد استيقن أن النار قد أكلت منزله ، وأن أهله قد سلموا ، فاطمأن ، ولم ير ما يسوّغ أن يدع عشاءه ليذهب فيشاهد كومة من رماد . فلمافرغ انطلق بسيارته وطاف منقبـاً بين أكوام الرماد حتى عثر على فَرْد حذاءلوّحته النار ولم تلتهمه . ووجد ما كان يبحث عنه لم تمسسه النار — وهو ١٥٠٠ ريال من الورق كانقد خبأهاليصرف منها فى السباق . وكان هذا كل ما أمكن إنقاذه .

وأعظم ذخـيرة يستثمرها كروسبى فى عمله هو صوته الفذ الرخيم الحـلو النغمات المحبب إلى كل قلب ، فهو صـوت مرسل لا تكلف فيه . وقد وصفه صديق له أدق وصف حين قال : « إنه يغنى غنـاءً كالذى يظنه الناس بأنفسهم وهم يغنون فى الحمام . إنه يحب أن يغنى ، فيغنى وهـو يحلق ، ويغنى وهو يسوق سـيارته ، ويغنى فى كل لحظة من ساعات فراغه ، غير محتفل بأصول الغناء التى ينبغى اتباعها فى التنفس والتجويد وحركة العضلات » .

وقد تلقى بنج وهو صبى درسين أو ثلاثة فى الصوت ، ولـكنه هجر الدرس حين بدأ موسم الـكرة . وأحسن علمـه بقراءة صحيفة الألحان (النوتة الموسيقية) أن يميز خطوطهـا صاعدة نازلة . وعلى رغم جهله بها ، لم تخنه حاسته الموسيقية قط . أما سرعة أذنه فى التلقى فهى عنـد زملائه عجب من العجب .

وهو فى كل أصواته يودع أغانيـه نفحة وديعة سامية وعاطفة نافذة عميقـة ، حتى هزت النشوة يوماً صديقاً له فقـال : كل أغنيـة يغنيها كروسبى تحسبها أجود أغنيـة كتبت ولحنت . وكثير من أسـطواناته ، غير أسطوانات الجاز ، يباع منها فى كل سنة مثل ما يباع من الاسطوانات الـكلاسيكية . وقد بلغ مجموع ما بيع من أسطواناته ٦٠مليون أسطوانة منذسجل أول أسطوانة فى سنة ١٩٣١

وربما رأيت كروسبى يختار أغنية جديدة

أو مجهولة فيحيلها بجهده هو وحده بين عشية وضحاها ، إلى إحدى الروائع . وأيما أغنية يذيعها بالراديو يباع منها فى اليوم التالى ٥٠٫٠٠٠ أسطوانة فى جميع أنحاء الولايات المتحدة .

ولم يزل بنج ، منذ وقعت واقعة بيرل هاربور ، يقيم حفلات الترفيه عن الجنود فى المعسكرات والمستشفيات والقواعد الحربية ، لا يكل ولا يفتر ولا يرفض للأسطول أو الجيش طلباً . وقد أذاع عدداً لا يحصى من الإذاعات على الموجة القصيرة والأشرطة المسجلة للقوات المقاتلة فيما وراء البحار ، بل لقد أذاع بالألمانية للألمان . وفى الصيف الماضى غنى للجنود فى صفوف القتال . ولم يأب قط أن يغنى مهما بلغت قلة مستمعيه أو رثاثة المكان الذى يغنى فيه . وقد توغل مرة فى أرض العدو بسيارة « جيب » باحثا عن أحد المراكز الأمامية ليغنى لعشرة رجال من جنود المدافع المضادة للطائرات . وقد زار لندن مرة فأحاطت الجماهير بمطعم كان يتعشى فيه وأبت أن تنصرف حتى يطل من النافذة ويغنى لهم . وقد علقت على ذلك إحدى الصحف الإنجليزية فقالت : « إن ما حدث كان أجدى من مئة خطبة فى توثيق علاقتنا بالولايات المتحدة ، فشكراً لك يا بنج » .

وكروسبى يحذق كل ضروب الرياضة ، فتراه يستيقظ بين السادسة والسابعة ليلعب الجولف قبل أن ينطلق إلى عمله . ولما كان قليل ممن أصدقائه من يشاركه فى حبه للرياضة مبكراً ، فإنه يلعب مع غلمان الملعب . وقد فاز فى كثير من مسابقات الجولف . ولولا كثرة ما يشغله لكان خليقا أن يكون على رأس هواة الجولف فى أمريكا .

ويحرص كروسبى على أن يقضى بعض وقته فى كل يوم مع أولاده الأربعة ، وهم صغار مشاغبون ، ولكنهم يطيعونه صاغرين إذا أحسوا فى صوته نبرةً من غضب ، أما فى المساء فيلعب معهم « البيسبول » ، فإذا جاء الليل جلس يقص عليهم قصصا طريفة يختلقها لهم .

لا يستطيع أحد أن يتكهن بما يخبأه القدر لكروسبى ، فنجمه لا يزال فى صعود والعقد الذى بينه وبين شركة دكا يمتد إلى سنة ١٩٥٠ ، والعقد الذى بينه وبين شركة بارامونت سار إلى ١٩٥٤ ، ولم تزل الأسطوانات التى سجلها منذ عشر سنين أكثر رواجا مما كانت . ومع ذلك فقلما يعنى كروسبى بالتفكير فى مستقبله . ولو أشرقت شمس يوم فرأى الجماهير ملّته وضاقت به ذرعا ، فسيواصل الغناء راضيا مطمئنا — لا للناس ولكن لنفسه .

القوة وتبعاتها

مختصرة من خطبة ألقاها چوزيف جرو

[سفير أمريكا فى اليابان سابقا ، ووكيل وزارة الخارجية سابقا ، يقول لمواطنيه إن الاستخدام الحكيم للقوة هو وحده الذى يصون عظمة أمريكا وسلام العالم]

المركز الجديد الذى تتبوأه الولايات المتحدة هو مركز أقوى دولة على ظهر الأرض . والدور الجديد للولايات المتحدة بين جماعة الأمم هو إسداء الخدمة والقيادة ، وتلك أعظم مهمة فى تاريخ الأمة الأمريكية كله .

ولا ينبغى أن نخشى أو نتقى الكلام عن قوتنا ، ولكن علينا أن نحرص على أن لا نهمس أو نصيح بها ، وأن لا نباهى أو نعتذر . ويجب أن ندرك قوتنا كما تدركها بقية العالم ، وإلا عجزنا عن تقبل التبعات التى تفرضها القوة لا محالة . وليس ما يخشاه أصدقاؤنا فى الخارج ، هو أن ندرك قوتنا بل أن لا نفعل ذلك .

إن مآسى التاريخ هى مآسى جلبتها إساءة استخدام القوة ، وتدهور الأمم يجىء فى كل حال تالياً لإحراز قوة عظيمة من غير أن تكون هناك قيادة عظيمة . ولكن التاريخ يعرض أيضاً أمثلة لبقاء ثقافات ناضجة مكتملة الجوانب بفضل الاستعمال الحكيم للقوة . والشعب البريطانى مثلا أول من يعترف بأخطائه فى فترة اكتساب القوة ، ولكنه تعلم الاعتدال والتسامح فى الاحتفاظ بها .

وقوتنا فى أوضح مظاهرها قوامها الطائرات والسفن والدبابات والمدافع والجنود البارعون فى استخدامها ، بل لنا أيضاً ما هو أهم من وجهة النظر الحربية الحديثة ، أى الاحتمالات العسكرية الهائلة فيما يتعلق بالمصانع والبراعة العلمية والفنية .

وقد رمينا بتهم كثيرة ، ولكنا لم نتهم قط بأننا أمة عسكرية الروح ، ولهذا لا يكون من البهتان فحسب ، بل من تعمد الإيذاء ، أن يزعم زاعم أننا قد نستخدم قوتنا الحربية لتهديد سلام العالم . فإننا سنستخدمها على

نحو ما فعلنا فى حربين عالميتين ، فى تأييد القانون والعدل والحرية الإنسانيـة ، وفى تعزيز السلام على الأرض . وقد عقدنا ميثاقاً مع الأمم الأخرى المحبة للسلام لنكفل استخدام هذه القوة الحربية — قوتنا وقوتها معاً — لهذه الغاية السامية وحدها دون غيرها .

وإذا كانت قوتنا الحربية ثمرة الضرورة المرة ، فإن قوتنا الاقتصادية تتيح لنا فرصة مجيـدة . ولـكن علينـا أن لا نخلط القوة الاقتصادية بالآلات والمعـــدات وخطوط التجميع ، فإن قوامها حيوية الأمة وعبقريتها المنشئة ، وقدرتها على العمل الشاق فى صبر وجلد . وينبغى أن نستخدم قوتنا الاقتصادية فى توطيد سلام العالم .

ويجب أن تستخدم أولا فى رفع مستوى معيشتنا ومستوى العمل . ويجب علينا فضلا عن ذلك أن نوجه إنتاجنا للسلع وتوزيعها فى الخارج ، بحيث نساعد أصدقاءنا الذين خربت بلادهم ، على النهوض على أقدامهم مرة أخرى ، واستخدام أبناء وطنهم بحيث ينتجون سلعاً لنا ويشترون منا بمقادير متزايدة . لأننا إذا ضـيقنا نطاق تفكيرنا وخفنا ما يسمى « خطر المنافسة من الخارج » ، فإنه لن تكون نهضة فى أوربا ، ولا رخاء وطيد فى بلادنا ، ولا نمو للتجارة العالمية ، بل يتـكرر الهبوط والتقلقل السياسى ، وقد يقع صراع عالمى آخر .

وقد أظهرت الحرب بوضـوح مدى قوتنا الاقتصادية ، ولـكن الذى لا ندركه حق إدراكه هو مدى قوتنا الروحية والأدبيـة بين الأمم الأخرى . فإذا أردنا أن نتدارك هذا فإن علينا أن نرى أنفسنا كما يرانا غيرنا . وطبيعى أن تـكون فـكرة كل أجنبى عن أمريكا قائمة على تجربتـه الشخصية ، وعلمه بالـكلمة المطبوعة أو المسموعة ، وبأفلام السنما ، ومعرفته الشخصية بأحد الأمريكيين ، أو بقريب له كان قد هاجر إلى الولايات المتحدة .

ولـكن على الرغم من خطر الوقوع فى خطأ التعميم أقول إن بقية العالم يعتقد أننا كبار جداً ، وأغنيـاء إلى حد لا يتصوره العقل ، وأن الحظ يواتينا مواتاة عجيبة . وفى الخارج فـكرة غريبة مؤداها أننا لم نبلغ هذه الحالة السعيدة بالتعب والجلد والشجاعة بل بالجدّ والتوفيق . وهذا أحد الأسباب التى تجعل أصدقاءنا فى الخارج لا يتأثرون كثيراً بما نصوره من مثلنا العليا .

على أنهم يتأثرون تأثراً عميقاً بمزايا الشخصية والنزاهـة التى تبينوها فى بعض زعمائنا ، وبعض الأعمال السياسية البارعة ، وهى أعمال محسوسة أدت إلى نتائج محسوسة . ويحسن بى أن أعرض مثالين لقوة رجلين وعملين .

الأول هو المكانة التى بلغت حد الإجلال فى نفوس الملايين من الناس العاديين فى كل رقعة من العالم للرئيس فرانكلين روزفلت ، فقد كانوا يعـدون رئيسنا الراحل صديقاً لهم ، ويرون فيه بطلا للإنسانية كلها فى عالم جافٍ قاسٍ . وقد انعكس على الأمريكيين جميعاً بعضُ لآلىء هـذا المجد ، فى عيون هؤلاء الأجانب .

والجنرال أيزنهاور مثال آخر للأمريكى الذى اكتسب محبـة ملايين الأوربيين وإعجابهم . وقد يجرى فى خاطر المرء أن يراهم يحبونه لأنه أحد بُناة النصر ، ولـكنهم أظهروا بصراً عظيما حين فطنوا إلى بساطة الرجل وناحيته الإنسانية كما فطنوا إلى عبقريته الحربية .

وثم عملان سياسيان زادا قوتنا الأدبية ، وهما سياسة اسـتقلال الفلبين التى ساعدت على توطيد جاهنا فى الشرق ، وقانون الإعارة والتأجير الذى أدى إلى هزيمة المحور وبقاء الحرية فى العـالم . وقد كان قانون الإعارة والتأجير مثالا جليلا لاستخدام القوة فى شد أزر الأمم المحبة للسلام . ويمثل هذا الاستخدام للقوة، ويمثل هذه الأعمال السياسية وخدمة الذات خدمة مستنيرة ، بهذا فقط يحق لنا أن نرجو الاحتفاظ بعظمة أمريكا — كأمة وكفكرة .

قد يقال إن الأمم إنما تكون قادرة على مثل هذه الأعمال الحربية المنطوية على الخيال الرحيب فى أوقات الخطر القومى العظيم ، غير أنه يوجد خطر مستمر فى المعاملات بين الأمم . فليس فى وسعنا أن نقصر لحظـة فى واجب اليقظة ، فإن عملا أنانيا واحداً خالياً من التبصر ، أو إنكار أمة ما لتبعتها ورفضها لها ، قد يخلق سلسلة من الحوادث تفضى إلى كارثة . فليس يسعنا ولو مقدار لحظة واحدة أن نستسلم لما يسميه ونستون تشرشل « الخوف المنطوى على الجبن من أن يكون المرء عظيما » فإن القوة لا يمكن أن تترك مهملة دون أن ينتفع بها كالمال المخبوء فى جورب قديم ، بل يجب أن تستخدم على الدوام وبحكمة ، لتأييد أصدقاء السلام فى كل مكان فى العالم ، وبذلك نحصن أنفسنا أيضاً .

إن مسألة استخدام القوة مع عدو مهزوم معقدة غاية التعقيد ، ولـكنها هينـة نسبيا إذا قيست بمسألة مزج قوة الأصدقاء والحلفاء . وقد أوجد الجنرال أيزنهاور وسيلة ناجحة لهـذا الغرض فى أيام الحرب ، وأتقنهـا . وسيكون علينـا أن نتعلم كيف نفعل ذلك ونحن ننشر السلام ، وسيكون الطريق شاقاً فإذا ضعفت قلوبنا عند أية خطوة فى الطريق أو تشككنا ، فأخلق بقوتنا أن تنقلب لعنة بدلا من أن تكون نعمة للإنسانية .

وصيّة من ملجأ

وليم ليون فيلبس

نبذة من "أحاديث عن الكتب والكتاب"

قيل لى إنه وجدت وصية فى جيب سترة لأحد نزلاء ملجأ شيكاغو بعد موته، وكان الرجل فى الأصل محاميا. وقد بلغ من غرابة الوصية أن أرسلت إلى أحد وكلاء الدعاوى. وتقول الرواية إنها وقعت من نفسه وقعا عميقا، حتى إنه قرأ محتوياتها على جمعية المحامين فى شيكاغو، وأنها بعد ذلك صدر قرار بثبوت صحتها. وهذه هى وصية ذلك المسكين نزيل ملجأ شيكاجو:

أنا تشارلز لونزبرى، فى تمام عقلى وصحتى وقوة ذاكرتى، أكتب هذا وأنشر وصيتى الأخيرة لأوزع بها كل ما هو لى فى العالم على الذين يخلفوننى من الناس.

فأما ذلك الجزء مما هو لى، والذى يعرف فى القانون بأملاكى، فلما كان ضئيلا ولا قيمة له، فلست أوصى فى أمره بشىء، فإن حقى فى الحياة ليس رهن مشيئتى للتصرف فيه، إذ كان لى مدى الحياة ليس إلا، وكل ما فى الدنيا فيما عدا ذلك أوصى بتوزيعه الآن على الوجه الآتى:

فقرة — وهبت للآباء والأمهات من أهل الخير، على سبيل الوديعة لبنيهم، كل كلمات الثناء والتشجيع الطيبة، وكل الأسماء المحببة الغريبة، وعبارات الإعزاز. وأكلف هؤلاء الآباء أن يستعملوا ذلك بالعدل ولكن فى سخاء، بحسب ما تستدعيه أعمال بنيهم.

فقرة — وأهب الأطفال جميعاً، ولكن لمدة طفولتهم ليس إلا، كل زهرة فى البستان، وكل نوارة فى الغابات، مقروناً ذلك بالحق فى اللعب بينها بحرية على عادة الأطفال، وأحذرهم فى الوقت نفسه من الشوك والقتاد. وأهب للأطفال شواطىء الغدران والرمال الذهبية تحت مياهها، وأريج الصفصاف الذى تتدلى أغصانه إليها، والسحاب الأبيض الذى يسبح عالياً فوق الأشجار الضخمة، وأترك للأطفال النهار الطويل ليسعدوا فيه ويمرحوا، على ألف نحو، والليل ونهر المجرة ليعجبوا ويفتتنوا بها، ولكن مع مراعاة الحقوق المخولة هنا للعشاق.

فقرة — أهب الصبيان بالاشتراك فيما بينهم كل الحقول النافعة المهملة، والساحات التى يمكن أن تلعب فيها الكرة، وكل المياه الجميلة التى يمكن أن يستحم فيها المرء، والجبال

تكسوها الثلوج حيث يسع الإنسان أن يتجول ، وكل الجداول والبرك حيث يستطيع المرء صيد السمك ، أو يتزحلق فى الشتاء القارص . لهم ذلك جميعاً مدى حداثتهم ، وكل الحقول ايضاً بنوارها وزهرها وفراشاتها ، والغابات وجمالها ، والسنجاب والحمام والطير ، والأصداء ، والأصوات العجيبة ، والأماكن القصية لتزار وينعم فيها المرء بما يقع له من المغامرات. ووهبت لكل من هؤلاء الصبيان المذكورين محله إلى جانب الموقد ليلا ، وما قد يراه من الصور فى الحطب المضطرم ، ليستمتعوا بذلك كله بلا عائق أو هم .

فقرة — ووهبت العشاق عالمهم الخيالى ، ومعه كل ما قد يحتاجون إليه مثل نجوم السماء ، والورود الحمراء على الجدار ، والنوار البرى ، وأنغام الموسيقى العذبة ، وكل ما قد يرغبون فيه غير ذلك ، ليصور كل منهم لصاحبه ثبات حبه وجماله .

فقرة — ووهبت للشبان بالاشتراك فيما بينهم كل ألعاب المباراة الملهمة الصاخبة ، وأوصيت لهم بازدراء الضعف ، والثقة التى لا تتزعزع بقوتهم ، ومنحتهم القدرة على عقد الصداقات الدائمة واكتساب الزملاء ، وأهبهم خاصة كل الأغانى المرحة ليغنوها

فقرة — وأما الذين لم يعودوا أطفالا ، أو شباناً ، أو عشاقاً ، فقد وهبتهم الذكرى ، وأوصيت لهم بدواوين الشعراء ، ليحيوا أيامهم القديمة . وذلك كله لهم كاملا بلا تقتير أو انتقاص .

فقرة — وللمحبوبين الذين توج رؤوسهم المشيب أوصى بسعادة الشيخوخة ، وبحب أبنائهم لهم وشكرانهم لجميلهم عليهم إلى أن يوافيهم الأجل ويغمض عيونهم .

آية من الشجاعة

كان ضابط برتبة يوزباشى أحد الذين دافعوا عن مدينة باستونى فى أثناء هجوم رونشتد عليها فى الشتاء الماضى . فأصيب فى أثناء الدفاع بشظية قذيفة فى ساقه ، وفى أثناء عناية الطبيب به انفجرت قريباً منه قذيفة فجرحت ساقه الأخرى جرحاً بليغاً . فالتفت إلى الطبيب وقال : « عجّل يا دكتور ، فإن الألمان قد أخذوا يسبقونك » .

[سترداى إيفننج بوست]

نجدة لملايين الجياع فى أوربا

بول ده كروف

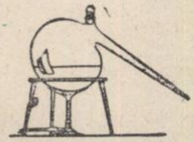

فى وسع الشعب الأمريكى أن يعين على تغذية الجياع فى أوربا ، دون أن يجحف بغذائه . ويستطيع أن يعتمد على الكشوف الجديدة فى علم التغذية ، فيسدّ ما فى طعامه من نقص ، وينقذ فى الوقت نفسه حياة الذين بلغ منهم مس الحاجة أقصاه .

وقد قال هربرت هوفر ، الرئيس الأمريكى الأسبق : إن المجاعة فى أوربا كادت تبلغ الذروة . وليس فى وسع الولايات المتحدة أن تمدها بأكثر من صبابة من قليل ما ادخرته من المواد الزلالية التى لا غنى عنها — من اللحم والبيض واللبن . ولئن كانت قادرة على أن تدبر لها مقادير وافية من مخزون القمح الكبير ، فإن القمح تعوزه المواد الزلالية التى تبنى الأجسام . ولكن العلماء اهتدوا الآن إلى طريقة فيها إنقاذ للجياع . فقد حوّلوا فول الصويا إلى طعام وافر الزلال سائغ الطعم . فوفرة فول الصويا والقمح خليقة أن تحول الجراية الأوربية التى لا تغنى من جوع إلى غذاء واف ، يكون لملايين من الناس حداً بين الموت والحياة .

إن معدل الغذاء اليومى ، فى كثير من بلاد أوربا التى حررت ، يحتوى على أقل من ١٨٠٠ سعر من الحرارة ، فهو لا يكفى لحفظ قوة المرء زمناً طويلا ، ولا يفى بتاتاً بما يحتاجون إليه من طاقة تعينهم على إنتاج ما هم فى أشد الحاجة إليه من الطعام .

على أن ما يهدد القارة التى اجتاحها هذا الدمار ، هو شىء أخطر من ضعف الناس وعجزهم عن الإنتاج . فقد هبط مقدار الزلال فى طعام سكان أوربا خلال السنوات الأربع الأخيرة ، هبوطاً بلغ حد الخطر — ونقص المواد الزلالية هذا النقص البالغ يمهد لتفشى الأوبئة . فهذه إصابات السل قد أخذت تزداد ازدياداً مروعاً . فالتعجيل بإرسال الزلال الذى يكافح الموت إلى أوربا ، ليس أمراً يقتضيه حسن الجوار وحسب ،

بل إن المصلحة توجب ذلك لكى تقى العالم مخاطر الأمراض التى أصبحت أوربا منبتاً لها.

ولولا ما تم من تقدم علمى فى شئون الغذاء ، لكان الأمل فى حل هذه المشكلة ضعيفاً . فوزير الطعام البريطانى « لولين » يقول إن العالم يعوزه من الطعام : ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ طن من اللحم و ١٫٤٠٠٫٠٠٠ طن من السكر ، ومليون طن من الشحم والزيت ، وأن هذا النقص سيستمر ثلاث سنوات على الأقل . وقد أعرب عن أساه لما يعلم من أن أى تدبير لشئون مواد الطعام فى سائر بلاد العالم ، لن يخفف إلا شيئاً يسيراً من مجاعة أوربا المتوقعة . ولكن هذا التشاؤم لم يحسب حساباً للانقلاب الحديث الذى تم فى علم التغذية .

لقد اهتدى مكافحو الجوع إلى حقيقة تبعث على الرجاء ، فهم اليوم لا يزنون قيمة الطعام بميزان اللحم واللبن والزبد والبيض والخضر ، بل يزنونه بميزان ما يحتوى عليه من عناصر الغذاء — أسعار الحرارة ، ومقادير الزلال والمعادن والفيتامينات . أما أسعار الحرارة فتستطيع أن تظفر بها فى أى طعام . وأما المواد الزلالية ، فليس حتما أن تصيبها من اللحم أو البيض أو اللبن ، بل تستطيع أن تصيبها أيضاً فى خليط من البقول والحبوب . والفيتامينات المركبة بالكيمياء تستطيع أن تنقذ الحياة كالفيتامينات التى تجدها فى اللحم والخضر واللبن .

فالمتطيرون لم يدخلوا فى حسابهم حب فول الصويا — ذلك المحصول الكبير الجديد من محاصيل الطعام الكبيرة فى أمريكا ، وقد زادت غلته من ١٫٨٥٠٫٠٠٠ إردب فى سنة ١٩٣٠ إلى ٣٧٫٠٠٠٫٠٠٠ إردب فى هذه السنة ، وهو يستعمل الآن سماداً للحقول ، وعلفا للمواشى ، وتستخرج منه مواد كيميائية كثيرة تستعمل فى الصناعة .

وليس ثمة شك فى قدرة فول الصويا على تغذية الناس والحيوان على السواء . ففيه من المعادن عشرة أضعاف ما فى دقيق القمح أو خمسة عشر ضعفاً ، وفيه من فيتامينات (ب) الرئيسية خمسة أضعاف إلى عشرة ، وفيه من الزلال أربعة أضعاف .

وجودة ما فيه من المواد الزلالية ، تكاد تكون كجودتها فى أحسن لحوم البقر . ولم يزل فول الصويا طعام الفقير فى الصين منذ ٥٠٠٠ سنة ، ويقوم له مقام اللحم . ولكن هذا النبات الكثير المنافع فيه عيب واحد : هو أن الغربيين لم يستسيغوه فعافوه .

ولكن من سعادة جَدّ الملايين المهددين بالجوع فى أوربا ، أن رجال الكيمياء استطاعوا أن يزيلوا ما فى مواده الزلالية من مرارة ، فإذا وضع مع دقيق الفول شىء

من طعام سواه صار مذاقه كمذاقه . وقد أعان الفول على منع مجاعة اليونان أن تستفحل فى الربيع الماضى ، ولكن خطر المجاعة يهدد اليوم أوربا كلها . أفيكون فى الوسع أن يبلغ الفول من طيب المذاق ما يجعله أهم عنصر فى طعام أوربا إذا أضيف القمح إليه .

وقد جاءنا الجواب الحاسم عن هذا السؤال من كاليفورنيا . ففى سنة ١٩٤٣ عين كليفورد كلينتون مستشاراً للطعام فى وزارة الحربية وهيئة الأمم المتحدة للإغاثة والتعمير . وكان قبل ذلك يملك مطعمين فى مدينة لوس أنجيليس ويديرهما . فتبين له خطر المجاعة فى أوربا ، وطلب إلى علماء معهد كاليفورنيا التكنولوجى ، أن يحتالوا على كفاحها ، ووفر لهم من المال ما يستعينون به فى تجاربهم .

وفى معهد كاليفورنيا هذا ، قلب أحد العلماء — هنرى بورسوك — أساليب البحث فى الطعام والغذاء رأساً على عقب . فقد بدأ بحثه فى المطبخ لا فى أنابيب الاختبار . واستعان بطاهية فرنسية بارعة ، واتخذ مذاق الطعام معياراً لتجاربه فى مطبخها بالمعهد ، فأسفر بحثه وتجريبه فى أواخر سنة ١٩٤٤ عن « طعام متعدد المنافع » .

ويتألف هذا الطعام اللذيذ ، من ٦٨ فى المئة من جريش الفول ، الذى يقل دهنه ويكثر زلاله ، وأضاف إليه ما جفف من البطاطس والكرنب والطماطم والبصل والكراث والبقدونس وبعض التوابل . ثم عززه بالكلسيوم وفيتامين (ا) و (د) ومعظم فيتامينات (ب) ، فإذا هو طعام مَرِىء يشبع ، وهو حسن المنظر طيب المذاق لذيذ المضغ . وقد ذقته وأشهد أنه طعام جيد .

إن إعداد هذا الطعام المتعدد المنافع أمر يسير . وكل ما تحتاج إليه حتى تعده هو إناء وماء ونار تنضجه فى ثلاثين دقيقة . وحسب المرء أوقيتان وربع أوقية من مجفف هذا الطعام ، لكى يظفر بأهم ما يحتاج إليه من طعام سائغ مغذّ . وفى وسعه أن يجعله طبيخاً أو عصيدة أو حساء . فللأول خمس أواق من الماء ، وللثانى ثمانى أواق ، وللثالث أربع عشر أوقية . فإذا أضفت إليه أوقية واحدة من أى شحم ، صار فيه من أسعار الحرارة ثلث ما يحتاج إليه الرجل فى اليوم ، فإذا تعذر الشحم فكسرتان من الخبز .

فإذا صنعتَ عصيدة وأضفت إليها قليلا من السمك أو اللحم أو الكرنب ، كان مذاقها كمذاق طبق من السمك ، أو من اللحم ، أو من الخضار . ولن يعدم الناس قليلا من سمك أو لحم حتى فى أشد بلاد أوربا دماراً ، ينوّعون به مذاق هذا الطعام ، ولو كان لحم أرنب أو طير برى أو سواهما .

وهذا الطعام الجديد زهيد الثمن لا يعنت الأمم الأوربية التي حررت ، فيظفر جياع أوربا في وجبة منه لا يزيد ثمنها على ١٢ مليما، بقدر من الغذاء كالذى يكون في وجبة فيها ربع رطل من لحم البقر ، وربع رطل من البسلاء، وربع رطل من البطاطس، وحوالى نصف لتر من اللبن . ولما كان هذا الطعام مجففاً فهو صغير الحجم سهل نقله .

وما من شك في أنك لن تظفر بالدليل على جودة هذا الطعام الذى ينقذ الحياة حتى تأكله. وقد أسفرت تجربته العملية عن نجاح باهر . فهو يقدم الآن إلى الصغار في مئات من مدارس كاليفورنيا ، فيقبل عليه التلاميذ ومدرسوهم أيما إقبال . ويقدم ألوانا منوعة كل يوم لاربعمئة من الذين يأكلون في مطعمى كلينتون بمدينة لوس أنجيليس . وقد امتحنه مارديكيان ، رئيس الطهاة المشهور في مطعم عمر الخيام في سان فرنسسكو ، امتحاناً دقيقاً ليعلم مبلغ طيب مذاقه، ثم قدم تحت إشرافه لأعضاء مؤتمر سان فرنسسكو . وليس فيه عنصر ينافى عادات الطعام التي ألفتها أمة من الأمم ،وقد أثنى على حسن طعمه وفود أتت سان فرنسسكو من جميع نواحى الأرض .

وقد أبى علماء معهد كاليفورنيا التكنولوجى ، والرجال الذين تولوا تجفيفه أن يسجلوا أساليب تحضيره بغية احتكارها، فأساليب تركيبه وإعداده تقدم لمن يطلبها من المعهد في مدينة باسادينا . ولما كان قد أعد لحالة طارئة ، فإنه لا ينافس الأطعمة المألوفة في باب التجارة . وهو وإن كان متعدد المنافع إلا أنه لا يحل محل عشاء من اللحم إن أتيح ، فإذا كان قليلا سدّ الحاجة.

وإذن ففول الصويا السائغ الطعم قريب المنال ، يعين جميع الهيئات التي تبذل جهداً عظيما لكى توفر لأوربا طعاما وافراً يسهل نقله . وفي مصانع إعداد الطعام وتجفيفه في أمريكا من المواد ما يكفى لتجهيز ١٠,٠٠٠,٠٠٠ رطل من هذا الطعام كل شهر. وهذا المقدار يكفى ٧٠,٠٠٠,٠٠٠ وجبة . أما فول الصويا اللازم لإعداده ، فلا يزيد على واحد في المئة من محصوله السنوى في أمريكا . ويقول خبراء الطعام إن في الوسع تخصيص عشرة أضعاف هذا المقدار لإغاثة الجياع من الناس ، دون أن ينقص غذاء الماشية .

ويرى «لى مارشال» ، مستشار الطعام في وزارة الحربية ، أنه خير حل لمشكلة إغاثة الجياع . وإنقاذ هذه النفوس المعرضة للخطر ، سيعلمنا كيف نستفيد من فول الصويا ، بعد أن استطاع العلماء أن يجعلوه طعاماً سائغاً طيب المذاق .

أحدث نجاح البريطانيين العجيب فى تبديد الضباب من جو المطارات ، انقلاباً فى الحرب الجوية والنقل الجوى أيضاً .

"فيدو" يقهر الضباب

ألن ا. ميكى • مختصرة من صحيفة "تورنتوستار" الأسبوعية

فى شهر ديسمبر سنة ١٩٤٤ ، اقتحمت جيوش الفيلد مارشال رونشتد خطوط الحلفاء الضعيفة ، وشقت طريقها عائدة إلى البلجيك ، فتحرج موقف الحلفاء . فإذا لم تهب القاذفات الحليفة الضخمة إلى الاشتراك فى المعركة ، فقد يظفر الهجوم الألمانى بشطر القوات الحليفة .

أما فى إنجلترا ، حيث كانت القاذفات محتشدة ، فقد كانت أطباق الضباب كثيفة فوق المطارات — فرونشتد قد تخير بدهائه أسوأ فترة فى شتاء أوربا ليكر كرته العظيمة .

غير أن الألمان لم يكونوا يعلمون شيئاً عن « فيدو » ، تلك العصا السحرية البارعة التى ترد جحافل الضباب على أعقابها . وقد كان « فيدو » من أساليب الحرب الجديدة التى بقيت سراً مكتوماً ، وقد اعتمد عليه الطيارون فى التحليق من مطارات القاذفات والنزول فيها ، منذ شهر نوفمبر سنة ١٩٤٣ . ولكن هذه أول مرة يدعى فيها « فيدو » إلى شق طريق فى الضباب المتلبد ، تمر فيه أساطيل ضخمة من القاذفات .

وفى ذلك الأسبوع الخطير شقت فجوات عظيمة فى أطباق كثيفة بيض من الضباب . ومن خلالها انسابت هادرة مئات من القاذفات البريطانية والأمريكية ، لتدك أفنية السكك الحديدية والجسور وأكوام الذخيرة وراء خطوط رونشتد . فإذا تمت لها المعجزة وعادت فى جو كثيف الضباب ، رأى رجالها أمامهم أودية بينة المسالك ، فيهبطون فيها سالمين . وفى آخر الأسبوع ، حين بلغ الضباب فى إنجلترا أشد كثافته ، حلقت فى النهار ٣٠٠ قاذفة ضخمة بريطانية ومضت لتضرب بقنابلها مدينة « سان فيت » قبيل قيام القوات الحليفة البرية بكراتها على الألمان . فلما حطم الضرب الجوى هجوم رونشتد انقلب تقهقراً ، وأصبحت هزيمة ألمانيا أمراً محققاً .

وطريقة « فيدو » غاية فى البساطة ، رغم ما اقتضاه إتقانها من زمن وجهد وبراعة . فهى إطار مربع مستطيل من الأنابيب يحيط بالمدرج الرئيسى فى المطار ومداخله . (والمسافة بين الأنبوب والأنبوب

خمسون ياردة) . وينساب فى هذه الأنابيب بنزين مضغوط ثم يشعل . فإذا اشتعل خرجت سحب من الدخان القاتم ، فإذا ما تبخر البنزين بفعل حرارته ، صار له لهب قوى أبيض مصفرّ لا دخان له . وهذه الحرارة الشديدة تبخر قطرات الرطوبة — وهى أصل الضباب — فإذا الضباب على المدرج قد أخذ يتقشع . والاسم «فيدو» منحوت من الحروف الأولى فى كلمات الاسم الرسمى الإنجليزى الذى أطلق على البحث فى أمر الضباب وتبديده (١) .

و « فيدو » هذا لم ينقذ الحلفاء فى البلجيك وحسب ، بل أحدث انقلاباً فى الحرب الجوية ، بما يسره لقاذفات الحلفاء من الانطلاق متى تشاء ، بعد أن كان الضباب يقيدها إلى الأرض أياماً متوالية فى عذاب مبرّح . فلما زودت مطاراتها فى بريطانيا بأجهزة «فيدو» ، علم رجالها أن فى وسعهم أن يعودوا آمنين فى أسوأ الأجواء . ففى يوم من أشد أيام الشتاء تلبداً بالضباب ، ألفت القاذفات الأمريكية الآيبة ، أطباق الضباب تلف جميع المطارات فى شرق إنجلترا ، فأديرت أجهزة « فيدو » فى مطار أعد للطوارىء فى مقاطعة « سافوك » ، فلم تنقض ثلاث ساعات حتى كانت ١٠٦ طائرات قد سلكت الفجوة التى شقّها «فيدو» ، ووصلت سالمة إلى الأرض . وهذه المأثرة وحدها من مآثر « فيدو » ، أنقذت من خطر البوار ١٠٦٠ طياراً ، وطائرات مجموع ثمنها خمسون مليون ريال أو تزيد .

ترجع قصة «فيدو» إلى الأشهر الأولى فى سنة ١٩٤٢ ، حين زاد ما خسره سلاح الطيران البريطانى من القاذفات زيادة مطردة ، فقد كانت تتهشم حين تعود من غاراتها على أوربا إلى مطارات جللها الضباب فى غيبتها .

كان مما يملأ نفس تشرشل أسىً أن يرى ألوفاً من صناديد الطيارين يشقون طريقهم إلى ألمانيا ، متحدّين القنابل المضادة والطائرات المقاتلة ، ثم يعودون ليلقوا حتفهم فى أرض وطنهم . وكان يعلم أن التجارب التى جربت قبل الحرب لتبديد الضباب لم تسفر عن نتيجة حاسمة . أما الآن ، فإنك تراه يرسل المذكرات تترى إلى علماء بريطانيا ورجال البحث العلمى ، يستحثهم على أن يكشفوا طريقة لتبديد الضباب عن المطارات . فقال الخبراء إن ذلك مستحيل .

وازداد عدد المصابين من رجال الطائرات ازدياداً مطرداً . وفى كثير من الليالى كان عدد الطائرات التى تتحطم بعد عودتها إلى بريطانيا من جراء الضباب ، يفوق ما تسقطه نيران الألمان . فأبى تشرشل أن يسلم باستحالته

---

(١) Fog Investigation Dispersal Operation.

ما يريد ، وفى سبتمبر سنة ١٩٤٢ أرسل مذكرة إلى الوزير الشاب الجرىء « جفرى لويد » ، وقد كان رئيساً للمكتب السرى المعروف باسم « مكتب حرب البترول » ، الذى أنشأ دبابات تقذف اللهب ، وأعد أساليب للدفاع عن بريطانيا إذا ما غزيت ، قوامها أجهزة تقذف بالبترول المشتعل .

فتولى لويد بنفسه الإشراف على هذا البحث ، واستدعى ٤٠٠ عالم باحث من أقسام الحكومة والمصانع الخاصة ، فنقبوا فى جميع المنشورات الفنية .وكان المهندسون وعلماء الظواهر الجوية ، وعلماء الطبيعة ، والطيارون المحنكون يجتمعون كل يوم ليتبادلوا الرأى . وقد بحثوا فى هذه الاجتماعات أساليب شتى لتبديد الضباب ، منها أمواج الصوت العالية ، وتيارات الكهرباء ، والشرر الكهربائى ، والمواد الكيميائية التى تمتص الرطوبة ، وتجفيف الهواء بالتبريد ، والأجهزة التى تنصب فى العراء لتضبط حرارة الهواء ورطوبته .

وقد اتفق الخبراء منذ أول الأمر على أن استعمال الحرارة هو أقرب الوسائل إلى النجاح . فقد كانوا يعلمون أن الضباب والهواء الساخن ضدان يتنافيان ، وأن رطوبة الهواء تتكثف قطرات إذا ما هبطت حرارة الهواء عن درجة النـدى ، وهى الدرجة التى إذا بلغها الهواء عجز عن الاحتفاظ برطوبته . فإذا عكس الأمر ، ورفعت حرارة الهواء إلى ما فوق درجة الندى ، فإن الرطوبة التى تكثفت تعود فتتبخر ، وكذلك يتبدد الضباب . ولكن المشقة كل المشقة فى أن تولد ما يكفى من الحرارة لتبديد الضباب عن منطقة مدرج كبير . وكانت قيادة القاذفات قد عينت مساحة تلك المنطقة ، فإذا طولها ٣٠٠٠ قدم وعرضها ١٥٠ قدماً ، وارتفاعها ١٠٠ قدم.

وكان الدكتور رانكين — أحد رجال شركة الزيت الإنجليزية الإيرانية وأحد مستشارى الوزير لويد — مكبًّا على تصفح نشرة علمية ألمانية صدرت قبل الحرب ، فعثر فيها على بيان عن استعمال صف من المشاعل لتوزيع الحرارة على ساحة واسعة ، وما أصابته هذه الطريقة من النجاح . فحث لويد على إجراء التجارب ، وطلب إلى زراع البساتين فى مقاطعة كنت أن يجودوا بالمواقد التى يستعملونها لتدفئة الأشجار ، وبنت إحدى شركات السكة الحديدية موقداً أعظم لحرق فحم الكوك ، وأنشأت شركة الصناعات الكيميائية الإمبراطورية مجموعة من المضخات الكابسة لدفع الحرارة فوق المدارج ، واستعانت على إنشائها بمحركات الطائرات .

وعمد لويد وخبراؤه إلى خزان ماء

مهجور خارج لندن ، فأشعلوا فيه النيران ليل نهار ، وحفر العمال فجوة طولها ألف ذراع لحرق الكوك ، وأخرى مثلها لحرق البنزين السائل . فلم تكد تنقضى تسعة وثلاثون يوماً منذ استحث تشرشل هذا الجمع من الخبراء على العمل ، حتى أدركوا نجاحهم الأول فى يوم ٤ نوفمبر ، فبددوا ضباباً كثيفاً ، فى مودى فى مقاطعة همشير ، عن منطقة مساحتها ٢٠٠ ياردة مربعة وارتفاعها ٨٠ قدماً ، وكان اعتمادهم فى تبديده على مشاعل البنزين ، وفى اليوم نفسه بدد ضباب أكثف فى منطقة ستاينز بصف من المجامر العظيمة ، حرق فيها فحم الكوك .

وكان الكوك أقل دخاناً من البنزين ، إلا أن اشتعاله كان يستغرق زمناً أطول ، وصيانة النار تقتضى عدداً أوفر من الرجال . وأما البنزين فيولد دخاناً قاتماً كثيفاً يكاد يكون أفظع من الضباب ، ولكن إشعاله أيسر وأسرع ، ودفعه فى المشاعل من شبكة أنابيب البنزين المنتشرة فى بريطانيا لا يكلف عناء ، فقرر خبراء « فيدو » أن يحصروا جهدهم فى جهاز البنزين .

غير أن معركة الضباب صارت سباقاً مع الزمن . فسلاح الطيران الأمريكى الثامن يزداد كل يوم عدداً وقوة ، وقيادة القاذفات البريطانية ، غدت قادرة على أن تشن غارة بألف قاذفة كل ليلة تقريباً — إذا كان الضباب لا يكتنف المطارات .

فتم الرأى على امتحان « فيدو » امتحاناً واسع النطاق فى أحد المطارات التابعة لسلاح الطيران البريطانى . واختير لذلك مطار جرايفلى فى أواسط إنجلترا ، لما اشتهر به من كثافة الضباب الذى يطبق عليه . وأنشئ مربع مستطيل من الأنابيب حول مداخله ، وكان طول المربع ٥٠٠ ذراع ، وأنشئ آخر حول مدرجه . فلما تم الامتحان الأول فى يناير ١٩٤٣ ، بلغ الوهج والدخان مبلغاً عظيما ، حمل جميع فرق الإطفاء على أن تهرع إليه من دائرة نصف قطرها ٥٠ ميلا .

ومن معاندة الأقدار أنْ ظل المطار ثلاثة أشهراً خلواً من الضباب ، فلما جاءت ليلة ١٧ يوليو نزل ضباب كثيف ، فتلقاه لويد وخبراؤه بالحفاوة . وتلمسوا طريقهم إلى مضخات فيدو وأداروها ولبثوا ينتظرون . ومضت دقائق وهم فى لهفة مبرحة ، ولم يحدث شىء . ثم أخذ الضباب ينقشع عن المدرج ، فلم تمض سبع دقائق حتى أسفر وجه السماء .

وقفز قائد الجو بنيت إلى قاذفة وحلّق بها فى الفجوة المكشوفة ، ثم وقفت أجهزة فيدو ، فعاد الضباب الكثيف رويداً رويداً يلف المدرج حتى غاب عن الأنظار . وقد خشى القوم أن يكون ما تمّ قد تمّ مصادفة .

فأداروا الأجهزة ثانية فانقشع الضباب ، فهبط بنيت آمناً . وقد أعاد مافعل ثلاثاً ، على حين كان الخبراء يديرون الأجهزة أو يقفونها كما يشاؤون ، حتى تطمئن قلوبهم إلى أن الضباب قد قهر لأول مرة فى التاريخ .

فأمر تشرشل بإعداد ست مجموعات كبيرة من معدات « فيدو » تأهباً لضباب الخريف . وفى ليلة ١٩ نوفمبر سنة ١٩٤٣ أنقذ «فيدو» أول الطيارين الذين أنقذهم ، وذلك حين نزلت إلى مطار جرايفلى أربع قاذفات من طراز هاليفاكس برغم الضباب الكثيف الذى كان مطبقاً عليه . ولكن لم تكد تنقضى عشر دقائق على إضاءة مشاعل فيدو ، حتى بلغت الزيادة فى مدى الرؤية حول المدرج ، مابين ميلين إلى أربعة أميال ، وأخذت النجوم تلوح فى جو السماء .

وفى مطار آخر أضيئت مشاعل فيدو تأهبا لخروج بعض الطائرات للبحث عن غواصة ، وإذا طائرة أخرى معطلة الراديو تحاول أن تجد مكاناً تهبط فيه . فلما رأى قائدها الفجوة المكشوفة التى تحته نزل إلى المطار ، ولكن رجال المطار لم يشعروا به ، فأطفأوا مشاعل فيدو ، فلم يكد هذا الطيار يدرج بطائرته على الأرض ويقف ، حتى احتواه الضباب الكثيف ، فظل ساعتين يتلمس طريقه إلى برج المراقبة .

ويوم انتهت الحرب فى أوربا كان البريطانيون قدزودوا ١٥ مطاراً فى إنجلترا ومطاراً واحداً على بر أوربا بمعدات فيدو .

وفيدو بلا ريب كثير النفقات ، فهو يقتضى حرق ٨٠ ألف جالون من البنزين فى الساعة الواحدة ، لكشف الضباب عن مساحة تبلغ ٢٥٠٠ ياردة مربعة .

وقد استنفد «فيدو» فى جميع المطارات ٣٠ مليون جالون من البنزين منذ بدء التجربة إلى خاتمة الحرب فى أوربا ، وقد بلغ مجموع ثمنها ثلاثة ملايين من الجنيهات . ولكن النفقة أخذت تقل رويداً رويداً تبعاً لإتقان أساليب الاقتصاد .

أما الآن فإن فيدو سيجدى جدوى عظيمة على الطيران فى زمن السلم ، فالضباب الكثيف المطبق لن يكون بعد اليوم مانعاً يعوق الطائرات فى قيامها ونزولها . وقد شرع البريطانيون فى إقامة أحدث ماصنعوه من أجهزه فيدو فى مطار ستينز المدنى الذى يشتد ضبابه ستين يوما فى السنة . وللجهاز الجديد مفتاح كهربائى يشعل صفاً كاملا من المواقد دفعة واحدة . لقد كان « فيدو » وليد الضرورة الملحة فى زمن الحرب ، ولكن الذين ابتكروه قد ازدادوا رضى على رضى ، إذ كانوا يعلمون أنه كجهاز رادار ، سينفع الناس على الزمن نفعاً دائماً .

انتفع بتجاربي

أساس السعادة الزوجية

دونالد كالروس بيتى

قبل زواجى بيوم دخلت على رئيسى لأفضى إليه بالخبر ، وهو عالم مشهور ومدير كثير الأعمال ، ولهذا لم أكن أتوقع إلا التهنئة بعبارة وجيزة .

غير أنه فعل شيئاً لا يفعله إلا رجل كبير ، ولو كان الذى فى مكانه رجلا محاذراً لنقصته الشجاعة ، ولو كان زوجاً غير موفق لما درى من هذا شيئاً .

قال : « إن كل امرأة تحب أن يقال لها إنك تحبها ، لا فى شهر العسل فقط ، بل على مدار السنين ، وكل يوم . وهى لا تمل تكرار ذلك . وما دمت تخبرها وتريها بوسائل شتى أنك تحبها ، فإنه لا شىء غير ذلك يعنيها — لا الدَّين ، ولا المرض ، ولا التعب ، ولا آلام الوضع ، ولا ثياب العام الماضى التى أصلحت لتلبس مرة أخرى ، ولا ما يحدثه الزمن من الذبول . إن الذنب الذى توصد دونه أبواب المغفرة (ورفع صوته حتى علا صوت المراوح الكهربائية) هو أن يبلغ من ذهولك أن تحوجها إلى سؤالك : « هل تحبها ؟ » ثم تجيبها كالعادة بلا تفكير : « طبعاً أحبك » فإنه ليس هناك فى نظرها شىء « بالطبع » فى هذا الموضوع . وإذا ألفيت نفسك يوماً تقول لها : « إنك تعلمين أنى أحبك » فاعلم أنك قد زللت . وأنك تفقد زوجتك شيئاً فشيئاً » .

وهل يجب أن أعترف أنى رددت فى بعض الأحيان عن طرف لسانى الكلمات الوبيلة التى قال لى إنه لا يجوز لى أن أنطق بها ؟ وأنه لولا نصيحته لقلتها — كما سمعتها تقال ؟ إن عشرين سنة كاملة من الحياة الزوجية لم تكفنى حتى أهتدى إلى الطرائق المختلفة التى أستطيع أن أعبر بها عن أصدق كلمات فى اللغة : « إنى أحبك » .

ولعل سبب ذلك أن لزوجتى سرها . وكل ما تفضى به هو أن النساء لا ينبغى أن يعجزن عن التعبير بوسائل شتى عن معنى : « إيه ما أبدع ذلك ! » لبعولتهن الذين يصدقون كل ما يسمعون .

لقد كان حكيما ذلك الرجل الذى قال إن المهم ليس فقط أن تختار إلفك الموافق ، بل أن تكون أنت إلفاً موافقاً أيضاً . إن معظم الأخطار لا تنشأ فى خلال العام الأول من النعيم — على خلاف ما توهم قصص الحب الشائعة —

والزواج لا يتحطم ، كالخزف إذ يقع ، من جراء أول شجار كان الزوجان الحديثان يرجوان أن لا يخطر لهما ببال . وإنما الزواج شيء له جذور تعرّق في ثرى الحياة ، وتنمو وتزدهر ولابد من تعهدها بإخلاص .

وإذا نحن عدمنا الجهد المتبادل فإننا خلقاء أن نجد يوماً ما ، أن زواجنا الذى غرسناه فى ظل الأمل ، يذوى ونحن لا نشعر ، فندرك شيئاً فشيئاً أن الغلائل قد فقدت نضرتها منذ زمن ، وأن العطر قد ذهب . ولكنا إذا سقيناها كل يوم تلك الألطاف اليسيرة التى نرحب بها جميعاً ، وتوخينا ما فيه الرضوان للعشير ، وراقبنا أنفسنا هنا ، ونسينا ذواتنا هناك ، فإن ذلك خليق أن يخرج لنا نواراً جديداً رفّافاً .

من طلب الحسناء لم يغلها المهر

وجد الناجون من كوريجيدور ، بعد أن أنقذوا من معسكر اعتقال يابانى ، عند وقوفهم فى مدينة برزبين بأستراليا أنه قد تجمع لهم أكثر من مرتب سنتين . وقرر خمسة وثلاثون منهم بالاشتراك مع نفر من الجنود الأمريكيين والأستراليين أن ينفقوا بعض هذه الثروة المفاجئة على احتفال عظيم . بيد أن أصحاب الفنادق — وكانوا قد لاقوا الأمرين من مثل هذه الاحتفالات — هزوا رؤوسهم أسفاً وقالوا أنْ ليس لديهم متسع لهذا الجمع الغفير .

وحدث فى ليلة ، قبل إبحارهم بأيام ، أن التقوا بشخص لا يملك فندقاً فحسب بل يريد بيعه . وكان ثمنه ٣٦٠٠ ريال إذا قسمت على أكثر من أربعين جندياً كان ما يدفعه الواحد منهم أقل من ٩٠ ريالا . فاشتروا الفندق ، واستمر الاحتفال ثلاث ليال وطيلة نهارين . وفى اليوم الثالث خرج الجنود من الفندق مكدودين مسرورين ، ولكنهم فى حيرة : ماذا يفعلون بالفندق ؟

وفى تلك اللحظة رأوا غادة جميلة شقراء مقبلة نحوهم ، فنظروا إليها ثم نظر بعضهم إلى بعض وأومأوا برؤوسهم فى جد . ولما بلغت أولهم طبع على وجنتها قبلة مدوية وأسلمها إلى من يليه . فجعل كل منهم يبدى إعجابه بها بنفس الطريقة ، ثم أهدوا الفندق إليها ملكا خالصاً .

[ستردای إيفننج بوست]

حذار من جرثومة البيروقراطية التي تدمر أركان كل حكم سليم .

آفة الحكومات

مختصرة من مجلة "تاون آند كنتري"

جول رومان

البيروقراطية

داء متفش يهدد كل دولة حديثة فى كل مكان . كتبوا عنه كثيراً ، ولكن معظم من كتبوا لم يستطيعوا أن يكشفوا عن مبلغ خطره ، وآثروا أن يعدوه إحدى المزعجات التافهة المضحكة التى تظل على تطاول الأيام باقية لغير سبب معلوم . وكل ما أريد هو أن أبين للناس أن لا ضَير فى أن نسخر من البيروقراطية ، ما دمنا نجعل منا على ذكر ، — بعد أن نضحك منها — أنه ينبغى أن نسحقها مخافةَ أن تسحقنا .

وعلينا بادىء ذى بدء أن نحذر فلا نخلط بين « البيروقراطية » و « الإدارة » ، فالبيروقراطيون يسرهم ، ولا ريب ، مثل هذا الخلط حتى يتخذوه لتهكمهم حجة إذ يقولون : « عجباً ! أتبتغون مجتمعاً بغير إدارة — ولا سيما مجتمع حديث لا تزال أعماله تزداد على كر الأيام اختلافاً وتعقيداً ؟ » وهذه سفسطة بارعة ، فليست البيروقراطية هى الإدارة — كما يظن بعض أماثل الناس — إلا إذا عُدَّت السكتة القلبية صحة وعافية .

ولا تبدأ البيروقراطية إلا حيث تنتهى الإدارة الصحيحة النافعة ، وذلك حين تبتلى الدواوين التى تصرف شئون الإدارة بالآفة التى تجعل ضخامتها واتساعها أكبر من نفعها ، فتصبح كالنبات الطفيلى يسل الحياة مما يستمد منه حياته .

ومادامت البيروقراطية فى مكانها هذا من توجيه المجتمع ، فلها عليه وطأة ثقيلة تستل كافة ضروب النشاط . فهى ترسل فى جميع عروقه وشرايينه جرثومة خبيثة سامة تفسد كل شىء تمسه ، مهما بعد مكانه عن بؤرتها .

وأدل الأعراض على وجود هذه الجرثومة الخبيثة هو ظمأها الذى لا يطفأ إلى الورق ، فالمبتلى بها لا يزال طول يومه مشغولا بالاستمارات يملؤها ، ويقتضى موظفيه أن يملأوا استمارات تعرض عليه ليفحصها ، حتى أصبح عاجزاً عن أن يطلب شيئاً بلسانه أو أن يتحدث عن شىء بألفاظ قليلة موجزة . إنها المذكرات يكتبها ، ويطلب جوابها مذكرات تؤيدها التقارير .

وفى الدواوين كلها ميل كامن طبيعى

إلى الفساد . فهى تعمى رويداً رويداً عن الحقيقة المبصرة ، وهى أنها إنما وجدت لغرض واحد ، هو أن تؤدى عملاً معيناً محدداً تحديداً دقيقاً . ولا يزال يحيك فى صدرها أنها غاية مقصودة لذاتها ، وأن الناس إنما خلقوا ليتيحوا لها الفرص كى تمارس إظهار قدرتها وبراعتها . وهى تنظر إليهم نظرة الفنان إلى المواد التى يستخدمها فى فنه ، فالناس فى رأيها إنما خلقوا وجعلوا مُيسَّرين بنعمة الله لما خلقوا له، حتى يأتى يوم يصيرون فيه فى قبضتها ، ويكون لها السلطان عليهم .

ولما كانت البيروقراطية شديدة الإيمان بأن هذا كله حق ، فهى لا تجد سبباً يحملها على أن تضيّق على نفسها ما اتسع ، بل هى على نقيض ذلك ترى أن تكاثرها آية دالة على أن المجتمع فى خير صحة وعافية . وكل ديوان جديد ينشأ إنما هو فى رأيها دليل على التقدم ، حتى إذا أتم عمله الذى أنشىء له بذلت البيروقراطية كل جهدها حتى يعيش ويبقى ، وتراها تهلل كلما دخل فى زمرتها بضعة ألوف من الأبرياء النافعين .

وفى البيروقراطية قوة أخرى كامنة تدفعها إلى التوسع . فكل رجل من رجال الدواوين يصبو إلى أن يزيد ما خُوِّل له من السلطان ، وأن يكثر عدد مرؤوسيه ، وأن يصير وكيلا ثم رئيساً . فإذا أخذت مثلا مكتبا فيه ستة موظفين ، وظفرت بضم عشرة آخرين إليهم ، رأيت الوكيل المساعد لا يجد مشقة فى إقامة الدليل على أن منزلة مكتبه قد علت ، وأن المكتب جدير بأن ترتفع طبقته ، وذلك كله ينطوى على ترقيته هو نفسه إلى درجة أعلى من درجته .

وعندئذ ينكشف الغطاء عن السر الإلهى الذى أُودِع فى الورق . فالورق كما نعرف برىء الصدر من الغرض ، ولكن البيروقراطية تتخذه بخوراً تحرقه فى معبدها الذى تعبد فيه نفسها . فكلما تكاثرت الأوراق التى سودتها الأقلام ، رَبَا شعورها بسطوتها القابضة على أعناق البشرية الحقيرة . فإذا اقتربت ساعة الترقيات ، صارت للأوراق منفعة صادقة ، فإن خير وسيلة يدل بها

أشهر ما يعرف به جول رومان هو أنه مؤلف سلسلة من القصص اسمها « أولو العزم الصادق » ، على الرغم من أنه ألف حوالى ستين كتابا فى مدى حياته الأدبية الطويلة الممتازة . ولقد أخذ منذ سنة ١٩٠٩ ، حينما اعتزل تعليم الفلسفة فى إحدى المدارس الفرنسية ، يقوم بأسفار واسعة فى جميع أنحاء العالم من بيته فى باريس وتورين . ومنذ عهد قريب عاش رومان فى المكسيك ، وصار يزور الولايات المتحدة بين الفينة والفينة . وهو الآن يعيش فى فرنسا ويقوم بعمل حكومى خاص .

الديوان على قلة موظفيه ، وأنهم مرهقون بعمل لا يزال يزداد ، هى أن يضاعف أوراقه واستماراته ومطبوعاته على اختلافها ، ضعفين أو ثلاثة أضعاف أو أربعة ، ثم تملأ وتحوّل على عجل ، ثم تطويها الملفات . فإن استطاع أن يبتكر ضروباً جديدة من الاستمارات فعل . وبذلك تستطيع الإدارة أن تسوغ صياحها: «نحن غَرْقى ! أسعفونا بالرجال بعد الرجال ! إنا نتوسل إليكم » .

والبيروقراطيـة لا تكف عن التفكير فى أمر المجتمع ، مهمومةً تبحث عن وجوه من العمل قد أفلتت من إشرافها المعقـد ، وهى متهيئة أبداً لاقتراح قيود جديدة . وهى تعتقد أن كل حياة لا تقيدها الأنظمة حياة همجيـة ، وأننا لم نَغْدُ أهل حضارة إلا بالترويض . ثم إن اختـلاق القوانين يسدى إلى البيروقراطية يداً مباركة ، لأنه يتطلب عدداً آخر من رجال الدواوين يتولون تنفيذه .

والقـوانين تلد مَنْ عساه يخرقهـا ، والتحريم يلد الجريمة ، والجريمة تلد ديواناً جديداً يتولى القضاء عليها . ولك أن تتصور مجتمعاً أحكمت البيروقراطية تنظيمه ، حيث لا يسع امرءاً من أطوع النـاس قياداً أن يجتنب ارتكاب مخالفات كثيرة فى كل يوم حتى يشغل بأمره عشرات من رجال الدواوين.

ومن سعادة الجـد أن فى الإنسان شيئاً كامنا يسرّه أن يفلت به من أغلال النظام، فتراه يستنجد بالمعاذير من مصلحة أو راحة أو هم ، فربما قال : « لم أفعل هـذا الشىء فى ميعاده ، لأن ولدى كان مريضا » ولربما التمس إذنا فلجّ غير هيّاب فى استعجاله ، متعللا باسم عمل ذى خطر فى خاصة أمره .

وهذا أمر فظيع يزعج رجال الديوان، فهم لا يبالون بشئون الإنسان الخاصة ، إلا إذا كانت مما ورد ذكره فى الاستمارات المطبوعة. وكذلك وقت المرء شىء لا يعبأ به، حتى وإن أسبغ على ما يطلب رهبة الخطوب الفاجعة كأن يقول : « إنها أمى ولن تلبث ٤٨ ساعة حتى تموت ، لا بد من أن أذهب . أريد الإذن ! »

ألا إن البيروقراطية أشد حنقا إذا رأت رجلا ضعيفا يريد أن يفسد عليها نظامها الفخم ، ومواقيتهـا المضروبة . فلا خطر لوقت سـوى وقتها ، وله عندها نواميس لا تتبـدل . فإذا كان من المتبع أن لا يتم أحـد الإجراءات فى أقل من ٢١ يوما ، فذلك الرجل الذى يجرى على لسانه ذكر « ٤٨ ساعة » و « أم تموت » ، إنما هو رجل متطاول بل فظ غليظ القلب .

أما أخصّ خصائص البيروقراطيـة فهو عجزها عن مسايرة الحقائق الواقعة ، وهذه

الخاصة التي إذا رأيناها في أحد من الناس وسميناه بخبل العقل ، هي التي تفسر كل ما مر ذكره . وسأضرب لذلك مثلا مما وقع لي أنا نفسي في فرنسا سنة ١٩٤٠

ففي ذلك الوقت كانت بيني وبين «دوكو» وكيل وزارة الحربية ، أسباب من المودة ، وكان من دأبي أن أبعث إليه بالأخبار التي أتلقاها من صهري ، وكان ضابطا يتولى أمر محطة مهمة للسكة الحديدية على مقربة من الحدود حيث تمر الجيوش الفرنسية والبريطانية بغير انقطاع .

وتلقيت ذات يوم رسالة من صهري أفزعتني ، قال فيها : « هكذا تسير الأمور عندنا ، فكل امرىء يرتدي زي الضباط ويحسن نطق الفرنسية، يستطيع أن يدخل محطتي ، فتراه لا يكتفي بالسؤال عما يبغي بل يأمر أمره، كأن يطلب تحويل القطارات التي تقل الجنود . فلو أراد غداً جاسوس ألماني أن يدخل عليّ محطتي متنكراً في زي ضابط فرنسي ، وأن يأمر برد ثلاث فرق من حيث أتت لفعل ، ويدهشني أن الألمان يجهلون هذا» ثم قال : «وضباطنا لا يحملون بطاقات لتحقيق الشخصية ، فينبغي أن يتم منذ الآن عمل هذه البطاقات وفيها البيانات الوافية » .

فأطلعت دوكو في اليوم نفسه على هذه الرسالة ، فقال : « هذا أمر عظيم الشأن ، فالخطر هائل ، والعلاج يسير . وسأعنى به من فوري » .

فبعد ثلاثة أسابيع اعترف لي دوكو مرتبكا فقال : « ستحسبني رجلا أحمق ، أو رجلا متهوراً في وعوده، ولست بأحدهما. لقد طلبت من ديواني بطاقة الشخصية عشر مرات على الأقل ، فقيل لي : إنها تأخذ مجراها . فانظر : أمامي في كل يوم عشر مسائل لها خطر وشأن ، كتب عليّ أن أناضل مستميتا في سبيل إنجازها . ستأتي البطاقة ، ولكن متى .. لا أدري » .

وكأني بها لم تصل إليه إذ جاء شهر مايو وغزا الألمان فرنسا . فاستفاد الألمان من ذلك أكبر فائدة،فأرسلوا الضباط المتنكرين الممرّنين على مثل هذا العمل ، وجعلوا يطوفون بين خطوطنا ويصدرون أوامرهم التي جرت علينا الكوارث .

وكذلك ترى البيروقراطية تضلل الوزراء وتشل أيديهم ثم تثبط عزائمهم . والحكومات التي دكت البيروقراطية أركانها لا حصر لها، فكانت من أسباب سقوط الإمبراطورية الرومانية ، إذ سلّت قواها شيئا فشيئا . وكانت السرطان الذي ابتليت به الملكية الروسية في القرن التاسع عشر ، وهي التي

تزفت دم جمهورية فيمار الألمانية الضعيفة المنهوكة .

والديمقراطية أحق النظم بأن ترهب خطر البيروقراطية ، لأنها أشد توقيراً للدستور وأبعدها عن إساءة استعمال السلطان . فمن جراء ذلك تجدها لا تجسر على أن تعنف برجال الدواوين وتلزمهم حدودهم ، بل تتلطف بهم . فكذلك تراهم يبذرون بذور الدكتاتورية ، ويتعهدون نماءها فى قلب الديمقراطية . وهى دكتاتورية ليس لها اسم ينطق ، ولا رئيس يُرَى ، ولكنها تحتل المواقع المنيعة، حتى إذا ما قبض حزب وزعيمه على زمام الدولة ، وجد أسباب الاستبداد مهيأة له .

وأشد من ذلك كله أن البيروقراطية تمهد السبيل للاستبداد بما تدخل على ضمير الناس من الفساد ، فينسون ما ألفوا من الحرية ومعانيها ، حتى يجىء يوم يدركون فيه أن لا فرق بينهم وبين الشعوب الخاضعة للدول المستبدة . وإذا هم منذ اليوم لا يعبأون شيئا بتلك الكلمة كلمة الحرية ، ولا بالدفاع عنها ، بل لا يعرفون كيف يكون ؟

فإذا جاءت السنون المقبلة بمشكلاتها الهائلة ، فيومئذ لن يطيق الإنسان احتمالها إلا إذا حزم أمره على أن يقى الإدارة النافعة فساد البيروقراطية ووبالها .

أجوبة

« كل كلمة تتعلمها تزيدك قدرة على التعبير »

١ — د	٦ — ب	١١ — ا	مراتب	
٢ — ب	٧ — ا	١٢ — ب	١٦	صواب : نادر
٣ — ا	٨ — ج	١٣ — د	١٣ — ١٥	صواب : ممتاز
٤ — ج	٩ — د	١٤ — ج	٩ — ١٢	صواب : جيد
٥ — د	١٠ — ج	١٥ — ا	٧ — ٨	صواب : متوسط
	١٦ — ب			

داعٍ يدعو إلى الوقاية من الحريق

بول و. كيرني • مختصرة من مجلة "رد بوك"

في اليوم الرابع من شهر مارس سنة ١٩٠٨ وقف رجلان تجاه دار فرقة المطافىء في مدينة كولنوود بولاية أوهيو ، وكان أحدهما رئيس الشرطة ، والآخر ألفريد فلمنج . وبينما هما يتحدثان دق ناقوس الإنذار ، فأبصرا دخاناً يتصاعد من مدرسة قريبة من ذلك المكان، فهرولا مسرعين إلى مكان الحريق .

خرج من كان من التلاميذ في الدور الأول صفوفاً منظمة من باب المدرسة ، أما الذين كانوا في الطبقة العليا فكانوا يقفزون مذعورين من نوافذ يخرج منها الدخان . فلما سمع الناس الصراخ والعويل آتياً من الناحية الأخرى طاروا إلى الباب الخلفي فوجدوه موصداً ، فأخذوا يحاولون خلعه بأيديهم مستيئسين . وأخيراً استطاعوا أن يخلعوه بقضيب من الحديد ودخلوا فوجدوا منظراً بشعاً، فهذه كومة من الجثث عند أسفل السلم يبلغ ارتفاعها اثنتي عشرة قدماً .

وقد اشتدت الوطأة على من كان في أسفل الكومة من الأطفال فماتوا ، أما من كان في وسطها فقد أغمي عليهم ، وأما بعض من كان في رأسها فكانوا لا يزالون يكافحون ويصرخون ، وقد بلغ تراكم الجثث مبلغاً يبعث على اليأس ، فلم يستطع الرجال المذهولون أن ينقذوا سوى قليل منهم .

ولقد بلغت عِدّةُ من هلك في ذلك الأخدود المستعر ١٧٣ تلميذاً وثلاثة أساتذة .

ضاعت جهود فلمنج سدًى، فضعضعه الغمّ حتى قضى في المستشفى سبعة أشهر في كرب ثقيل ، ولما خرج من المستشفى حرم عليه أطباؤه أن يعود إلى العمل ، ولكنه لم يعبأ بنصحهم ، فقد صمم على أن يقف حياته على الدعوة إلى وقاية الناس من الحريق . ومنذ ذلك اليوم سار ألفريد فلمنج في طريق الشهرة مسدياً إلى الإنسانية جميلاً لا يقدر بمال .

فلما عُيّن مساعداً لرئيس فرقة المطافىء بولاية أوهيو ، انتخب عضواً في مجلس الولاية . ولما نشبت الحرب الماضية عيّنه الحاكم كوكس رئيساً لفرقة المطافىء، وكذلك وضع فلمنج في موضعه الحق .

وشرع بعد ذلك يتعقب المحرّقين

والمخرّبين ، وحكم على كثير منهم بالسجن . ثم أخذ يتعقب أصحاب المساكن الخالية من وسائل الوقاية من الحريق . فأصدر أمره مرة بهدم ستمئة منزل فى كليفلاند. فلما هدّده صاحب أكبر تلك المنازل بمقاضاته فى المحاكم، ذهب فلمنج على إثر انقضاء المهـلة التى أفسحها له ، ومعه خمسة وسبعون عاملا . ولم تنقض أربع ساعات حتى كان المنزل قد هـدم ، وطالب صاحب الدار بالنفقات ، وقبضها . وبعـد أن قام بعمله خير قيام ، كلفه المجلس الأهلى ، لإدارة التأمين من الحرائق ، أن يطوف بالبلاد وحده ليتعقب مجرمى الحرائق .

وفلمنج رجـل معروق العظام عريض الفك ، يجمع بين النشاط والفصاحة والجلد العجيب . ولقـد أتم الآن السنة الخامسة والعشرين من خدمته بمجلس إدارة التأمين، فبلغ مجموع خطبه ثلاثين ألف خطبة (وكثيراً ما كان يلقى سبع خطب فى اليوم) فى رحلات بلغت ٦٥٠٫٠٠٠ ميلا .

وليس للمستر فلمنج من همّ أو حديث إلا عن الحريق والوقاية منه ، ولقد دخل ذات يوم كنيسة فرأى الأبواب كلها مغلقة إغلاقاً محكماً سوى باب واحد ، حتى لا يخرج من البـاب أحد من المصلين إلا صافح القسيس . فلما نبه فلمنج القسيس إلى هذا الخطر المخوف ، نهاه عن أن يدخـل فيما لا يعنيه . فما كان من فلمنج إلا أن طار إلى إدارة المطافئ فعاد ومعه رئيس الفرقة ، فصرخ قائلا :

« يجب فتح الأبواب كلها قبل انقضاء خمس دقائق وإلا حطمتها ! وسأرسل منذ اليوم فى كل يوم أحد رجلا من رجالى ، فإذا وجـد الأبواب مغلقة ، فما هو إلا السجن » .

وذعر فلمنج ذات ليلة وهو فى أحـد الفنادق ،إذ رأى الحارس يغلق باب الخروج عند الحريق « مخافة اللصوص » . فلما نبه كاتب الفندق قال له : « إذا كان هذا لا يرضيك ، فارحل عنا » . فذهب فلمنج إلى مدير فرقة المطافئ ودبر خطة تكون عبرة لأصحاب الفندق ، وقال له : « سأعود إلى الفندق ، وبعد خمس عشرة دقيقة أرسل إشارة شبوب النار . فارسل من استطعت من رجال ، ومرهم أن يقيموا الأرض ويقعـدوها ، وإذا حضر المشهد بعض مصورى الصحف فلا بأس » .

فلما أرسلت إشارة الحريق جاء عشرات من رجال المطافئ يحملون الفؤوس والمعاول وغيرها وتخللوا جموع الناس وهم يصيحون: « أين أبواب الحريق المغلقـة ؟ » . فلما حضر مدير الفندق أخـذ رئيس الفرقة

يعنفه تعنيفاً شديداً جعله يقلع عن إغلاق أبواب الحريق .

ووقف فلمنج ذات يوم على منزل ذى أربع طبقات فيه ٢٣٨ من المصابين بداء الصَّرْع ، وليس له سوى باب واحد ، وليس له باب للخروج عند حدوث الحريق ، وجميع نوافذه مسورة بقضبان الحديد . فلما علم أن مجلس الولاية قد حذف من ميزانيته المبلغ المخصص لمكافحة النيران لأنه «غير ضرورى» ، قصد حاكم الولاية . فلما زارا المنزل معاً خرج الحاكم فكتب إلى المجلس كتاباً لم يكن من أثره أن تفتح أبواب للخروج فحسب ، بل صدر الأمر ببناء دار جديدة .

كان فى بلدة أخرى جماعة تعرف برابطة الآباء والمعلمين ، فأثرت فيهم خطب فلمنج (وقد وصف ستاً وثلاثين حادثة تعرضت فيها مدرستهم لخطر الحريق) فأرسلت الرابطة وفداً إلى مجلس إدارة المدرسة فقالوا : « إما أن تفتحوا أبواباً للفرار من الحريق فى خلال أسبوع ، وإلا أخرجنا أولادنا من المدرسة » . فبدأ المجلس يعمل .

وفى بلدة أخرى رفض مفتش المدارس ما اقترحه فلمنج ، فبعد شهرين التهمت النار إحدى مدارسه ، وهلك فيها ٧٧ نسمة . وقد وقف فى أسفاره على أشياء مفزعة ، من ذلك أنه وجد فى إحدى المدن بهواً يسع ١٢٫٠٠٠ نفس ، ولم يكن له سوى مدخل واحد غير صالح ، ومنفذين آخرين يطل أحدهما على النهر على ارتفاع عشر أقدام ولا سلالم له ، وكذلك الآخر لا سلالم له ويفضى إلى كومة من الحجارة بينه وبينها ١٢ قدماً .

ومن الأشياء الفظيعة التى وقف عليها مدرسة بلغت نفقات بنائها مليون ريال ، ولها منافذ منحدرة تنتهى إلى أبواب عليها أقفال قد ضاعت مفاتيحها . ووجد أيضاً بناء عالياً مؤلفاً من خمس طبقات وأنابيب إطفاء الحريق لم توصل بعد إلى خزان الماء . ووجد بيمارستاناً فيه ١٫٨٠٠ مريض ، وخرطوم الحريق لا يستطاع وصله بحنفية الماء . ووجد ملجأ للعميان من الأطفال مؤلفاً من أربع طبقات عالية وهو مبنىّ بالخشب ، ولكن الماء فى الأنابيب ضعيف ، حتى لا تجده يرتفع إلى ما فوق الطبقة الثانية .

ويقول فلمنج : « إن أحدث الطرق فى مكافحة الحرائق ينبغى أن تبدأ حين يضع المهندس تصميم البناء ، لا حين تركب أنابيب الماء . وإذا كان من الحماقة أن تلقى ثقاباً مشتعلا فى سلة المهملات ، أفليس من الجهل أن تنفق المال جزافاً لتشييد بناء

كثير العيوب يستطيع أى مجنون أن يحيله رماداً بعود ثقاب ؟ »

ويلقى فلمنج محاضرات فى مدارس الهندسة ، ويشرح الأخطاء التى اعتاد المهندسون ارتكابها منذ أزمان طويلة ، فمنها تشييد أبهاء واسعة غير مقسمة ، تكون مسرحاً للنار الصغيرة ، حتى تفضى إلى مقادير كبيرة من الوقود . ومنها فراغ عمودى لا وقاية فيه ، كفراغ السلالم والمناور التى تمكن الهواء الساخن من أن يندفع من قبو المنزل إلى أعلاه ، ويكتسح البناء كله فى دقائق معدودات . ومنها السقوف السريعة الاشتعال . ومنها نقص أدوات الاطفاء الأوتوماتيكية كالرشاشات .

وقد كان ألفريد فلمنج فى زمن الحرب منهمكا فى صيانة الأمكنة التى تحشد فيها إمدادات الجيوش . وهو يروى كيف التهمت النار مرتين فى خلال أسبوع واحد حبوباً مخزونة تكفى عاماً كاملا فى فطور جيش عدته ٦٠٠٫٠٠٠ رجل . والتهمت النيران مرة حمولة سفينتين من إطارات السيارات ومواد ١٤٦ مخزن بقالة ، وستين ألف دجاجة ، وبيضاً قيمته مليونا ريال ، وعتاداً حربياً قيمته خمسة ملايين ريال ، وكانت على رصيف الميناء .

وإذا أفزعتك هذه الخسائر روى لك فلمنج مثالين آخرين فيهما شىء من العزاء ، ذلك أن سوق شيكاغو الشهيرة ومحطة نيويورك العظيمة ، وفيهما من المواد والبضائع ما تبلغ قيمته ألوف الملايين من الريالات ، قد شبت النار فيهما مراراً . ولما كانتا مبنيتين على أسلوب يقيهما شر النار أوتوماتيكياً ، لم تزد الخسارة فى كل حريق على خمسة ريالات .

ويقول فلمنج إنه لا عذر اليوم لنا من حريق يلتهم ملايين الريالات ، كما لا عذر فى حريق كولنوود الذى شب منذ ٣٧ سنة فى مكان مغلق الأبواب ، وإنه لن يسكت عن الدعوة إلى الوقاية من الحريق ، ما دام فيه عرق ينبض ولسان ينطق .

تعطى محطة سان فرنسسكو ، كجميع محطات سكة الحديد فى هذه الأيام ، للعسكريين وزوجاتهم حق التقدم فى الجلوس فى القطارات ، ونتج عن ذلك أن اعتادت السيدات المسافرات بمفردهن أن يلحقن بأحد البحارة المسافرين . وتنبه إلى ذلك الحراس الواقفون على أبواب المحطة ، فكانوا يصيحون عند فتح الأبواب : « زوجة واحدة فقط لكل بحار ، من فضلكم » . [أودن وأوليفيا ميكر]

مصرع وحش

چيم كوربت — مختصرة من كتاب "وحش كوماؤن آكل الأنسان"

« اشتهر اسم المؤلف فى مناطق واسعة من أقاليم الهند المتحدة ، ويعرفه القرويون بأنه الرجل الذى أذهب عنهم الروع الذى أورثهم إياه وجود وحش ضار شرير بينهم . وكم من حاكم هالته الفوضى التى نزلت بالريف من جراء ببر يأكل لحوم الناس ، فعاذ بالماجور جيم كوربت يلتمس المعونة — ولم يخب له أمل قط فيما اعتقد . وفى وسعى أن أقول عنه ، وأنا على يقين مما أقول ، إنه ما من رجل خرجت معه للصيد فى أية قارة ، يفهم سمات الأدغال خيراً من فهمه لها » .

[اللورد لنلثجو نائب الملك فى الهند سابقاً]

مصرع وحش

على خريطة كوماؤن الشرقية المعلقة أمامى على الجدار علامات مرقومة ، وتحت كل علامة تاريخ. فأما العلامات فتبين مواقع المسجلين رسميا ممن كانوا فريسة لبَبْر شوجار آكل الإنسان . وهناك ٦٤ علامة على الخريطة ، ولست أزعم أن هذا إحصاء مضبوط ، فما قيدت حوادث الفتك جميعاً ، وخاصة فى الحالات التى لم يصب فيها الناس بأكثر من رضوض ، ثم ماتوا بعد ذلك .

وتشمل العلامات رقعة مساحتها ٥٠ ميلا فى ٣٠ . وفى هذه الرقعة التى انتثرت فيها القرى ، وبعضها فيه مئة نسمة أو أكثر ، وبعضها ليس فيه سوى أسرة صغيرة أو أسرتين، أقام ببر شوجار عهد إرهاب وفزع . وتخترق الطرق الضيقة التى تصل ما بين القرى غابات كثيفة فى الأغلب، فإذا جعل آكل الإنسان اجتيازها خطراً ، فإن الاتصال بين القرى يتمّ بالصياح ، فيقف الرجل على مكان مشرف ، من مثل صخرة كبيرة أو سطح بيت ، ويرسل صوتاً لينبه القرية المجاورة، ثم يؤدى رسالته بصوت جهير . وتذاع الرسالة من قرية إلى قرية بهذه الوسيلة فى وقت وجيز لا يكاد يصدق . ومن أجل هذا كان من الممكن عادة معرفة اعتداءات آكل الإنسان بعد وقوعها بقليل .

وقد اشتهرتُ بأنى أشد عناية بتصوير الحيوانات منى بقتلها ، وأنى أعجب بالببر خاصة . وأنا مقتنع بأن كل هواة الصيد يوافقوننى على أن الببر سيد كبير القلب لا نهاية لشجاعته ، وأنه متى باد كما سيبيد حتما إذا لم ينهض الرأى العام لنصرته — فإن الهند ستخسر خير حيوانها . ولكنى قضيت أكثر من ثلاثين عاماً وأنا أصيد أكلة الإنسان ، لأن الببر متى اعتاد أكل اللحم البشرى ، تصبح قدرته على الفتك لا حد لها تقريبا . مثال ذلك ان بَبْر شامباوات قتل نحو مئتى إنسان فى نيبال قبل أن تطرده من هذه المنطقة جماعة من أهلها المسلحين . فانتقل إلى كوماؤن وافترس فى أربعة أعوام ٢٣٤ آخرين — فصارت جملة ضحاياه ٤٣٤ — قبل أن أوفق إلى قتله . على أن لحم الإنسان ليس بالطعام الطبيعى للببور ، وقلما يصبح الببر آكلا له إلا إذا أفقدته الجروح أو الشيخوخة قدرته على الفتك بفريسته الطبيعية.

وقد تبينت من الخريطة ذات العلامات والتواريخ التى قدمتها لى الحكومة ، أن

بَبْر شوجار أنشط مايكون فى القرى القريبة من المسكن الحلوى فى غابة كالا أجار ، فصار هذا المسكن أول هدف لى . وبعد مسيرة أربعة أيام انتهت بالصعود فى مرتقى وعر إلى ٦٠٠٠ قدم ، وصلت إليه فى مساء يوم من إبريل . وكان رؤساء القرى قد اجتمعوا ، فعلمت منهم أن الببر شوهد آخر مرة قبل عشرة أيام فى قرية تبعد عشرين ميلا ، حيث قتل وأكل رجلا وزوجته .

والأثر الذى مضت عليه عشرة أيام لا يستحق التتبع ، ولكن سرعان ما أقبل بعض القرويين وأخبرونى أن الببر هاجم صباح اليوم لفيفا من النساء كن يجمعن محاصيلهن فى قرية لا تبعد إلا عشرة أميال . فمضيت إلى تلك القرية على الفور .

وكانت القرية عبارة عن كوخين وحظيرة للماشية فى خمسة فدادين تحيط بها غابة . وكانت هذه الجماعة الصغيرة فى رعب ، فاستخفها الفرح لرؤيتى ، وأومأ الناس إلى حقل القمح على بضع ياردات من الكوخين حيث شوهد الببر — فى الوقت المناسب — يتسلل وبطنه يكاد يمس الأرض ، لينقض على النسوة الثلاث اللاتى كن يجمعن المحصول . فلما صيح بهن تحذيراً لهن ، تراجع الببر إلى الغابة حيث انضم إليه بَبْر ثانٍ ، وقد أيد هذا خبر تلقيته من قبل بأن آكل الإنسان يصحبه فِرْزُ مدرك (ابن الببر) ، ولم تغمض لسكان الكوخين عين لأن الببرين لما أفلتت منهما الفريسة ظلا يختلفان إلى القرية طول الليل على فترات قصيرة .

وأهل الجبال كرام جداً ، وقد عرض على القرويون أن يعدوا لى طعاماً ، وكنت أعرف أن هذا خليق أن يرهق موارد الجماعة الصغيرة ، ولهذا طلبت شاياً ، ولما لم يكن فى القرية شاى فقد جاءونى بحليب صَريف محلى بسكر القصب . وهو شراب كاف سائغ متى اعتاده الإنسان . ثم توليت الحراسة إجابة لرغبة مضيفى ريثما يجمعون بقية المحصول . فلما كان الظهر خرجت وحدى مشيعاً بدعوات هؤلاء الناس إلى الوادى ، فى الاتجاه الذى جاء منه صوت الببرين .

وهنا أود أن أقطع القصة لأنفى إشاعه مستفيضة فى الجبال بأنى فى مناسبات كثيرة اتخذت زىّ امرأة جبلية ودخلت الغابة ، وجذبت أنظار الببور إلى ، وقتلتها بفأس أو منجل . فإن كل ما فعلته مما يعد تغييراً للثياب ، هو أنى استعرت شِمْلة وغطيتها بالحشائش المقطوعة ، أو تسلقت الأشجار . ولم تنجح الخدعة قط ، وإن كان قد حدث مرتين — فيما أعلم — أن الببور ترصّدتنى وأنا فوق الشجرة ، مختبئة فى المرة الأولى وراء

صخرة ، وفى الثانية وراء شجرة مقلوعة ، فلم تسنح لى فرصة لرميها بالنار .

ولا بد للصياد الذى يخرج على قدميه ليطارد آكل إنسان أن يعتمد إلى حد كبير فى سلامته وفى معرفة حركات البر الذى ينشده ، على الصيحات والحركات التى تصدر عن الحيوانات الأخرى التى فى الغابة . فإنها كلها تخرج أصواتاً على سبيل التحذير ، تنذر كل طير وكل حيوان على مسمع منها بوجود البر . على أنها قد تصيح محذرة معلنة وجود رجل، وبهذا تنذر البر وتضيع مجهود يوم كامل فى التربص . غير أنه ليس أعون من أصواتها وأعمالها على صيد البر ، ولكن الريح خير حليف يعوّل عليه الصياد .

ويجب أن يدرك القارىء أنه على حين يحاول الصياد أن يقع على البر ، يكون البر على الأرجح متربصاً للصيَّاد، وهو صراع كان خليقاً أن يكون غير متكافىء ، لما يحمى البر من ألوان جلده ، ولقدرته على الحركة بغير صوت، لولا أن الريح عامل يشد أزر الصياد .

والببور لا تعرف أن الآدميين ليس لهم حاسة شم ، فإذا صار البر آكلا للإنسان فإنه يفعل بالآدميين ما يفعله بالحيوانات المستوحشة ، أى أنه يدنو من فريسته المنشودة مع الريح .

ولما كان البر يتربص دائماً لفريسته من الخلف ، فإن من الانتحار للصياد أن يسير فى غابة كثيفة فى الاتجاه الذى تهب منه الريح ، لأن الخطر يكون حينئذ وراءه ، فهو أعجز ما يكون عن درئه ، ولكنه إذا اعترض الريح مراراً استطاع أن يجعل الخطر إلى يمينه وإلى يساره على التناوب . وقد لا يبدو هذا الكلام مشجعاً أو جذاباً ، ولكنه يجدى عند العمل به . ولست أعرف طريقة هى خير أو آمن عند السير مع الريح فى غابة شجراء ربض فيها بَبْر جائع آكل للإنسان، من أن يمشى المرء القهقرى !

وقد اتبعت هذه الخطة فبلغت فى المساء الجزء الأعلى من الوادى دون أن أرى البرين ، أو أسمع من الطير أو الحيوان ما يدل على وجودهما فى الغابة . ولما كان الليل قد أخذ يرخى سدوله ، فقد صار من الضرورى أن أنام فى شجرة ، وهو أمر هين بفضل الدربة الطويلة على اختيار شجرة موافقة ، والقدرة على الرقاد فيها مرتاحاً . وقد سمعت صوت البرين بعد دخول الليل بقليل ، ولكن الليل بعد ذلك كان ساكناً فنعمت بالراحة ، ولم يزعجنى شىء .

ولما كان عصر اليوم التالى ، كنت قد ارتدت الوادى كله . وإنى لأصعد فى مرتقى

معشوشب فى طريقى إلى القرية ، وإذا بى أسمع دعوة طويلة ممطوطة ، فأجبتها بصيحة مثلها، فزعق رجل من فوق صخرة مجاورة خلف الوادى وسألنى : أأنت الرجل الذى جاء ليقتل آكل الإنسان ؟ فلما قلت له إنى هو، أخبرنى أن ماشيته خرجت هاربة من مجازة فى الجانب الذى أنا فيه من الوادى عندالظهر، وأن إحداها، وهى بقرة بيضاء، مفقودة .

فقصدت على الفور إلى المجازة للبحث فيها ، وما كدت أسير مسافة قصيرة حتى وجدت آثار الماشية الهاربة ، فلم أجد مشقة فى الاهتداء إلى المكان الذى قتلت فيه البقرة، فإن البيرين بعد أن قتلاها جراها على جانب التل المنحدر إلى المجازة، فتركت أثراً واضحاً للجر . ولعل كلمة « الجر » مضللة ، فإن البيرين يأخذ فريسته ويقطع بها أية مسافة (وقد رأيت بيراً يحمل بقرة كبيرة مسافة أربعة أميال) لا يجرها بل يحملها . على أن الجزء الخلفى من الفريسة كثيراً ما يتدلى إلى الأرض فيترك أثراً واضحاً أو خفيا، بحسب حجم الفريسة المحمولة، والطريقة التى يمسكها بها البير .

ولم يكن من الحكمة أن أسير على الأثر ، فانحدرت إلى الوادى ودرت دورة واسعة . واقتربت من الموضع الذى توقعت أن تكون فيه الفريسة من الناحية الأخرى من المجازة. وهذا الجانب من المجازة عميق وغاصّ بالنبات السرخسى ، فهو أصلح ما يكون للتربص ، فشققت طريقى خطوة خطوة بين أعواد النبات التى كانت تصل إلى خصرى . ولما صرت على مسافة ٣٠ ياردة من حوض المجازة، أخذت عينى حركة أمامى ، فقد ارتفعت فجأة فى الهواء رجل بيضاء ، واضطربت اضطراباً شديداً. وتلا ذلك زمجرة غليظة — البيران واقفان على الفريسة، وقد اختلفا على قطعة شهية منها وتنازعاها .

فلبثت عدة دقائق وأنا واقف لا أتحرك، وظلت الرجل تضطرب ، ولكن الزمجرة لم تتكرر . وكانت هناك صخرة ملائمة على مسافة عشرين ياردة ، فانطرحت على يدىّ وركبتى وجعلت أدفع البندقية أمامى وأنا أزحف بين النبات إلى هذا الملجأ ، فلما صارت عيناى فى مستوى قمتها ، كررت الطرف فرأيت البيرين .

وكان أحدهما عاكفاً على الفخذين يقضم والآخر يلعق براثنه. وكانا يبدوان فى حجم واحد ، ولكن الذى كان يلعق براثنه كان أخف لوناً من الآخر ، فعلمت أن ذلك راجع إلى الكبر ، وأن هذا هو آكل الإنسان،وسددت بندقيتى بعناية شديدة إليه وأطلقتها ، فتراجع وخرّ على ظهره ، وذهب

الآخر يعدو فى المجازة وغاب عن عينى قبل آن أضغط الزناد الثانى . ولم يتحرك البير الذى أصبته فجعلت أحصبه بالحجارة لأستوثق من موته، ثم اقتربت وشعرت بخيبة أمل عظيمة، فقد أرتنى نظرة واحدة عن قرب أنى غلطت وقتلت الفِـزْر — وهى غلطة كلفت أهل الناحية فى اثنى عشر شهراً خمس عشرة حياة، وكادت تكلفنى أنا أيضاً حياتى .

وخفف من خيبة الأمل إلى حد ما، أن هذه البيرة الصغيرة ، حتى ولو كانت لم تفتك بأى إنسان، قد ساعدت على الأرجح أمها العجوز على الفتك (وقد تبينت فيما بعد أن هذا صحيح) . ولما كانت على كل حال قد غذيت باللحم البشرى ، فإنها يمكن أن تعد من أكلة الإنسان باعتبار ما سيكون — وهو تقدير خليق أن يريح نفسى .

ومن السهل سلخ البير على أرض مكشوفة إذا كان هناك أعوان لك ، وكان معك ما تحتاج إليه. ولكن المهمة هنا كانت صعبة ، فقد كنت وحدى ، وحولى نبات نامٍ كثيف ، وليس معى إلا مبراة . ومع أنه لم يكن ثم خطر من البير آكل البشر، لأن البيور لا تتجاوز فى الفتك مقدار الحاجة، إلا أنى كنت أحس إحساساً مزعجاً بأن البير قد عاد ، وأنه يرقب كل حركة من حركاتى .

ومالت الشمس للمغيب قبل أن أفرغ من المهمة الشاقة ، ولما كنت سأقضى ليلة أخرى فى الغابة فقد قررت أن أبقى حيث أنا .

وكان نطاق اختيارى لشجرة محدوداً بطبيعة الحال ، وكانت الشجرة التى قضيت فيها ليلتى تلك أقل ما جربت من الشجر راحة ، وكان صوت البير يسمع بين الفترات طول الليل . فلما كاد الفجر يطلع خفت الصوت ثم انقطع فوق المرتفع المشرف على .

وكنت كليلا اشتكى عصبى ، وجائعا أتضور ، فقد قضيت ٦٤ ساعة بغير طعام وثيابى لاصقة بى ، فقد أمطرت السماء ساعة بالليل ، فانحدرت عن الشجرة لما وضحت الاشياء واستبانت المرئيات،وبعد أن شددت جلد البير إلى سترتى ، قصدت إلى القرية .

ولم يسبق لى أن وزنت جلد بير وهو طرى ، وإذا كان الجلد مضافاً إليه الرأس والبراثن ، يزن ٤٠ رطلا فى البداية ، فقد حملت ذلك كله مسافة ١٥ ميلا فى يومى ذاك، حتى رأيتنى مستعداً أن أحلف أنه يزن مئتى رطل قبل أن أبلغ مقصدى .

وقضيت اليوم التالى فى تجفيف أشيائى وتنظيف جلد البير وعلاجه . وفى أثناء ذلك اجتمع حولى القرويون ليعرفوا ما وقع لى، وليقصوا على ما وقع لهم . وكان كل واحد

منهم قد فقد واحداً أو أكثر من ذوى قرباه ، وكان فى كثير منهم ندوب من أنياب الببر وبراثنه، ستبقى معهم حتى يُغَيَّبوا فى قبورهم .

ولم ترد أخبار فى العشرة الأيام التالية عن الببر ، وفى اليوم الحادى عشر جدد أملى نبأ بأن بقرة قتلت فى مجازة فى التل المشرف على خيمتى، ولكنى لما زرت الفريسة تبينت أن البقرة قتلها فهد مسن، رأيت أثر أقدامه مراراً . وشكا القرويون من أن الفهد ظل سنوات يفتك بماشيتهم وأنعامهم، فاستقر عزمى على الترصد له ، واخترت كهفا ضيقا على مقربة من البقرة المقتولة. ولم يطل انتظارى ، فقد أقبل الفهد من الناحية الأخرى من المجازة ، ولكنى سمعت وأنا أرفع بندقيتى صوتا مضطربا ينادى من ناحية القرية .

ولم يكن ثم سوى سبب واحد لهذا النداء الملح ، فالتقطت قبعتى واندفعت خارجا من الكهف ، فانزعج الفهد فاستلقى أولا على الأرض ثم زمجر وانطلق يعدو من حيث جاء ، وأنا أجرى بأقصى سرعة لألحق بالقروى .

فأخبرنى الرجل أن الببر قتل امرأة على مسافة نصف ميل من الناحية الأخرى من القرية ، فذهبنا نعدو نازلين من التل ، فرأيت حشداً من الناس فى ساحة، وأطللت من فوق رءوس الرجال مجتمعين، فأبصرت فتاة قاعدة على الأرض ، وقد تمزق الجزء الأعلى من ثيابها عن جسمها الغض، وكان رأسها إلى الوراء ويداها خلفها على الأرض لتعتمد عليهما، وكانت بغير حراك أو صوت، سوى أن صدرها يعلو ويهبط ، والدم السائل على وجهها وعنقها يتجمع فى المطمئن من صدرها ويلزق به ويجمد .

وبينما كنت أفحص جراحها ، كان عشرات من الناس يتكلمون فى وقت واحد فقصوا على أن الهجوم على المرأة وقع على أرض مكشوفة وعلى مرأى من عدد من الناس، من بينهم زوجها ، وأن الببر أفزعته الصيحات المجتمعة فترك المرأة ودخل الغابة ، وأن الذين معها عدوها ميتة فارتدوا إلى القرية ليخبرونى ، وأن الفتاة أفاقت بعد ذلك ورجعت إلى القرية، وأنها ستقضى نحبها بلاشك من جراء جراحها بعد دقائق قليلة ، وأنهم سيحملونها بعد موتها إلى المكان الذى هوجمت فيه ، فأتربص للببر عند جثتها وأقتله .

وبينما كان هذا كله يقال لى ، كانت عين الفتاة لا تتحول عن وجهى ، وتتبع كل حركة أتحركها بمثل النظرة المتوسلة من

حيوان جريح ، وكان لا بد من فسحة فى الأرض لأتحرك بلا عائق ، ومن الهدوء لأستجمع عقلى ، ومن الهواء النقى للفتاة ، وأحسبنى لم أتلطف فيما التمست من الوسائل لذلك . فلما انصرف آخر رجل مسرعاً ، وكلت إلى النسوة اللواتى كن إلى هــذه اللحظة فى المؤخرة ، أن يسخن الماء ويمزقن قميصى ، وكان نظيفا جافا ، ويصنعن منـه ضمادات . وكانت هناك فتاة أشرفت على الجنون ، فبعثت بها إلى القرية لتبحث لى فيها عن مقص . وأعد الماء والضمادات قبل أن تعود الفتــاة بالمقص الوحيد الذى كان فى القرية ، وقد وجدوه فى بيت خياط مات منذ زمان طويل ، وكانت أرملته تستعمله فى حفر الأرض لإخراج البطاطس ، وكان حدّاه الصّدِئان ، وطولهما بضع بوصات ، لايلتقيان فى أية نقطة . وبعد أن حاولت عبثاً ، قررت أن أدع خصل شعر الفتاة المعجونة بالدم دون قص .

وكان الجرح الأكبر قطعا من مخلب ، يبدأ بين العينين ويمتد إلى ما فوق الرأس وينحدر إلى القفا ، وقد ترك جلدة الرأس مشقوقة نصفين .

وكان لى صديق طبيب استصحبته مرة لاصطياد البر ، قد أعطانى قارورة صغيرة فيها أوقيتان من سائل أصفر نصح لى بأن أحملها معى كلما خرجت للصيد ، فحملت القارورة فى سترة الصيد أكثر من عام ، فتبخر بعض السائل ، ولكن بقى ثلاثة أرباع القارورة . فغسلت رأس الفتــاة وبدنها ، ثم صببت السائل إلى آخر قطرة فى الجروح ، ثم عصبت الرأس لتعود الجلدة إلى مكانها ، ثم حملت الفتــاة إلى كوخها وهو غرفة واحدة .

وكان يتدلى من عرق فى السقف قريب من الباب سلة مكشوفة ، كان الذى فيها يصيح طالبا طعامه ، ولم أكن أستطيع أن أصنع له شيئا ، فتركت حل هذا المشكل للنسوة المجتمعات . (بعد عشرة أيام لقيت الفتــاة للمرة الأخيرة قبيل رحيلى ، فألفيتها جالسة على عتبة البــاب والطفل نائم فى حجرها ، وكانت جروحها كلهـا قد التأمت ما عدا الذى فى قفاها حيث انغرزت مخالب البر فى اللحم ، ففرقت شعرها الوَحْـف الدَّجوجىّ لترينى أن جلدة رأسها قد التحمت ، وشكرت لى أنى لم أقص شعرها — فإن الشـعر المقصوص هنا يدل على الترمل . فإذا قسم لهذه السطور أن يقرأها صديقى الطبيب ، فإنه يسرنى أن يعرف أن القارورة الصغيرة التى كان فيها السائل الأصفر ، والتى كان بعيد النظر فى تزويدى بهـا ، قد أنقذت حياة أم شابة عظيمة الشجاعة) .

وقد زرت فيما بعد المكان الذى وقع فيه الاعتداء، واستطعت أن أتتبع أثر البير مسافة ميلين أو ثلاثة أميال ، ثم بلغت أرضا صلبة فانقطع الأثر .

وقد ظل الناس يومين فى القرى المحيطة كلها على كثب من مساكنهم ، بقدر ما تسمح بذلك حاجاتهم الصحية ، وفى اليوم الثالث حمل إلىّ أربعة من العدّائين خبراً بأن البير قد أنشب أظفاره فى فريسة من لوهالى، وهى قرية تبعد خمسة أميال إلى الجنوب .

وقد بلغت هذه القرية فى عصر ذلك اليوم، فحيانى شيخ وتوسل إلىّ ، والدموع تسيل على خديه ، أن أنقذ حياة بنته ، وكانت قصته قصيرة فاجعة . ذلك أن بنته — وهى أرملة وليس له من الأهل سواها فى الدنيا — خرجت من بيتها ولم تبعد عنه إلا نحو ١٥٠ ياردة لتجمع عيدان حطب تطبخ به غذاءها ، فسمع نسوة كن يغسلن ثيابهن قريبا من هذا المكان صرخة ، وأبصرن البير يحمل البنت إلى الشجيرات المتكاثفة ، فعدن مسرعات إلى القرية وقصصن ما رأين ، ولكن القرويين خافوا أن يخفوا إلى النجدة . وبعد نصف ساعة عادت البنت تزحف إلى بيتها ، وقالت إنها رأت البير حين هم بالوثوب عليها ، فألقت بنفسها من فوق التل ، الذى ينحدر عموديا تقريبا ، وبينما هى فى الهواء أدركها البير فسقطا عن التل معا ، وأغمى عليها فهى لا تذكر ما جرى بعد ذلك . فلما أفاقت ألفت نفسها على مقربة من جدول ، ولما كانت لا تقوى على الصياح طلبا للنجدة، فقد زحفت على يديها وركبتيها إلى القرية .

وبلغنا باب المسكن وهذه الحادثة تروى لى ، فرددت الناس عن الباب — وهو الفتحة الوحيدة فى جدران الغرفة الأربعة — ونزعت الملاءة المضرَّجة عن المرأة . ولن أحاول وصف حالتها الأليمة ، ولو كنت طبيبا أتعاطى الطب ولدى كل ما يتطلبه العلاج من أدوية ومعدات ، لما كان من الممكن فى رأيى إنقاذ هذه المرأة ، فكيف وما معى سوى قليل من برمنجانات البوتاس ! ومن لطف الله بها أنها كانت فى شبه غيبوبة فغسلت الدم المتجمد عن رأس المرأة وبدنها ليرتاح أبوها الشيخ ، لا لأن هذا كان له جدوى ، وطهرت الجروح على قدر المستطاع .

وقضيت تلك الليلة وبندقيتى المحشوة إلى جانبى على منصة من الحجر يستعملها القرويون للاحتفالات الدينية — وأعترف أن هذا مكان غير صالح لقضاء الليل فيه ،

ولكن كل مكان كان أفضل من القرية ، ومن تلك الغرفة المظلمة الحارة الوخيمة الهواء الملأى بالذباب ، وفيها تلك المرأة تتعذب وتجاهد مستيئسة أن تتنفس . وحملت إلىّ الريح عويل النساء ، فعلمت أن متاعب المسكينة قد انتهت .

وقد دلتنى حادثة هذه المرأة المسكينة وحادثة الفتاة الأولى ، أن الببر الهرم كان يعتمد إلى حد كبير جداً على فِزْره فى الفتك بمن يهاجمه من الآدميين . والمألوف أن لا ينجو إلا واحد من كل مئة يهاجمهم ببر آكل للانسان . ولكنه كان من الجلى فيما يتعلق بهذا الببر أن الذين سيصابون سيكونون أكثر من الذين يقتلون . ولما كان أقرب مستشفى على مسافة خمسين ميلا ، فقد رجوت من الحكومة أن تزود بالمطهرات والضمادات كل القرى الواقعة فى هذه المنطقة . وقد سرنى أن أعلم فى زيارتى التالية أن المطهرات أنقذت حياة كثيرين .

ولبثت فى هذه المنطقة أسبوعاً آخر بلا جدوى ، وبهذا أكون قد مكثت فى هذه الأرض التى يغشاها الببر قرابة شهر . ولم يكن يسعنى أن أطيل مقامى ، وقد جزع القرويون لما علموا أنى راحل ، ولكنى وعدتهم أن أعود فى أول فرصة .

وقد عدت فى شهر فبراير التالى ، فقد قتل بعض الناس وجرح كثيرون فى منطقة واسعة مذ رحلت عنها فى الصيف السابق . ولما كان مكان الببر غير معروف ، فقد استقر رأيى على أن أربط عجلا صغيراً فى الغابة فى مجازة كان قد قتل فيها نور منذ فترة وجيزة ، وإن كان أملى ضعيفاً فى أن ينخدع الببر بهذا الطعم

وكانت الشمس قد انحدرت إلى المغيب حين دخلت المجازة ، وخلفى عدة رجال يجرون عجلا سميناً قويا . وكان على مسافة خمسين ياردة من الموضع الذى قتل فيه الثور ، شجرة مقلوعة ونصفها دفين ، فشد الرجال العجل إليها وعادوا إلى القرية . لم تكن هناك أشجار أخرى ، وكان المكان الوحيد الذى أستطيع أن أربض فيه صخرة ضيقة ترتفع عن حوض المجازة بنحو عشرين قدماً . فصعدت إليها بصعوبة ، ووجدت أن سطحها يميل إلى تحت ميلا غير مريح يضاف إلى ذلك أن الصخور تحتها متكهفة فلست أستطيع أن أرى ما تحت الشاخص من صخرتى ، ثم إن ظهرى فى هذا الموضع المتعب كان إلى الناحية التى يمكن أن يجىء منها الببر ، غير أنى كنت هنا على مسافة ثلاثين ياردة من العجل .

وغابت الشمس ، وكان العجل راقداً فنهض وواجه رأس المجاز ، وبعد هنيهة تدحرج

حجر وهوى ، ولم يكن من الميسور أن أطلق بندقيتي في الناحية التي جاء منها الصوت. فاجتنبت ما يشي بمكاني ، ولزمت السكون التام . وبعد لحظة دار العجل شيئاً فشيئاً حتى صار وجهه إليّ ، فدلني هذا على أن الذي أفزعه — وقد كنت أرى أنه فزع — في الفجوة التي تحتي . وسرعان ما برز رأس ببر تحتي مباشرة . ولا مسوغ لضرب رأس البر إلا عند الضرورة القصوى ، وقد كانت كل حركة آتيها خليقة أن تكشف عن وجودي ، وبقي الرأس دقيقة طويلة أو دقيقتين لا يتحرك ، ثم اندفع البر بسرعة ووثب وثبة عظيمة فوقع على العجل ، ولم يكن ثم بحث عن موضع ينشب فيه أنيابه ، أو صراع ، أو صوت سوى صوت اصطدام الجسمين الثقيلين . وانطرح العجل ساكن الأوصال ، والبر فوقه وأنيابه في عنقه . والاعتقاد الشائع أن البيور تقتل بضربة من كفها على العنق ، وهذا خطأ ، فإن البيور تقتل بأنيابها .

وكان جانب البر الأيمن إليّ ، فسددت بندقيتي التي تسلحت بها ، وهي عيار ٢٧٥ر ، وأطلقتها . فلم يندّ صوت عن البر ، وانطلق يعدو في المجازة واختفى عن عيني . فمن الجلي أني أخطأته لسبب عجزت عن تبينه، على أنه قد يعود إذا كان لم يبصرني أو لم ير وَمْض النار ، ولهذا حشوت البندقية وجلست .

وكان العجل راقداً بغير حراك ، فأخذ يدور في نفسي أني أصبته دون البر . ومرت ١٥ دقيقة ثم برز رأس البر ثانية من الفجوة التي تحتي ، وطال تريثه كرة أخرى ، ثم خرج البر يمشي على مهل إلى العجل ووقف ينظر إليه ، فصار أمامي ظهره بطوله كله فلن أخطئه مرة ثانية ، وضغطت الزناد بعناية ، ولكن البر بدلا من أن يخر صريعاً وثب إلى اليسار، وذهب يعدو إلى مجازة صغيرة .

فهاتان طلقتان في ضوء حسن إلى حد ما ومن مسافة ٣٠ ياردة ، وقد سمعهما القرويون القلقون على أميال من حولي ، وكل ما أستطيع أن أريهم إياه هو جرح رصاصة — أو جرحا رصاصتين — في عجل ميت ! ! فمن الجلي أن بصري قد رابني ، أو أني وأنا أصعد إلى الصخرة أصبت ذؤابة البندقية بما زحزحها عن موضعها .

ولم يكن من المحتمل أن يعود البر مرة ثالثة ، ولكنه لم يكن من الممكن أيضاً أن أكر راجعاً إلى القرية ، فقد أظلم الليل ، ولا علم لي بمكان البر . وقد

اعتقدت أنه هو الذى أطلقت عليه النار ، وقد يكون الآن بعيداً ، على أنه قد يكون مراقباً لى من مسافة خمسين ياردة ، فأشار الحزم بأن أبقى حيث أنا ، على الرغم من انتفاء الراحة . ومرت الساعات الطويلة بطيئة ، وانتفضت من البرد ، ودار فى نفسى أن صيد ببر آكل للإنسان ليلا ، ليس من الملاهى التى تطيب لى ، وأن هذا الوحش إذا لم يتسن قتله فى ساعات النهار ، فخير أن يترك وشأنه حتى يموت بالشيخوخة . وقد قوَّى هذا الرأى أنى حين شرعت أهبط لما أسفر الصبح ، وقد جمدت من البرد وتزحلقت على الصخرة التى طلّها الندى ، أتممت هبوطى وقدماى فى الهواء . ومن حسن الحظ أنى نزلت على الرمل فلم يصبنى لا أنا ولا البندقية سوء .

ومع أن الوقت كان مبكراً ، إلا أنى وجدت القرية قد نهضت . وسرعان ماحف بى الناس يسألوننى من كل جانب ، فلم أستطع الا أن أقول إنى كنت أطلق على ببر خيالى رصاصاً فارغاً .

وأنعشنى إبريق من الشاى السخن ، ونار فائرة أدفأت بها باطن الرجل ـ الذى هو أنا ـ وظاهره . ثم صحبنى رجال القرية وصبيانها إلى حيث قضيت ليلتى ، وصعدنا إلى الصخرة الناتئة المشرفة على المجازة ، وبدأت أصف لهم حوادث الليلة السابقة ، وإذا ببعضهم يصيح فى حماسة : « انظر أيها السيد ! هذا هو الببر الصريع ! » فأدرت عينى فى المجازة وأنا لا أصدق ، ولكنه لم يكن ثم من سبيل للشك فى أن الببر هناك . وما كدت أفيق من دهشتى حتى تجددت الصيحات : « انظر أيها السيد ! » وأشاروا إلى مجاز جانبى : « هذا ببر آخر » . وكان كلاهما من حجم واحد فى رأى العين ، وكلاهما طريح على مسافة ٦٠ ياردة من الموضع الذى أطلقت منه النار ، فمن الجلى أن آكل الإنسان — إذا كان أحدهما — قد جاء برفيق .

فانحدرت عن سطح الصخرة الوعرة إلى المجازة ، والجمع فى أثرى ، وقصدت إلى الببر الأول . فلما دنوت منه عظم الأمل فقد كان ببرة هرمة ، فناولتُ أقربهم إلى بندقيتى وركعت وفحصت أقدامها . وكنت فى ذلك اليوم الذى هاجمت فيه الببرةُ المرأةَ التى كانت تجمع القمح ، قد رأيت الآثار التى تركتها على حافة الحقل ، ففحصتها بعناية ، فدلنى الفحص على أن الببرة هرمة جدا وأن الشيخوخة فرطحت أقدامها . وكان باطن الأقدام الأربع مشققاً جدا ، وأحد الشقوق عميق يقطع باطن القدم اليمنى الأمامية من الأول للآخر ، وقد استطالت الأصابع إلى حد لم أره من قبل فى ببر ، فكان من السهل

مع هــذه العلامات المميزة أن أعرف البير آكل الإنسان من بين مئة بير ميت . ولـكن الوحش الذى كان أمامى ، لم يكن لسوء الحظ آكل الإنسان . ولما أفضيت بهذا إلى الجمع المحشود ، سرت همسة من الاعتراض الشديد من كل جانب ، وقيل لى إنى أنا نفسى ، فى خلال زيارتى السابقــة ، ذكرت أن آكل الإنسان بيرهرم ، وها أنا ذا قد قتلت حيواناً كهذا على مسافة بضع ياردات من حيث قتل أربعة من أهل القرية منذ وقت وجيز . وإزاء هذا الدليل المقنع ماذا تكون قيمة الدلالة المستفادة من الأقدام وأقدام البيور كلها سواء ؟

وما كان يمكن أن يكون البير الآخر ، فى هــذه الظروف ، إلا ذكراً ، فشرعت أتهيأ لسلخ البيرة ، وبعثت ببعض الرجال ليجيئوا بالبير ، وكانت المجازة الفرعية ضيقة ووعرة . وبعد ضجيج وضحك كثير ، طرح البير الثانى — وهو ذكر جميل — إلى جانب البيرة .

ومع أن القرويين كانوا يأبون أن يصدقوا ، إلا أنى أكدت لهم أن بير شوجار آكل الإنسان لم يمت ، وحذرتهم من التراخى فى الاحتياط ، وإلا أتاحوا للبير الفرصة التى ينشدها . ولو أنهم عملوا بنصيحتى لما فتك البير بكل هؤلاء الذين فتك بهم فى الشهور التالية . ذلك أنى اضطررت مرة أخرى أن أغادر المنطقة دون أن أؤدى مهمتى .

وأود أن أصف لقرائى الذين صبروا على متابعتى إلى هنا، أول لقاءلى وآخره مع البيرة .

وقد حدث هــذا اللقاء فى شهر إبريل التالى ، بعد ١٩ يوما من عودتى للمرة الثالثة .

وكنت قد خرجت فى ذلك اليوم مع اثنين من رجالى يجرون عجلا ليربط فى الغابة ويكون طعما ، وكانت البقعة التى اخترتها مكشوفة فيها شجرة بلوط كثيفة ، وشجيرة صنوبر مفردة . فربطت العجل إلى شجرة الصنوبر ، وكلفت أحد الرجلين أن يجيئه بكوم من الحشائش ، وأمرت الآخر — ماذو سنغ — أن يتسلق شجرة البلوط ، وأن يضرب غصنا جافاً برأس فأسه ، وأن يصيح بأعلى صوته كما يفعل أهل الجبــال حين يقطعون الحشائش لماشيتهم . ثم اتخــذت مكانى على صخرة ترتفع نحو أربع أقدام على الحافة الأخرى من الأرض المكشوفة .

وكان الرجل الذى على الأرض قد ذهب وعاد مرات عديدة بالحشائش التى قطعها ، وكان ماذو سنغ على الشجرة يصيح تارة ويغنى طوراً بصوت قوى ، على حين كنت واقفاً على الصخرة أدخن ، والبندقية على مأبض

ذراعى اليسرى ، وإذا بى أشعر فجأة أن البير آكل البشر قد أقبل ، فجعلت أومىء للرجل الذى على الأرض ليأتى إلىّ ، وأصفر لألفت نظر ماذو سنغ ، وأشرت إليه أن يلزم الصمت . وكانت الأرض مكشوفة إلى حد ما من جهات ثلاث ، وكان ماذو سنغ الذى على الشجرة ، على الطرف الأيسر من قدامى ، والعجل الذى بدأ يظهر القلق والاضطراب ، على الطرف الأيمن . فكانت البيرة لا تستطيع أن تجىء دون أن أراها ، ولما كانت قد أقبلت فليس ثم لها سوى مكان واحد تستطيع أن تكون فيه الآن ، وهو خلفى وتحتى مباشرة .

ولست أشك فى أن البيرة قد اجتذبتها الضجة التى تصدر عن ماذو سنغ – كما هو قصدى – وأنها قد جاءت إلى الصخرة ، وأنى شعرت بوجودها حين صعّدت طرفها إلىّ ، وراحت تفكر فى الخطوة التالية . ولعل تحولى إليها وسكون الرجلين راباها . والمهم أنى بعد بضع دقائق سمعت صوت عود ينقصف على مسافة منى ، وزايلنى بعد ذلك القلق وذهب المتوتر . وقد ضاعت فرصة ، ولكنه لا يزال ثم أمل حسن فى أن أضربها ، لأنها ستعود بغير شك بعد قليل ، ومتى رأت أننا ذهبنا فقد تمتع بقتل العجل .

ومتى عبرت الوادى وصعدت فى المرتقى المقابل للموضع الذى أنا فيه ، فإنى أستطيع أن أشرف على السفح الذى ربط فيه العجل ، ولكن الرمى يكون حينئذ من بعيد – من مسافة مئتى ياردة أو ثلاثمئة ، غير أن البندقية دقيقة . فلو جرحت البيرة ولم أقتلها فإنى سأجد أثراً من الدم أتبعه ، وهذا خير من البحث عنها فى مئات من الأميال المربعة فى الأدغال ، وهو ما كنت أفعله فى الأسابيع الكثيرة السابقة .

وكان أمر الرجلين هو الذى يتعبنى ، فإن ردهما إلى القرية وحدهما يعرضهما للخطر ، ولهذا اضطررت أن أستبقهما معى .

وكان لا بد للوصول إلى المرتقى المقابل أن أقطع مجازة عرضها عشر ياردات وعمقها أربع أقدام أو خمس . فلما انحدرت إليها طار طائر عن صخرة وضعت كفى عليها ، ونظرت إلى الموضع الذى كان عليه الطائر ، فرأيت بيضتين وكانتا فى لون القش ، وعليهما علامات سمراء واضحة ، وشكلهما غير مألوف ، فقد كانت إحداهما طويلة تنتهى بطرف حاد دقيق ، أما الثانيــة فكانت مستديرة مثل الكرة . ولما كانت مجموعتى ينقصها مثل هذا البيض ، فقد استقر رأيى على أن أضيفهما إليها . ولم يكن معى شىء أحمل فيه البيضتين ، فوضعتهما فى بطن راحتى اليسرى وغطيتهما بالعشب .

ولما صرت فى حوض المجازة ارتفع الجانبان ، ولما قطعت مسافة ٦٠ ياردة من موضع الانحدار ، صار الحوض على عمق ١٢ قدماً أو ١٤ . وكانت المياه التى تتدفق فى مجازات الجبال فى موسم الأمطار ، قد جعلت الصخر كالزجاج ملاسة . وكان الصخر وعراً لا تثبت فيه القدم ، فناولت أحد الرجلين بندقيتى ، وقعدت على الحافة وشرعت أنزلق . وما كادت قدماى تلمسان القاع الرملى حتى رأيت الرجلين يثبان ويجريان إلى جانبى ويدفعان بالبندقية إلى ، ويسألانى همساً : هل سمعت الببرة ؟ ولم أكن سمعت شيئاً ، ولعل الذى منع أن أسمع هو صوت احتكاك ثيابى بالصخر ، ولكن الرجلين سمعا زمجرة غليظة من ناحية قريبة ، وإن كانا لم يستطيعا أن يعينا الناحية التى جاء منها الصوت . وليس من عادة الببور أن تزمجر وهى تلتمس طعامها ، فالتعليل الوحيد الذى يخطر لى ، وإن كان لا يسكن إليه العقل ، هو أن الببرة تبعتنا بعد أن تركنا الأرض المكشوفة ، وأنها لما رأتنا نهبط فى المجازة سبقتنا ووقفت فى موضع تضيق فيه المجازة إلى نصف عرضها ، فلما هممت بالوثوب علىّ ، كنت أنا قد اختفيت عن ناظريها حين انزلقت ، فأعربت عن خيبة أملها بهذه الزمجرة .

وكنا قد صرنا نحن الثلاثة وخلفنا الصخر الأملس الوعر ، وإلى جانبينا جدارا المجازة الحادّان ، وعلى بضع أقدام أمامنا صخرة قديمة تحجب عنا ما خلفها . وخير ما يوصف به هذا الموضع أنه يشبه إردوازاً مدرسياً ضخماً سمكه قدمان من طرفه الأسفل ، وهو قائم ، عمودياً تقريباً ، على أحد جانبيه الطويلين .

وخرجت من نطاق هذا الإردواز الضخم - وإذا بى وجهاً لوجه أمام الببرة !

وأحب أن تكون صورة الموقف واضحة فى أذهانكم .

كان القاع الرملى وراء الصخرة طوله نحو عشرين قدماً ، وعرضه نصف طوله ، وعلى هذا القاع رقدت الببرة وبراثنها مبسوطة أمامها ورجلاها تحتها . وكان رأسها مرتفعاً بضع بوصات عن براثنها ، وعلى مسافة ثمانى أقدام منى ، (قست المسافة فيما بعد) وعلى وجهها ابتسامة تشبه ابتسامة كلب يرحب بأوبة سيده بعد غيبة طويلة .

وخطر لى خاطران بسرعة البرق : أن علىّ أنا أن أخطو الخطوة الأولى ، وأن ما أفعل يجب أن يكون بحيث لا يزعج الببرة أو يثير أعصابها .

وكانت البندقية فى يمناى ومُراحة بعرضها على صدرى ، وقفل الزناد مفتوح ، فإذا

أردت أن أسدّدها إلى النبرة ، فإن فوهتها لا بد أن تدور ثلاثة أرباع دائرة .

وشرعت فى إدارة البندقية بإحدى يدى ببطء شديد لايكاد يلاحظ ، حتى صارت ذراعى ممدودة ، وبدأت أشعر بثقل البندقية ولم يبق إلا مدّ الفوهة قليلا . وكانت النبرة لا تحول عينها عنى ، وعلى وجهها ابتسامة الرضى والارتياح .

ولا أدرى كم من الوقت مضى لرفع البندقية إلى وضع التسديد . وقدخيل إلى وأنا أنظر فى عينى النبرة ، أن ذراعى قد شلت ، وأن تحويل البندقية لن يتم ، غير أنه تم أخيراً ، وماكادت الفوهة تواجه جرم النبرة حتى ضغطت الزناد .

وسمعت صوت الطلقة وقد زاد قوة لضيق المكان ، وشعرت بهزة ارتداد البندقية ، ولولا هذه الأدلة المحسوسة على أن البندقية قد انطلقت لخيل إلىّ ، إذا اعتبرنا النتيجة ، أنى كنت أكابد ثقل كابوس تأبى فيه البنادق أن تنطلق فى اللحظة الحرجة .

وظلت النبرة لحظة وهى ساكنة تماما . ثم انثنى رأسها ببطء شديد على كفيها المبسوطتين ، واندفع الدم منبثقاً من موضع الإصابة . فقد أصابت الرصاصة عمودها الفقرى ومزقت الجزء الأعلى من القلب .

وكان الرجلان اللذان يتبعانى على بضع ياردات ، واللذان يفصلهما جرم الصخرة عن النبرة ، قد وقفا حين رأيانى أقف وأدير رأسى . وقد أدركا بالغريزة أنى رأيت النبرة ، وفهما من سلوكى أنها قريبة منى جداً . وحدثنى ماذو سنغ فيما بعد أنههم بأن يصيح ويدعونى إلى إلقاء البيضتين ، وأن أجعل كلتا يدى على البندقية . فلما أطلقتها وأرخيت بها ذراعى إلى قدمى ، أشرت إليه فأقبل ليريحنى منها ويحملها عنى ، فقد شعرت فجأة أن ساقى تعجزان عن حملى . وقد عرفت أن هذه هى نبرة شوجار ، حتى قبل أن أنظر إلى أقدامها ، وأنها هى التى فتكت بأربعة وستين من الآدميين بحسب الإحصاء الرسمى ، أو بضعفى هذا العدد فى حساب الأهالى .

وهناك ثلاثة أمور بدت معاكسة ، ولكنها كانت فى الواقع مواتية وهى : (ا) البيضتان فى كفى اليسرى و (ب) البندقيـة الخفيفة التى أحملها و (ج) أن النبرة آكلة للإنسان . فلولم تكن فى كفى البيضتان لجاءت حركتى سريعة بحكم الغريزة ، ولقامت النبرة لامحالة بالوثبة التى صدّها عنها سكونى . ولولم تكن البندقية خفيفة لما كان من الممكن أن أطلقها بذراعى الممدودة إلى آخرها . وأخيراً لو كانت النبرة عادية ولم تألف أكل لحم الإنسان ، ثم وجدت نفسها محصورة لانطلقت

تعدو ، ونحتنى ودفعتنى عن طريقها . ودفع ببرة لإنسان له فى العادة عواقب وبيلة .

وبينما كان الرجلان يدوران ويصعدان فى التل لفك العجل والمجىء بالحبل الذى أحتاج إليه لغرض آخر أبعث على الرضى ، توقلت أنا الصخور خارجاً من المجازة ، ورددت البيضتين إلى مكانهما وإلى من هى أحقّ بهما منى. وإنى لأعترف بأنى كغيرى من زملائى الصيادين أتطير وأتفاءل ، وقد قضيت فترات فى نحو عام أو أكثر أحاول وأحاول جاداً — أن أقتل الببرة، فأخفقت. والآن بعد دقائق قليلة من التقاطى للبيضتين تغير الحظ وساعفتنى الفرصة .

وكانت البيضتان اللتان ظلتا سليمتين فى كفى طول الوقت ، لا تزالان ساختتين حين أعدتهما إلى الفجوة الصغيرة فى الصخرة التى قامت مقام العش ، ولما مررت مرة أخرى بهذه الناحية بعد نصف ساعة، كانت البيضتان قد اختفتا تحت الحاضنة التى كان لونها كلون الصخرة تماما .

وكانت براثن الببرة مكسورة ومشققة، وأحد أنيابها الفاتكة مكسور ، وأسنانها الأمامية مبرودة . وكانت هذه العيوب هى التى جعلت منها آكلة للإنسان ، وهى السبب فى عجزها عن الفتك الوَحِىّ — وبمجهودها هى وحده — بعدد كبير من الآدميين الذين هاجمتهم بعد أن حرمت معونة الفزر الذى قتلته خطأ فى زيارتى الأولى .

ومن ذلك المساء إلى هذا اليوم لم يقتل إنسان واحد ، ولا جرح ، فى هذه المئات من الأميال المربعة فى الجبل والوادى التى ظلت ببرة شوجار مسيطرة عليها خمسة أعوام.

« البَبْر حيوان هندىّ أقوى من الأسد ، بينه وبين الأسد معاداة . وإذا قصد الببر النمر ، فالأسد يعاون النمر » .

من كتاب [عجائب المخلوقات]

« الببور ... لاتعرض للناس إلا بعد أن تهرم فتعجز عن صيد الوحش» .

[الجاحظ]

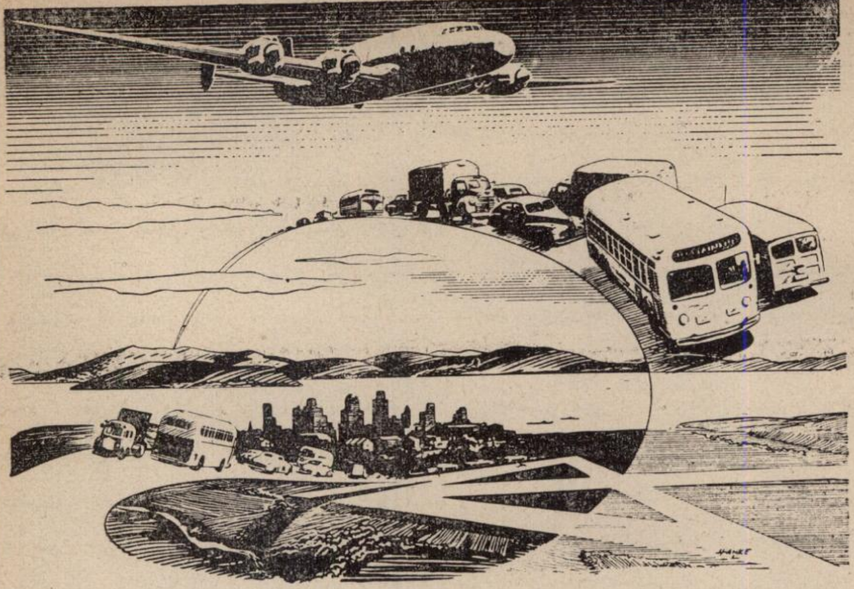

الطريق العالى لايحتاج إلى تعبيد

منذ اللحظة الأولى ، التى اخترعت فيها السكك الحديدية والسيارات ، لاح للبشر أن نفعها سيكون نفعاً عظيما . ولكن لم يكن بد من إنفاق مبالغ طائلة من المال ، على مد خطوط السكك الحديدية ، وتمهيد طرق السيارات ، لكى تؤتى نفعها كاملا .

أما الطائرات فلا تحتاج إلى مثل هذه المبالغ . إن الطائرة تعمل على خطوط « جاهزة » تصل إلى كل بقعة من بقاع الأرض . وليس ثمة حاجة إلى مطار فإذا أنشىء جعل البقعة التى ينشأ فيها جزءاً من نظام النقل الجوى العالمى النطاق .

وسيكون للتخفيض الذى سيطرأ على أجور السفر والشحن شأن كبير فى زيادة أهمية النقل الجوى إلى كل مدينة وكل قطر وستكون هذه الأجور المخفضة نتيجة لأرباح النقل والمعدات الجديدة ، ومؤسسة « رايت » للطيران تساهم فى جعل مثل هذه الأجور حقيقة ملموسة وسبيلها إلى ذلك التحسينات المستمرة فى محركات الطيران ، وإنتاج محركات تبرهن لدى الاستعمال عن جدارتها وصلابتها .

مهمة طائرات المستقبل

طائرة كرتيس كوماندو صممت لنقل أحمال ثقيلة بسرعة عظيمة وبأقصى درجات الاقتصاد . وهى تحمل ٣٦ راكباً عدا الصانع إلى مسافات تتراوح بين ٢٠٠ و ١٠٠٠ ميل . أما قوتها فمحركان من محركات سيكلون ١٨ قوة كل منها أكثر من ٢٫٢٠٠ حصان .

WRIGHT

محركات طائرات

WRIGHT AERONAUTICAL CORPORATION

Paterson, New Jersey (U.S.A.)

A DIVISION OF CURTISS-WRIGHT CORPORATION

لا غنى عنها للمساحات الكبيرة

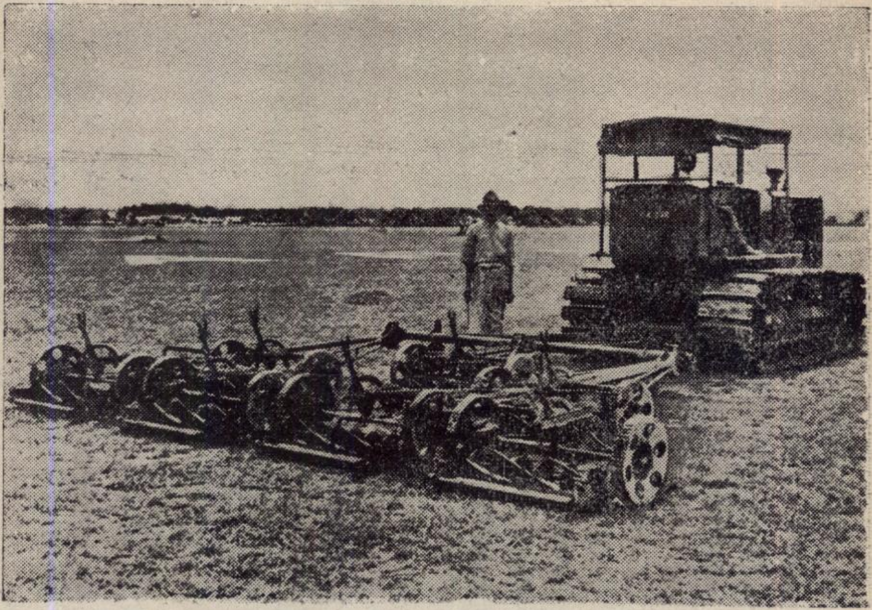

.. بحشاشة النجيل ذات الخمس آلات قاطعة ، يمكن بسهولة حش النجيل فى مساحة قدرها ٥٠ فداناً يومياً ، وهذه القدرة الكبيرة تجعل حشاشات الميادين التى تنتجها شركة « رانسومز » مما لا يمكن الاستغناء عنها لحش النجيل فى المطارات وميادين الألعاب الرياضية والمتنزهات العامة إلخ ، التى لا بد من حش النجيل الذى ينمو فيها باستمرار .

المقاسات : ٧ أقدام بثلاث آلات قاطعة ، ٣/١١١ قدم بخمسة آلات ، ١٦ قدم بسبعة آلات ، ٣/٢٠١ قدم بسبعة آلات . وتنتج الشركة منها نوعين : نوع للأحوال العادية ، ونوع خاص « ماجنا » للعمل فى الأحوال الأكثر خشونة أو عندما يكون النجيل أكثر ارتفاعاً من المعتاد .

ترسل النشرات المحتوية على وصف هذه الآلات وصورها إلى من يطلبها من

Ransomes

تنتج شركة « رانسومز » عدة أنواع من حشاشات الحدائق تدار باليد وبالبنزين وبالكهرباء

RANSOMES, SIMS & JEFFERIES, LTD. IPSWICH, ENGLAND.

الوكلاء الوحيدون بالقطر المصرى ، **أنجال قلاده أنطون** ، بمصر واسكندرية

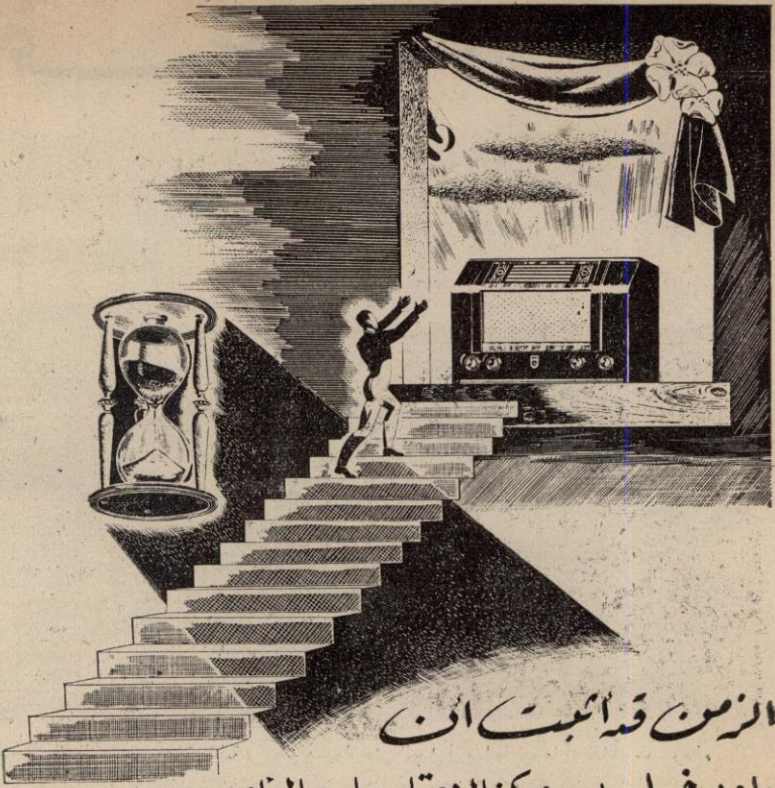

الزمن قد أثبت أن

راديو فيليبس يمكن الاعتماد عليه إلى أقصى حد

وفى سنى الحرب اتضح أن أجهزة فيليبس تكفيها أقل خدمة

إن أجهزة استقبال فيليبس تحتل مكان الصدارة فى قائمة أجهزة ما قبل الحرب التى كان لها شرف البقاء حتى يومنا هذا. ذلك أن فيليبس كان يعنى دائماً، فى تصميم هذه الأجهزة وإخراجها، أن تكون ملائمة لأحوال البلاد التى تباع فيها. وفضلا عن ذلك فإن صناعتها بالذات تمتاز بخبرة نيف و٥٠ عاماً فى مضمار الأبحاث والتحسينات الكهربائية.

ولن ينقضى وقت طويل، حتى يطلع على العالم، جهاز استقبال فيليبس الجديد. وسيكون أكثر إتقاناً وجودة لأنه سيضم كثيراً من الابتكارات التى توصل إليها فيليبس خلال الحرب

كن على صلة دائماً بأقرب وكيل لفيليبس إليك

وتذكر أن وعود فيليبس قد حققها الزمن.

قريبا تأتى .... أحسن أجهزة

راديو PHILIPS فيليبس

في خدمتك

لمنتجات بترولية أفضل

وقود وشحومات ممتازة تحمل اسم كالتكس العالمى هى خير ضمان لأحسن إنتاج وأحسن اقتصاد فى مصانعك وآلاتك . كالتكس يهيء لك مورداً ميسوراً مضموناً لأجود أنواع الجازولين والكيروسين والشحومات ووقود الزيت وزيوت الوقود .

SOCIETE CALIFORNIA TEXAS DES PETROLES S.A.E.

9 Sh. Fouad 1er. Cairo, Egypt

CALTEX

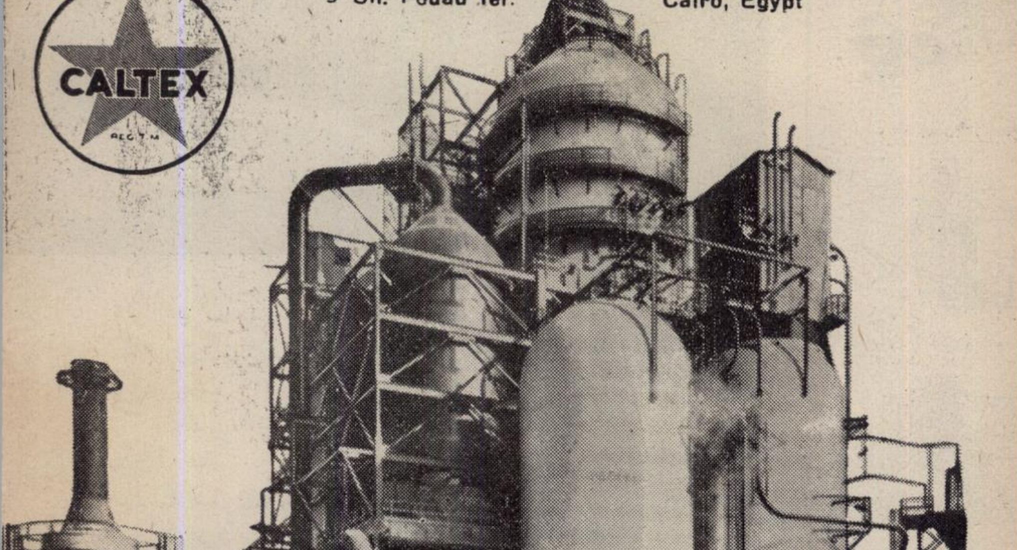

كالتكس لإنتاج البترول

أكثر من ١٦٠٠...

المنتجات للصنا...

معدات كهربائية

يوربينات مائية وبخار...

آلات للأسمنت والتعد...

مضخات

آلات لطحن الدقيق

الانتفاع بطاقة الماء لتحسين أسباب الحياة ..

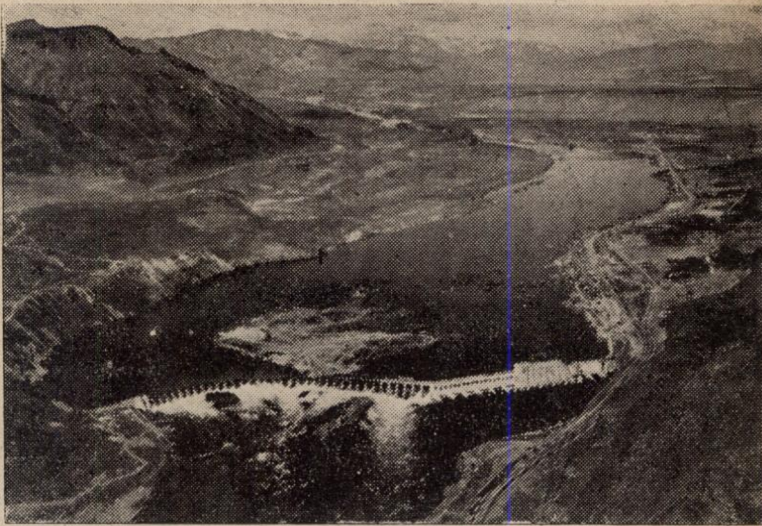

ليس على سطح الأرض مادة الزم للحياة والارتقاء من الماء. فهو حين يدفع في الأنابيب إلى البيوت يعين على بناء الصحة والعافية. وحين يدفع إلى حقول الفلاحين يعين على زيادة المحاصيل. أما في الصناعة فإنك تراه مصدراً من مصادر القوة.

والانتفاع بطاقة الماء، إنما هو جزء من عمل «أليس تشالمرز» فنحن نصنع مضخات تدفع ملايين من جالونات الماء، إلى المدن والقرى — أو إلى المزارع للري. ونحن نصنع توربينات تحول مياه الأنهر إلى قوة كهربائية تستعمل في صنع أجود الملابس، والآلات، ومواد البناء

و«أليس تشالمرز» يصنع أكبر مجموعة من الآلات والمعدات في العالم ... وهو متأهب لكي يعين كل صناعة حتى تنتج تلك المنتجات والمواد التي تعنى تحسين أسباب الحياة لكل أحد، في كل مكان.

ALLIS A-C CHALMERS

MILWAUKEE 1. WISCONSIN U.S.A.

الوكلاء في الشرقين الأدنى والأوسط

القطر المصري والسودان : الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة ش. م. م، ٤١ شارع صفية زغلول بالإسكندرية. ٢١ شارع سليمان باشا بالقاهرة — العراق وشرق الأردن : الشركة الأمريكية العراقية للملاحة لمتد ٩/٢٨٢ شارع المستنصر ببغداد — ١٠/١٢٤ شارع الملك فيصل بالبصرة — المملكة العربية السعودية : أمريكان إيسترن كورپوريشن، جده — إيران وأفغانستان : أمريكان إيسترن كورپوريشن، عمارة مبصر ناصية شارعي شهبزا وروزفلت، طهران. وهناك مراسلون لشركة «أليس تشالمرز» في مختلف البلاد القريبة والبعيدة.

PARKER "51"

باركر "٥١"

انه ضرب من ضروب السحر فى جعله الكتابة خفيفة ، يسيره ريشته المغلفة ، دائمة الرطوبة ، تبدأ فى الحال ، وتنساب فى الكتابة ، ناعمة كالحرير . وقلم حبر باركر « ٥١ » هو وحده الذى يستطيع استعمال حبر باركر « ٥١ » الحبر الذى يجف وأنت تكتب به !

THE PARKER PEN COMPANY
Janesville, Wis., U.S.A.

"كتابة جافة بمداد سائل !"

١٠٩ أصناف من زجاج الأبصار !؟

إن إخضاع الضوء لإرادة الإنسان . وحمله على صنع المعجزات ، هو العمل الذى ينجزه زجاج الإبصار .

وصنع الأصناف المطلوبة من الزجاج . وجعلها ملائمة لألوف من الأعمال الدقيقة المحكمة التى تقوم بها ، هو عمل « بوش ولومب » أعظم شركات أمريكا لصنع زجاج الإبصار وأوسعها نطاقاً . وهى الشركة الوحيدة التى تصنع الآن مئة وتسعة عدسات طبية مختلفة باستمرار .

وقد يبدو كثير من هذه الأصناف متماثلا ، ولكن الخبير يرى كلا منها مختلفاً عن غيره . وهذا الفرق بينها له ميزات خاصة فى تكسير الضوء وتفريقه ونقله وتوزيعه .

وإتاحة هذه الأصناف المتعددة من زجاج الإبصار ، والقدرة على ابتكار أصناف جديدة وفقاً للحاجة . هما اللذان مكنا « بوش ولومب » من سد حاجات العلم والصناعة إلى أدوات الإبصار الدقيقة فى زمن السلم ... وحاجات القوات المسلحة إلى أدوات الإبصار الفائقة فى دقتها فى زمن الحرب .

BAUSCH & LOMB

شركة عدسات

ESTABLISHED IN 1853

ROCHESTER, N.Y., U.S.A.

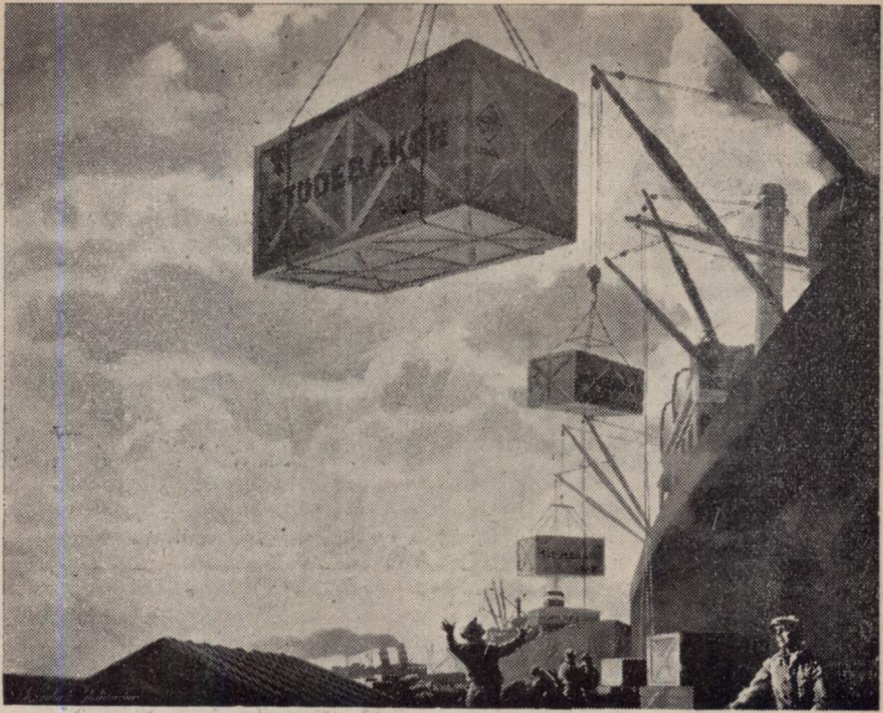

قريب هو اليوم ، الذى ستأتيك فيه
سيارات ستودبيكر الفاخرة الجديدة التى تشرقبها

قد يتطلب الأمر بعض الوقت للوصول بإنتاج السيارات ومركبات النقل إلى المرتبة القصوى ، فبعض المواد لايزال غير متيسر بعد .

على أن قسم التصدير فى مؤسسة « ستوديبكر » يأمل فى خلال وقت قصير أن يبدأ بشحن كميات محدودة من سياراته الجديدة عبر البحار بانتظام .

أما من جهتك فتستطيع أن تثق من أن سيارات « ستوديبكر » الفخمة الجديدة ستظفر بتلك الشهرة العريضة التى نالتها فى السنين الطويلة الماضية لامتياز نوعها ومتانتها الحقيقية .

وإن أول ما تراه من سيارات « ستوديبكر » سيكون على طراز (Skyway Styling) الجذاب الذى ابتكره « ستوديبكر » . وستؤدى هذه السيارات مهامها باقتصاد مدهش فى الجازولين . أما من جهة متانة بنائها فتلك إحدى خصائص شركة « ستوديبكر » منذ أن تأسست عام ١٨٥٢

The Studebaker Export Corporation
South Bend, Indiana, U. S. A. Cables: Studebaker

Studebaker

مشهور فى جميع أرجاء العالم كرمز الامتياز فى السيارات ومركبات النقل

أمم ينبغي أن تخاطب أمماً
... إلى جميع شعوب الأرض

إذا توصل رجال ونساء العالم إلى دراسة وتفهم عادات وثقافات بعضهم بعضاً — فسيجدون لا محالة هدفاً مشتركا يكفل لهم توحيد جهودهم ، عن طريق مؤسسة عالمية ، للسلام والرقى والرخاء .

وعن طريق الإذاعات اللاسلكية تندمج الأمم فى تحالف دعامته ما تعرضه أمة من هذه الأمم من ثقافة وتاريخ وطرق معيشة لصالح جميع الأمم .

ولو أن كل أمة أدركت أن مصلحتها تقتضى التخاطب مع الأمم الأخرى ، والاستماع إلى جاراتها — تحدوهم حرية تبادل الرأى — فإن البشرية تكون قد خطت خطوة واسعة فى سبيل حفظ السلام فى المستقبل فالأمم ، مثل الأفراد ، فى حاجة إلى أصدقاء .

ومؤسسة RCA تفخر بمساهمتها فى سبيل إيجاد تفاهم أحسن بين الأمم ، عن طريق معدات RCA للأذاعة . فهناك مجموعات RCA للاذاعة والإرسال تخدم الأمم المتحدة وتيسر سبل الاتصال بينها .

أما أجهزة RCA للاذاعة بعد الحرب فتشمل طرازات من جميع أنواع القوى AM و FM وتلفزيون . وبفضلها ستخاطب الأمم الأمم — وجميع شعوب الأرض .

نشر هذا الإعلان فى صحف سان فرنسيسكو خلال انعقاد مؤتمر الأمم المتحدة

RADIO CORPORATION OF AMERICA

RCA INTERNATIONAL DIVISION, CAMDEN, N. J., U. S. A.

تتقدم القافلة : فى الراديو · تليفزيون · صمامات · فونوغرافات · إسطوانات · اليكترونات

ارسلوا برقياتكم الدولية بالطريقة الحديثة [Via RCA]

BETHLEHEM
STEEL

فولاذ لهياكل البناء

تشهد هياكل الجسور الفولاذية والبنايات والمعامل الصناعية في جميع انحاء العالم المتمدن ، بما لشركة «بثلهم» من الاختبار الواسع في انتاج الهياكل الفولاذية • وتصنع شركة «بثلهم» جميع اصناف الفولاذ الهيكلي بما فيها وصلات الزوايا الاعتيادية والعريضة ، والقنوات ، والزوايا ، والروافد المشبكة •

فاجعل شركة «بثلهم» - وهي تعد من اعظم شركات الفولاذ في العالم - ان تمدك بالفولاذ لمشاريعك البنائية • ولا تصنع شركة «بثلهم» الهياكل الهندسية فقط بل تصنع ايضا الواحا فولاذية ، وانابيب ، وصفائح ، وروافد ، وكثيرا من ادوات البناء وتصنع ايضا جسورا وهياكل فولاذية اخرى وتشيد البنايات •

Bethlehem Steel Export Corporation
: 25 Broadway, New York, U.S.A.

وكلاء فى جميع المدن الهامة فى العالم

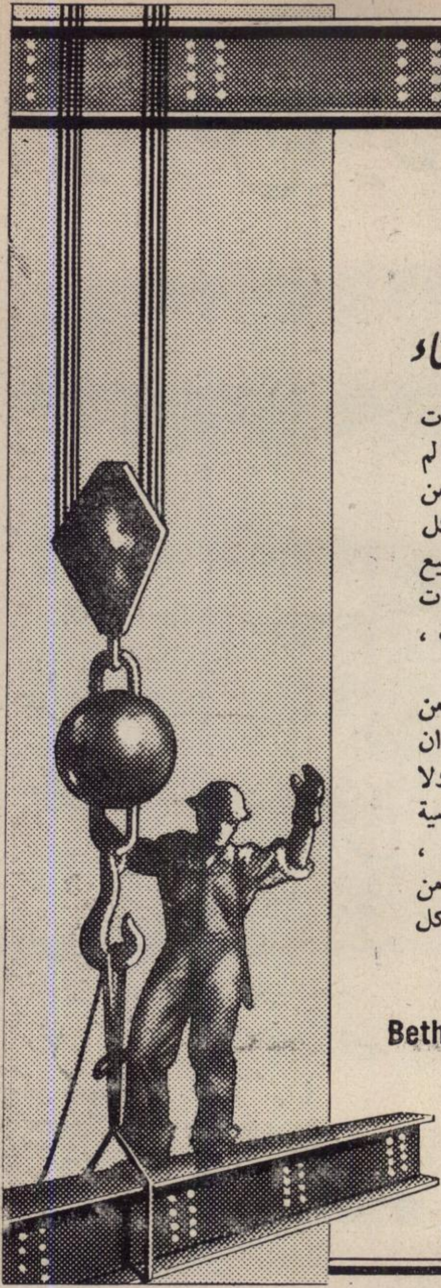

لم يعد الجمل وسيلة النقل في الصحراء

إن سيارات نقل الركاب والبضائع المتينة الجبارة التي تعبر اليوم الصحراء يجب صيانتها من التآكل والتلف. فزيوت موبيلويل تضمن لها سيراً منتظماً رغم الحرارة والرمال والأحمال الثقيلة. وتقوم زيوت موبيلويل بنفس المهمة في جميع أنحاء العالم فهي تطيل عمر السيارات كما أن شحومات جارجويل تساعد على صيانة الآلات ضد التآكل. فانتفع بهذه الميزة الوقائية وبادر بشراء منتجات شركة سوكوني - فاكوم لسيارتك ولكل نوع من الآلات التي تستعملها.

سوكوني - فاكوم

سوكوني - فاكوم

جارجويل زيوت وشحومات

C.R.4934

MINNEAPOLIS-MOLINE
TRACTORS & FARM MACHINERY

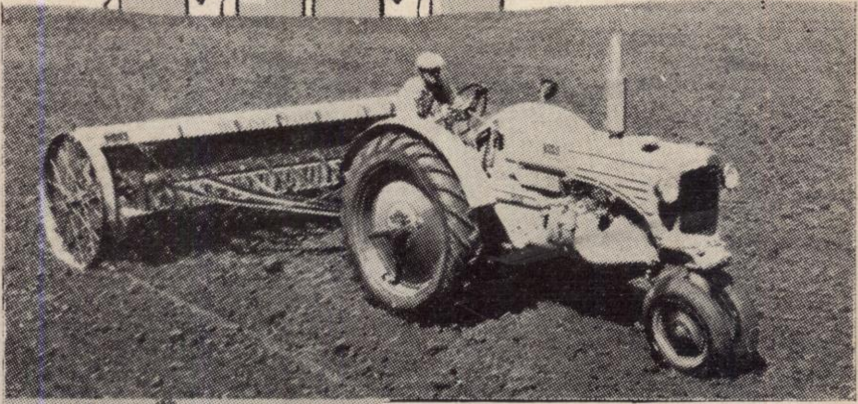

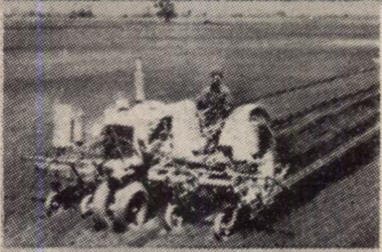

آلات الزراعة "مينيا پوليس مولين"

مهمة المزارع ليست مهمة يسيرة . فإن أول درس يتلقاه هو أن عيشه وعيش ذويه وقف على حسن الإدارة . ولما كان المزارع يرتكن فى الغالب إلى عناصر لا يسعه السيطرة عليها ، كان لزاماً عليه ، أن يهيىء لنفسه القدرة على إنجاز عمله بسرعة وباقتصاد يخولان له ملء خانة الأرباح فى دفتر حساباته .

وهنا تظهر مقدار المساعدة القيمة التى تؤديها محاريث « مينيا پوليس مولين » للمزارع اليوم . فهى تتيح له جرث حقوله وحصد محاصيله بنفقة يسيرة . وهذا هو السبب فى أن المزارع العصرى يجد أن العمل بوساطة معدات « مينيا پوليس مولين » هى الإدارة الحسنة بعينها.

الوكلاء الوحيدون بالقطر المصرى

Port-Said Engineering Works, (Port-Said)

MINNEAPOLIS-MOLINE
POWER IMPLEMENT COMPANY
MINNEAPOLIS 1, MINNESOTA, U. S. A.

كريم حلاقة جليدر واسكواير

صنعا خصيصاً للرجال الذين
عليهم أن يحلقوا كل يوم

اكوافلفا ويليامز

أشهر لوسيون بعد الحلاقة فى العالم ،
نقى ، لطيف ، منشط ، منعش الرائحة

كريم حلاقة ويليامز الفاخر

يحتوى على مادة لانولين الملطفة التى تهيء لك
حلاقة تامة دون أن يسبب للبشرة أى تهيج

WILLIAMS

منتجو مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ أكثر من مائة سنة

THE J. B. WILLIAMS CO., GLASTONBURY, CONN., U. S. A.

فيلكو

أكبر منتج للراديو في العالم

قبل الحرب كان فيلكو يقدم لك منتجاته الممتازة كأكبر منتج للراديو فى العالم: أجهزة استقبال منزلية ذات قوة مدهشة واداء يوضح النغم فى المسافات البعيدة ، على الموجة القصيرة ، بسهولة تضارع سهولة البرامج المحلية ... وكذلك الراديو فونوغراف الذى كان يقدم لك موسيقاك المفضلة مسجلة بمنتهى الأمانة وبأقصى طلاوة فى النغم واللحن . أما راديو فيلكو الذى ستقتنيه بعد الحرب فسيكون أكثر إتقاناً أيضاً ! ذلك أنه سيكون وليد علم جديد ومهارة جديدة فلا غرو أن يجىء آية فى جمال النغم والآداء ... أفخر من جهة النوع وأرشق من جهة التصميم — وأحسن ما تستطيع أن تحصل عليه مقابل نقودك .

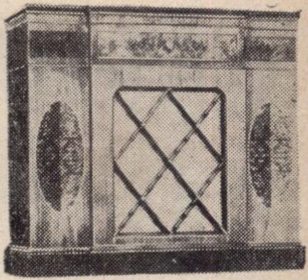

أكثر من ١٧٫٥٠٠٫٠٠٠ من مقتنى راديو فيلكو يبرهنون على ما يظفر به راديو فيلكو ، وراديو فونوغراف فيلكو من تفضيل عالمى .

فيلكو PHILCO

المشهور بالجودة فى جميع أرجاء العالم

PHILCO INTERNATIONAL CORPORATION 230 Park Avenue. New York U.S.A.

راديو منزلى . راديو فونوغراف . راديو سيارة . ثلاجات . افران كهربائية
مبردات لتجميد الأغذية وحفظها . أجهزة لتكييف الهواء

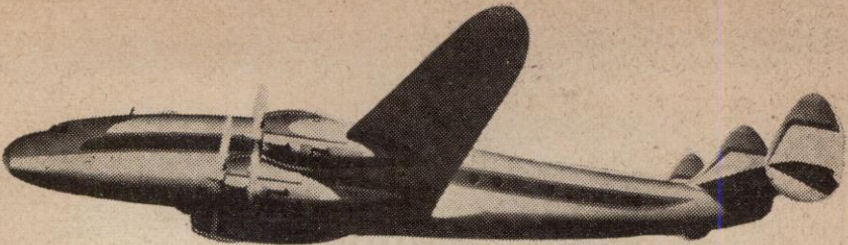

لوكهيد كونستليشن

طراز جديد فى عالم النقل الجوى!

Lockheed Constellation

Lockheed Aircraft Corporation, Burbank, California — *Years ahead in the science of flight*

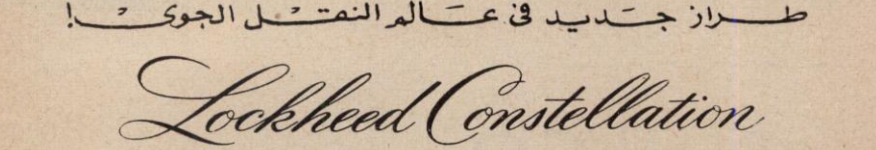

من عصر الخيالة الى عجلة القيادة

التشحيم الصحيح يهيئ قيادة سهلة آمنة تضمن
السلامة فى الطريق

اعتمد على

الخدمة العلمية

شل
لتشحيم
فنى

س. ت. ٩٤١

السلامة تأتى فى رزم صغيرة

سالمة !.. عادت من جحيم القذائف المضادة للطائرات ، والمقاتلات ، إحدى طائراتنا وهى ما زالت تستجيب ليد الطيار .

إن كرات المحاور ، عنصر حيوى فى الفعال العجيبة الخارقة التى تؤثر عن الطائرات الأمريكية — وعمليات الأحكام والدقة التى تتصف بها مناظير تسديد القنابل وأجهزة الجيروسكوب والدبابات وسيارات النقل وغيرها ومئات الألوف من كرات المحاور هذه يجب أن تكون أسطحها مصقولة صقلا دقيقاً بحيث لا يختلف أكثر من جزء من مليون جزء من البوصة . أما الرطوبة والغبار فهما العدوان اللدودان اللذان يحدثان الصدأ ويسببان تغيراً فى الحجم ، فيجعلان الكرات غير صالحة للاستعمال .

وضبط الحرارة والرطوبة فى صناعة كرات المحاور مهمة من أعظم المهام التى تضطلع بها أجهزة تكييف الهواء فى ميدان الصناعة .

وكلما ازدادت وسائل النقل الجوى ، ترى مصانع الطائرات تخرج طائرات أسرع وأعظم أمناً — لأن تكييف الهواء يتيح أن تكون أجزاء الطائرات والأدوات أدنى إلى الحدود القصوى التى يتطلبها مصممو الطائرات .

وإن العلم الذى لا ينى ليل نهار عن تحسين آلات الحرب سيكون قوة عظيمة كذلك فى صنع معدات السلام.

york
refrigeration
air conditioning

York Corporation, York, Penna.

يورك للتبريد وتكييف الهواء

المقر الرئيسى لأجهزة التبريد الميكانيكى منذ عام ١٨٨٥

شفرات

ملايين من الناس – فى جميع أقطار العالم – مدينون
لجيليت بما يجدونه من السرعة والنعومة والاقتصاد،
فى حلاقتهم اليومية وبالرغم من انتاجها المحدود
لظروف الحرب فباستعمالك شفرات جليت
الزرقاء او جيليت استندرد تضمن أريح حلاقة
فى العالم.

جيليت

نعم تستطيع أن تتجنب حوادث العطل التى تضايقك إذا عنيت بأن تضع مجموعة من شموع الاحتراق «شامپيون» فى فترات منتظمة شموع شامپيون تحفظ للمحرك قوته وتقلل الإجهاد والتآكل وتؤخر تكون الكربون القاسى إن العالم بأجمعه يعرف أن «شامپيون» هى شموع الاحتراق التى توفر الوقود وتحفظ محركات السيارة فى أتم حالة للعمل

CHAMPION SPARK PLUG COMPANY Toledo, U.S.A. • Windsor, Can. • Feltham, Eng.

[تتمة مقالة الغلاف]

اليد لابتعاث النفس لحظة أو ساعة — هى الريدرز دايجست وتراجمها .

إن الريدرز دايجست وتراجمها جامعة عالمية مصغرة لكل إنسان ، من العامل فى المصانع إلى رئيس اتحاد صناعى ، ومن الطالب الذى يوشك أن يتخرج إلى أعظم مربّ فى العالم ، ومن التلميذة إلى جدتها .

وأنا نفسى أفيد من الريدرز دايجست قصصاً حافلة بالحياة ، للمساعى الإنسانية وما تحققه ، وللإصلاح المدنى ، ولزعماء اليوم الذين ستكون ظلالهم المستطيلة هى تاريخ الغد ، وللاكتشافات العلمية ، وللانتصار على الجريمة والشقاق الصناعى والعجز التجارى ، والتقدم الثابت على الرغم من قوات السوء والهدم فى كل مكان . وإنى إذ أقرأ الدايجست — وأنا أقرأ كل عدد بعناية من الغلاف إلى الغلاف — لأحس أنى ازددت قدرة على فهم زملائى من الناس وتقديرهم .

« جامعة عالمية مصغرة » ؟ نعم ، هنا ، بإيجاز بَرْقىّ ، يسجل كل ماله قيمة من أعمال اليوم ، ويرفع الستار عن الحوادث المحجوبة التى ترسم نهج المستقبل ، بما يكاد يدخل فى باب النبوآت . وتحفل صفحات الريدرز دايجست بصورة صادقة لهذه الأيام المضطربة ، وبالمغيّب من أحوال الشخصيات المشغولة بمشروعات التقدم التى لا يحدها زمن . فأنت تقرأها وتتسلح .

وخير من ذلك أن فى وسعك دائماً أن تعود إليها للاستزادة .

جامعة مصغرة

ولتر دِل سكوت
مدير جامعة نورث وسترن

في حضارتنا التي تزداد تعقيداً والتي تتطلب التخصص ، يضيق ميدان العمل على الفرد ، ويضيق أفقه أيضاً . فالكيميائي الذي لا يعرف سوى كيميائه ، والتاجر الذي لا دراية له بغير التجارة ، والمعلم الذي تقتصر خبرته على التعليم ، والمهندس الذي لا علم له إلا بفنه — كل أولئك قد يؤدي عملا مذكوراً في ميدانه ، غير أنه إذا لم يكن ثم تفاهم متبادل فإنهم جميعاً لا يوجدون إلا نظاماً اجتماعيا ضعيفاً منقسما . وإنما تكون السبيل واضحة إلى الرقي الثابت ، إذا أدرك الجميع إدراكا قائماً على المعرفة الشخصية ، أن مجهود الواحد ليس إلا جزءاً من كلٍّ متسق .

في المدرسة يحصل الطلبة على القاعدة الواسعة للمعرفة ، وهي التي تمس إليها الحاجة لإيجاد التوازن مع التخصص . ولكن كيف يحتفظ المرء بهذه المعرفة الرحيبة بعد أيام الدراسة ، إذ يزداد عمله الخاص التفافاً عليه ؟

إن مناهج الجامعة ، والكتب ، والصحف ، والإذاعات الثقافية ، عون في هذا الباب ، ولكنها على نفاستها ذات حدود معينة من حيث الزمان والمكان . وأيسر أداة أعرفها للتربية السريعة الوافية القوية في الموضوعات الوفيرة العدد التي تنطوي عليها الحياة الحديثة — أداة هي أبداً في متناول

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية